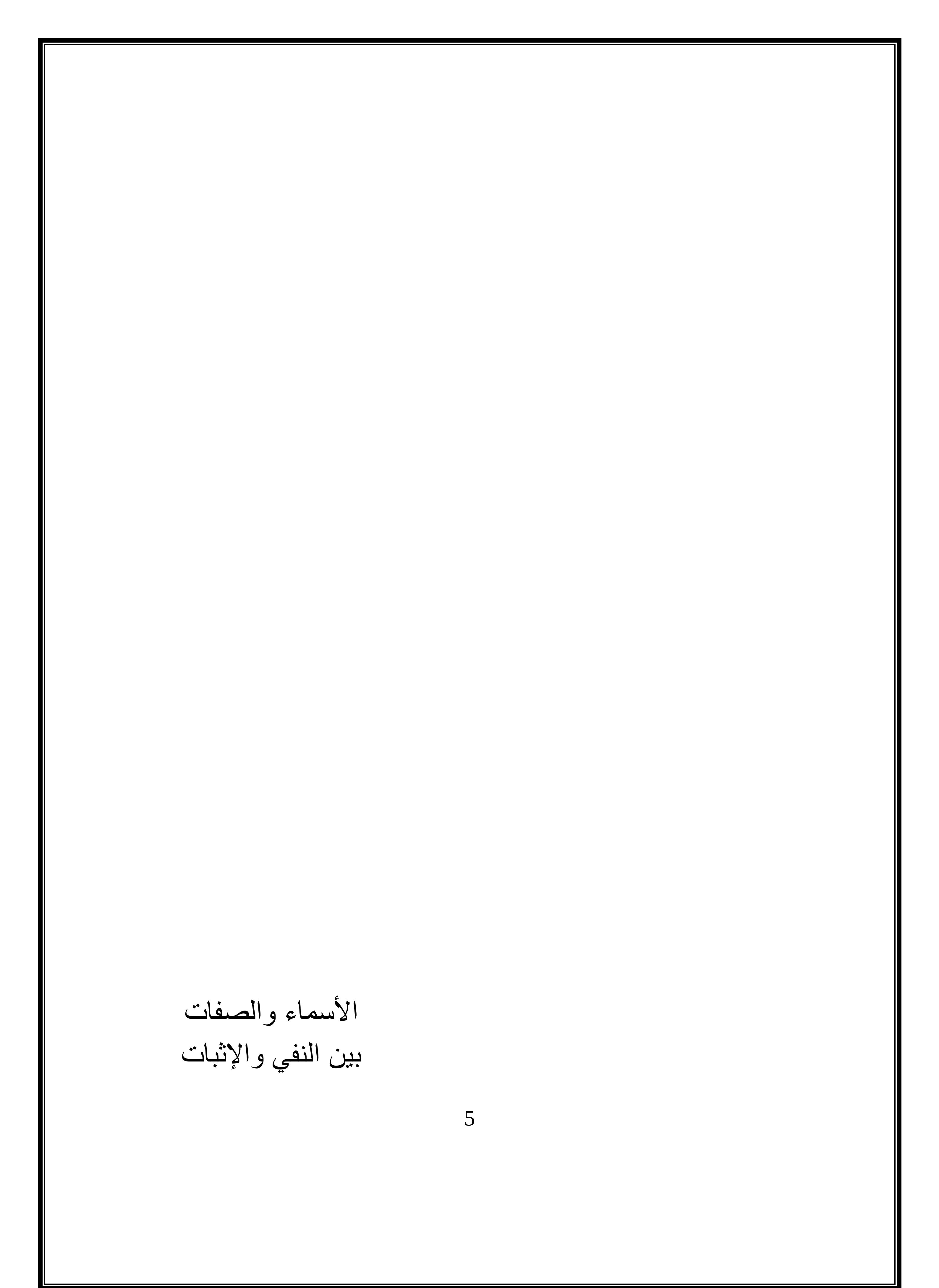


الأسماء والصفات
بين النفي والإثبات

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة

٢٤٢
عبدالخالق ، نجاح محمد
الأسماء والصفات بين النفي والإثبات/نجاح محمد عبدالخالق الجمل . **عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ .**
(٢٦٨) ص
ر.أ: (٣٦٦٣ /١٠/٢٠١٢).
الواصفات: /الإيمان بالله //الأسماء الحسنى /

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

دارالمأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail: daralmamoun@hotmail.com
www.almamoun-jo.com

الأسماء والصفات
بين النفي والإثبات

بقلم

نجاح محمد عبدالخالق عيسى
(أم عبد الله الجمل)

تقديم الشيخ
محمد شقرة (أبو مالك)



دار المأمون للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الصادق الأمين وعلى آله وأصحابة الغر الميامين، والتابعين وعلى من سار على هديهم، وقفى آثارهم، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد، فكان من الفائزين.

وأسأل الله أن يجمع قلب هذه الأمة اليوم على خير ما جمع به قلوب أسلافها الصالحين من قبل، وبارك لها في كل أمرها، وأن يصلح لها شأنها كله إنه سميع مجيب.

هذا وقد أرسلت اليّ إبنتنا الطيبة (ام عبدالله) السيدة: نجاح محمد عبدالخالق عيسى بهذا الكتاب (الأسماء والصفات بين النفي والإثبات) من تأليفها، أتت على محاسنه العلمية وأبوابه الرضية، من تراث السابقين، ومن أعمال اللاحقين المجيدين، فجمعت بين القديم والحديث، على أحسن وجه للقديم، وأجمل وجه للحديث، يُرجى أن يكون لها من خير عمل وزاد للأخرة إن شاء الله.

ولقد نُظر في عملها هذا، فرأيت فيه ما يُفرح له ويُمدح فيه وقد أحاطته برعاية من قلمها بحكمة أظهرت فيها جهداً ليس يخفى على القارئ، سواءً أكان من الألفاظ والكلمات المميزة، أم كان من المعاني والحروف التي تؤلف بين هذه وتلك، بوضوح وقوة وسلاسة.

وعندي أن أفضل ما يميز عمل ابنتنا هذا، أمور لا ينبغي أن تغيب عن قارئ يحرص على قرائتها، وأرجوا أن يكون لها أعمال أخرى، وأن يظل عملها موصولاً إن شاء الله.

وحسب عمل ابنتنا، أنه يكاد أن يكون أول عمل تقدمه أمرأة للأمة على هذا النحو الحسن، الذي تتداوله أيدي النساء في المنازل والمساجد ودور القرآن وأماكن اجتماع النساء.

أسأل الله سبحانه أن يجزي ابنتنا ام عبدالله على جهدها خيراً تلقى به ربها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأن يجعلها من خير الداعيات الى ربها على هدي وبصيرة إنه سميع مجيب.

وكتب محمد إبراهيم شقرة

(ابو مالك)



مقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضلَّ له؛ ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

لقد سلكت طريقي في طلب العلم والتفقه في الدين وتعلم القرآن والسنة، وكان من الأمور التي لطالما شغلتني وأخذتني فتوسعت بها دون غيرها مجالات العقيدية بأنواعها، وخاصة توحيد الأسماء والصفات، وذلك لكثرة الاختلاف فيها والكلام حولها بين النفي والإثبات، ولكثرة من يصول ويجول جاهداً لتحريفها، إما بطريق التعطيل أو التمثيل أو التكييف أو الإلحاد، فلم أجد أفضل ولا أكمل بعد كتاب الله وسنة رسوله من تلك الورقات التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى – العقيدة الواسطية- في هذا الباب، فهي وإن كانت معدودة الورقات إلاّ أنها اشتملت على ما لم يشتمل عليه الكثير من المجلدات، فاجتهدت واستعنت بالله وحده على شرح تلك المتون المتضمنة لعقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، سائلاً الله الكريم المنان الحي

القيوم الأحد الصمد بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به عامة المسلمين، وأني لأشكر الله سبحانه وأحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على ما منَّ به وتفضل بأن يسَّر لي إعداد هذا الكتاب ونشره، وأساله تبارك وتعالى أن يتقبله مني بقبول حسن وأن يعينني على غيره مما ينفع به عامة المسلمين وخاصتهم.

أ. نجاح محمد عبدالخالق عيسى

تنبيه هام قبل الشروع بقراءة هذا الكتاب:

أولاً: لقد وضعت المتنَّ في أعلى الصفحة وميزته بأن وضعت خطاً تحته، والمتن هو قول ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ثانياً: اخترتُ من المتون ما ناسب المادة بشكل أساسي.

ثالثاً: لم ألتزم بترتيب المتون بل قد يسبق متنٌ متناً آخر.

رابعاً: وضعت في التمهيد مادة التوحيد ولم أعتمد بها على المتن الخاص بالمؤلف بل كانت من خارج المادة.

التمهيد

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أما بعد فإنه لا سعادة للعباد، ولا نجاة في المعاد إلا باتباع رسوله ﷺ. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤]، فطاعة الله ورسوله قطب السعادة التي عليه تدور، ومستقر النجاة الذي عنه لا تحور. فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وإنما تعبدهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله؛ وما سوى ذلك فضلال عن سبيله. ولهذا قال ﷺ: {**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**}[١]، وقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية[٢] {**أنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها،**

(١) أخرجاه في الصحيحين وللبخاري ٢١٤٢.
(٢) رواه أهل السنن وصححه الترمذي.

وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة}".

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أنه كان يقول في خطبته {**خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالةٌ**}[1].

ومن المعلوم أنه لا سعادة للعبد ولا نجاة له في الدنيا والآخرة إلا بتحقيق التوحيد؛ ولا يتحقق التوحيد إلا بالإتباع، ولا يكون ذلك إلا بسلوك الصراط المستقيم وسلف الأولين، ولا يكون هذا إلا بالاستعانة بالله وحده واتباع الشريعة الخاصة التي بعث بها محمد ﷺ، ولا يخرج ذلك عن الكتاب والسنة، فإن نعمة الهداية للإسلام، والتوفيق لمذهب أهل السنة والجماعة؛ أعظم نعمة، فمن وفق لذلك؛ فليكثر من حمد الله؛ فإن أكثر الناس يتخبطون في ظلمات الكفر، وضلالات البدع وجهالاتها. وقد بُليت هذه الأمة بالافتراق والبدع، كما حدث في الأمم قبلها، وكان لهذه البدع أئمة مُنظِّرون لَبَسُوا على الناس دينهم، وبثوا من الشبهات ما ضل بها خَلقٌ كثير؛ لم يعتصموا بالكتاب والسنة؛ وكان من نعمة الله وفضله أن لا تخلو هذه الأمة على مدى العصور من نذير داع لتوحيد الله بالحجة والبرهان، ومن اعظم الأمور التي ضلت فيها الأمة الإسلامية وانقسموا فيها فرقاً كثيرة، توحيد الله في الاسماء والصفات، وقبل الشروع في تفصيل هذا الأمر رأيت أن من الصواب معرفة الأقسام الأخرى من التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال ابن تيمية رحمه الله: **(التوحيد سر القرآن ولبّ الإيمان)**

فالتوحيد لغةً: مصدر وحد الشيء، يوحده توحيداً إذا أفرده، ونفى عنه التعدد[2].

وفي الشرع: إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية

---

(١) مجموع الفتاوى ج١ ص١٧.

(٢) (عقيدة المؤمن). للجزائري ص ٦٦.

والأسماء والصفات[1].

وهو كذلك: نفي الكفء والمثل عن ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله، ونفي الشريك في ربوبيته، وعبادته عزوجل.

قال تعالى في نفي الكفء: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وقال في نفي الشريك في الربوبية: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الرعد: ١٦].

وقال في نفي الشريك في العبادة: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقال ابن قيم الجوزية: هو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء أن يكون كان، وما شاءَ أن لا يكون لم يكن، وأنه لا يتحرك ذرة الا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته، وأنه ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابعه، إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه، فالقلوب بيده وهو مقلبها ومصرفها كيف شاء، وكيف أراد، وأنه هو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

---

(١) شرح كتاب التوحيد للعثيمين ص٥.

أقسام التوحيد:

الأول: توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله تعالى بأفعاله، والإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، والمتصرف فيه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ [الرعد: ١٦] وقال ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾.

وكذلك قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٤ - ٦].

وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لابد أن يأتي مع ما يلازمه من توحيد الألوهية، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مُقِرون بهذا التوحيد لله وحده، فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزُّخرُف: ٨٧].

وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

فهم كانوا يعلمون أن جميع ذلك لله وحده، ولم يكونوا مسلمين، بل قال الله

تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال مجاهد في الآية: (إيمانهم بالله قولهم، إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شركهم لأنهم يعبدون غيره).

وهذا التوحيد لم يدخل الكفار في الإسلام، فوجب على كل من عقل عن الله أن ينظر ويبحث عن السبب الذي أوجب سفك دمائهم، وسبي نسائهم وإباحة أموالهم مع هذا الإقرار والمعرفة، وما ذلك إلا إشراكهم في توحيد العبادة (الأُلوهية) الذي هو معنى (لا إله إلاّ الله) .

الثاني: توحيد الأُلوهية:

وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، ودليله قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وهذا التوحيد هو: أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنى قول (لا إله إلا الله)، فإن الإله هو: (المألوه)، والمعبود بالمحبة والخشية والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلى مؤمنين وكفار.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]. فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك وقال هود لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [هود: ٨٤]، وقال مخاطباً رسوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع من التوحيد كل الإفصاح، وبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال.

وهذا النوع من التوحيد الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دمائهم، وأموالهم، وأرضهم، فمن أخل بهذا التوحيد، فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات.

وهذا التوحيد بني على الإخلاص و(التاله) لله تعالى من المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والدعاء لله وحده وجميع العبادات له،لا يجعل منها شيء لغيره، لاملك مقرب، ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرها.

الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وهوالإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به الرسول ﷺ (من الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وإقرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل، ومن غير تكييف ولا تمثيل)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وسنأتي إلى شرحه مفصلاً إن شاء الله.

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، ومنهم ابن قيم الجوزية- رحمه الله- حيث قال: إن ملاك النجاة والسعادة والفوز بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما مدار كتاب الله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ وإليهما دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أولهم إلى آخرهم.

أحدهما: التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، والمتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني: عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له، وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرضى به رباً وإلهاً وولياً، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء.

ثم يكمل فيقول: وقد جمع سبحانه وتعالى هذين النوعين من التوحيد في سورتي الإخلاص، وهما:

سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ المتضمنة للتوحيد العلمي الإرادي.

وسورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ المتضمنة للتوحيد العلمي الخبري[1].

ولا مشاحة بين القسمين، ولا منافاة بينهما؛ بل هما طريقتان مآلهما إلى شيء واحد، فإفراد الله تعالى في العبادة وفي القصد والإرادة والعمل؛ هو: (توحيد الألوهية)، وإفراد الله تعالى في الأمور الاعتقادية العلمية القولية؛ هو: (توحيد الربوبية)، و(توحيد الأسماء والصفات)[2].

اهمية التوحيد:

قال ابن تيمية - رحمه الله - في أهمية التوحيد: (**التوحيد سرُّ القرآن ولبّ الإيمان**).

ولقد مكث رسول الله ﷺ في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى توحيد الله وحده لاشريك له، وأوذي وعودي على أن يترك الدعوة إلى التوحيد، فما كان منه إلا أن قال: (**والله لووضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه**)[3].

وتظهر لنا أهمية التوحيد كذلك، أن رسول الله ﷺ كان يعلم أصحابه أن يبدؤوا دعوتهم للناس بالتوحيد:

فقد قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: (**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى**)[4].

وقال شيخ الإسلام: (وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله)[5].

---

(١) إجتماع الجيوش الإسلامية ص٣٨.
(٢) (شرح التدمرية للبراك ص ٦٧).
(٣) (أخرجه إبن اسحق ١٧٠/١).
(٤) (رواه البخاري ١٣/٢٧٣٧).
(٥) (تيسير العزيز الحميد ص ١٢٧).

وكان النبي ﷺ يربي أصحابه رضي الله عنهم على التوحيد منذ الصغر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي: (**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**)[1].

وتظهر لنا أهمية التوحيد جلية بأنه سبب لدخول العبد الجنة ونجاته من النار:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (**من شهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل**)[2].

ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه، إلاحرمه الله على النار**)[3].

وكذلك لوتمعنا النظر بالقرآن الكريم، لوجدناه من أوله إلى آخره دعوة إلى التوحيد: **يقول ابن القيم**- رحمه الله-: (إن كل آية في القرآن هي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة لعبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمرٌ ونهي وإلزام وطاعة؛ فهي حقيقة التوحيد ومكملاته، وإما خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو عن من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في

(١) (رواه الترمذي باب رقم ٥٩).
(٢) (متفق عليه للبخاري ٦٠/١كتاب الأنبياء).
(٣) (متفق عليه للبخاري ١٢٨/١).

التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم)[(١)].

ففي توحيد المعرفة والإثبات، وهو حقيقة ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله، واستوائه فوق سماواته على عرشه سبحانه وتعالى وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمه، قال في أول سورة الحديد: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحديد: ١ - ٥].

وقال في سورة طه: ﴿طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٤) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ (٦) وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى (٧) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ١ - ٨].

وقال في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

---

(١) مدارج السّالكين.

وقال في أوّل سورة آل عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٢ - ٦].

وفي توحيد الطلب والقصد وهو ما تضمنته سورتا: (الإخلاص والكافرون)، و سميتا بالإخلاص لأنهما مشتملتان على التوحيد، فهما مُخلصتان لأصل الدين بكل معانيه[١].

وما تَضمنهُ قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وكذلك ما بدأ الله به في أول سورة تنزيل الكتاب: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٢ - ٦].

وكذلك أوّل سورة الأعراف حيث قال: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ

---

(١) شرح التدمرية للبراك ص ٧١.

﴿حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢ - ٣].

وجملة سورة الأنعام، بل غالب القرآن في التوحيد، بل القرآن كله في التوحيد، بل ما خلق الله السموات والأرض، والجن والإنس، والجنة والنار، وشرع الجهاد، وكثيراً من الأمور العظيمة إلاّ من أجل التوحيد، وعلى رأس التوحيد كلمة (لا إله إلاّ الله) على لسان كل رسولٍ، وعلى لسان كل نبي، ويلهج بها الملائكة الكرام، ويكفينا قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٥ - ٥٨].

فبين لنا أنه لم يخلقنا لغرضٍ من الأغراض جل وعز وتنزه عن ذلك، وإنما خلقنا لعبادته، هذا الرب العظيم الجليل الكبيرالذي لا نستطيع أن نصفه ولا نخبر عن وصفه إلا بما أخبر به هو تعالى وتقدس عن نفسه[1].

وكذلك فإن الإيمان ضرورة من ضرورات حياة الإنسان، وحاجة من حاجات نفسه، فلا غنى له عن الإيمان بربه ، وعن عبادته بحالٍ من الإحوال، ومن هنا لم تخل أمة وجدت على وجه الأرض، ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة ودين ومصداق وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

والمراد من النذير: نبي، أو رسول، أو عالم وارث لعلم النبوة ينذر تلك الأمة عاقبة الكفر بالله وبكتبه ورسله وشرائعه، ويحذرها من نتائج الشرك بربها، والمعصية له ولرسله، وما يتبع ذلك من انحراف السلوك بالظلم والشر والفساد.

وتكمل أهمية التوحيد، بأن العبادة التي هي الأعمال الظاهرة والباطنة؛لا تقبل إلا بالتوحيد، فالصلاة، والصيام، والزّكاة، والحج، والذكر، والدعاء، وبرالوالدين، وحتى إماطة الأذى عن الطريق، لا تقبل إلا بالتوحيد.

---

(١) (أهمية التوحيد للشيخ المدخلي).

جزاء من حقق التوحيد:

لقد دل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن من حقق التوحيد وعمل الصالحات، دخل الجنة، ودليله من الكتاب، قوله في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقوله في سورة آل عمران: ﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٧].

وقوله في سورة التوبة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وقوله في سورة فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

وقوله في سورةِ الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقوله في سورة البينة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البيّنة: ٧].

ومن السنة مالا يعد ولا يحصى، ومن ذلك: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **(من توضّأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا** شريك **له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء)**(١).

وقوله ﷺ: **(من مات وهو يعلم أنه لا له الا الله دخل الجنة)**(٢).

أما إجماع الأمة: فقد أجمعت الأمة: وهم أهل السنة والجماعة، على أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً غفر الله له وأدخله الجنة، و ذلك لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) (رواه مسلم ٢٣٤/٣)
(٢) راوه مسلم.

فضائل التوحيد:

ومن فضائله التي لا تعد ولا تحصى ولكن نذكر منها ما يسعنا ذكره:

١. حصول الأمن التام في الآخره، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقد روي في صحيح البخاري عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية، ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ قلنا يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ فقال: ليس الأمر كما تظنون، إنما المراد به الشرك، ألم تستمعوا إلى قول الرجل الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣][(١)] .

٢. نفي الخوف والحزن عند سكرات الموت، لمن حقق التوحيد مع البشرى بالجنة، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠ - ٣١].

٣. مغفرة الذنوب إن كانت التوبة نصوحا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠].

---

(١) (رواه البخاري ٣٢/١).

ومن السنة:

أولاً: عن سعد بن أبي وقاص، عن رسول الله ﷺ قال: **(من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولا، وبالإسلام ديناً، غُفِرَله ذنبه)**[1]

ثانياً: سيد الإستغفار، الذي جمع توحيد الربوبية وتوحيد الأُلوهية، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوءُ لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** فمن قالها بالنهار موقنٌ بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يصبح، فهو من أهل الجنة[2].

٤. النصر والتأييد من الله تعالى، لمن وحده ولم يشرك به شيئاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

٥. والتوحيد سبب عظيم في إجابة الدعاء لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقول رسول الله **(اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا**

---

(١) (رواه مسلم ٣٨٦/٤).
(٢) (رواه البخاري في صحيحه).

أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)[1].

٦. و من أعظم فضائل التوحيد: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين و التعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.

و يكون مع ذلك متألهاً متعبداً لله لا يرجو سواه و لا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه، في دنياه وأخراه.

قلت: إن التوحيد الذي هو سبب نجاة العبد وسعادته وفلاحه في الدنيا والآخرة، هو منَّةً من الله تعالى على عباده، بأن دلهم عليه، وعلق قلوبهم به، وعرَّفهم على نفسه، وزادت هذه المنّةُ وعظمت، عندما سهل لهم طريق الوصول إليه، بأن أرسل لهم رسولاً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويهدهم إلى الصراط المستقيم.

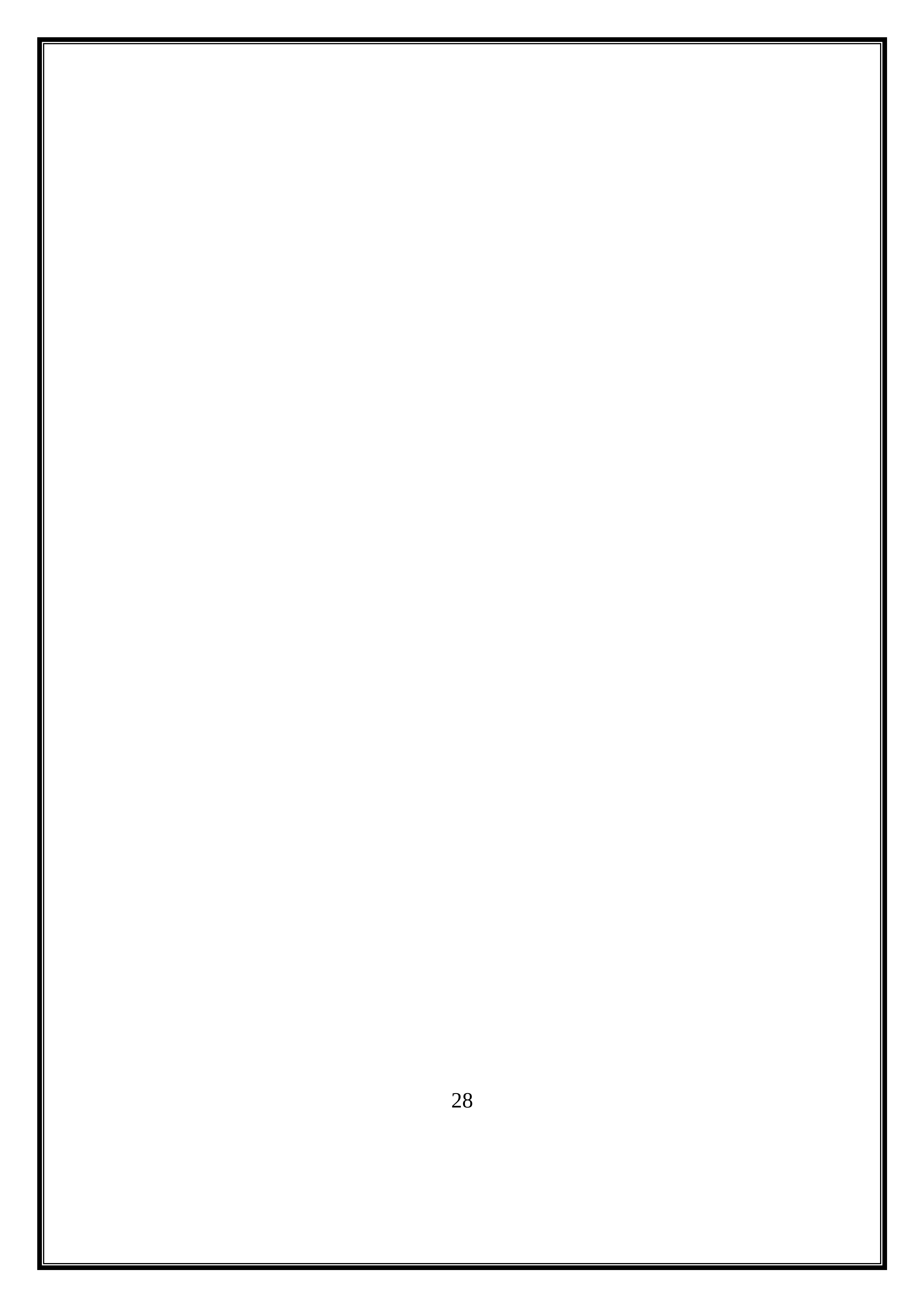
وقد كنا قديماً عندما نسأل عن أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده نقول : هي نعمة الإسلام والإيمان والإحسان، ولكننا ننسى أن هناك نعمة تسبق كل ما ذكر من النعم، بل هي أجل النعم وأعظمها ألا وهي نعمة أن الله واحداً لا شريك له في الملك والتدبير والعطاء والفضل، فماذا لو كان هناك الهةً أخرى؟

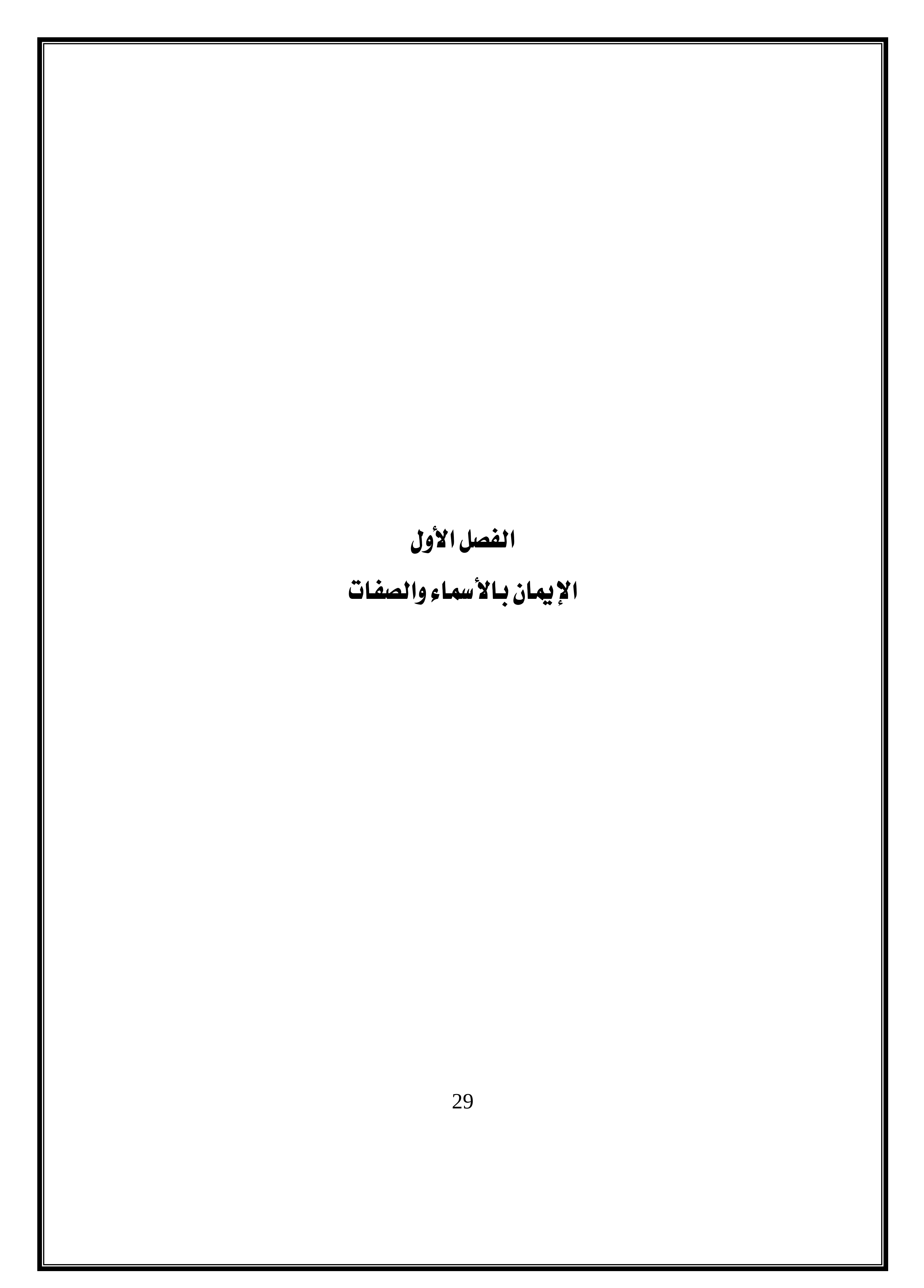
الجواب: (لَفَسَدَتَا) لقوله تعالى :﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ١٢٢].

فله الحمد رب السموات الارض، ورب العرش العظيم على انفراده بكل ما ذكر.

---

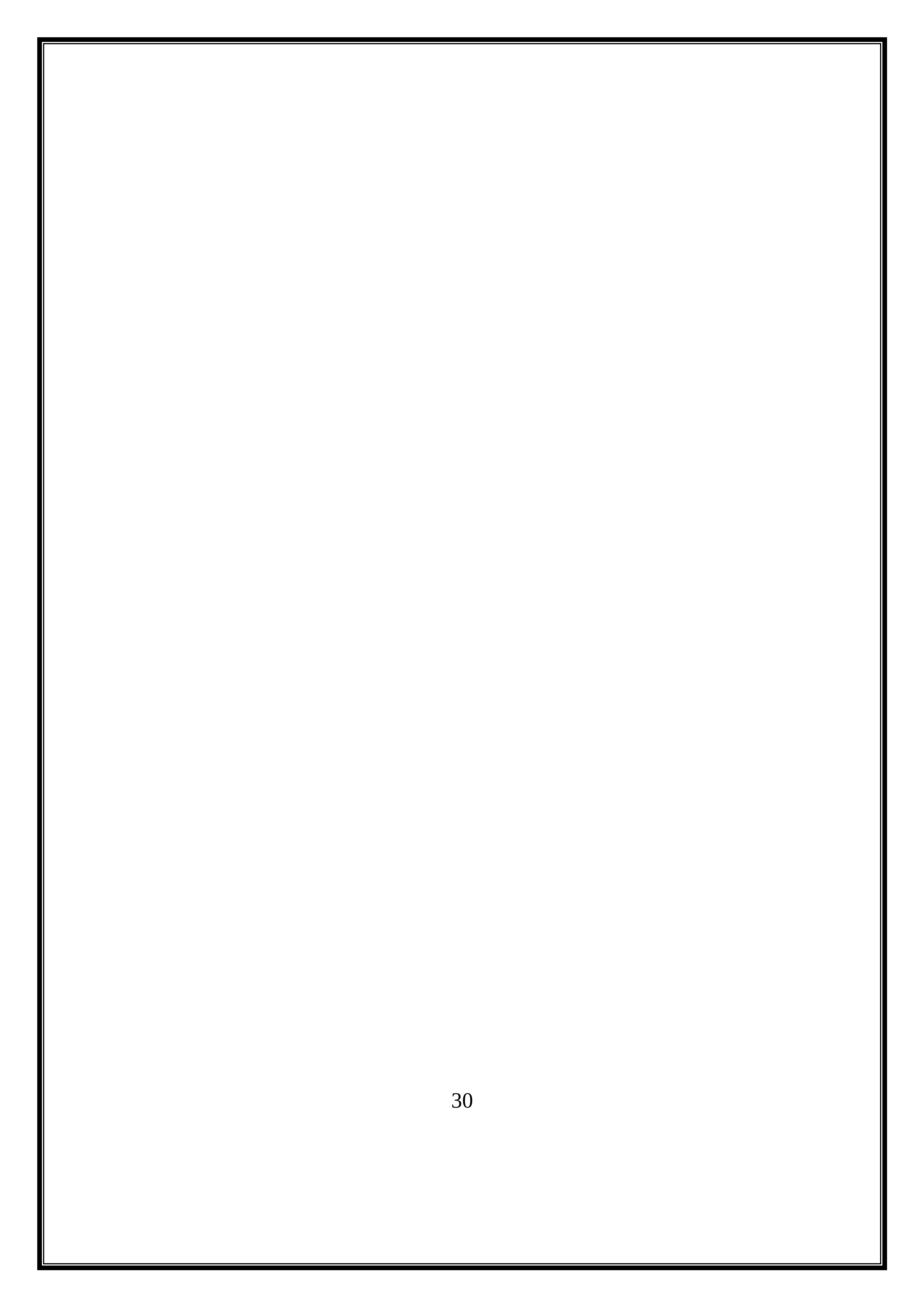
(١) (رواه أبو داود).





الفصل الأول

الإيمان بالأسماء والصفات



الإيمان بالأسماء والصفات

قول المؤلف رحمه الله:

اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.

الاعتقاد في اللغة: افتعال من العقد وهو الربط والشد بمعنى عقد عليه القلب، ودان لله به اذا اتخذه عقيدة له .

أما اصطلاحا فهو: الحكم الذهني الجازم فإن طابق الواقع فصحيح وإلا ففاسد. والفرقة بكسر الفاء تعني: الطائفة والجماعة قال تعالى ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

الناجية: اسم فاعل من نجا، إذا سلم، وهي الناجية من الأهواء والبدع في الدنيا، والناجية من النار في الآخرة، الموعودة بالنصر والظهور إلى يوم القيامة.

ووجه ذلك أن النبي ﷺ قال: (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: **(من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)**[١].

(المنصورة): معناها: المؤيدة على من خالفها إلى قيام الساعة، أي مجيء ساعة موتهم، بمجيء الريح التي تقبض روح كل مؤمن، فهذه هي الساعة في حق المؤمنين.

أما الساعة التي يكون بها انتهاء الدنيا فهي لا تقوم إلا على شرار الناس،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان. شرح الواسطية للعثيمين (ص٣٧).

لما في صحيح مسلم: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله) .

وقال رسول الله: (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله**)[1].

والظهور الانتصار لقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

والذين ينصرونها، الله وملائكته والمؤمنون، فهي منصورة إلى قيام الساعة.

(إلى قيام الساعة) أي إلى يوم القيامة فهي منصورة[2].

السنة: هي الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ من أفعاله وأقواله وتقريراته. وسموا أهل السنة لانتسابهم لسنة رسول الله ﷺ دون غيرها من المقالات والمذاهب، بخلاف أهل البدع فانهم ينسبون إلى بدعهم وضلالاتهم: كالقدرية، والمرجئة، وتارة ينسبون إلى امامهم: كالجهمية، وتارة ينسبون إلى أفعالهم القبيحة، كالرافضة والخوارج.

وسموا أهل السنة كذلك، لأنه: (ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ ، وهم أعلم الناس بأقواله، وأحواله، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها، وأهل معرفة بمعانيها، واتباع لها تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يرون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب، والحكمة، فلا ينصبون مقالة، ويجعلونها من أصول دينهم، ومجمل كلامهم إن لم تكن ثابتة في ما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه، ويعتمدونه،)[3].

الجماعة: لغة: الفرقة المجتمعة من الناس. وسموا أهل الجماعة: (لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة)[4].

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) المرجع السابق.
(٣) مجموع الفتاوى (٣٤٧ /٣).
(٤) مجموع الفتاوى (١٥٧ /٣).

(والجماعة هم المجتمعون الذين ما فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً)[١].

وكذلك (فإن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، وذم التفرقة والاختلاف)[٢].

وسموا أهل الجماعة أيضاً (لأن الإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمدون عليه في العلم والدين، فمن قال بالكتاب، والسنة، والإجماع، كان من أهل السنة والجماعة)[٣].

والمراد بهم هنا الذين اجتمعوا على الحق الثابت في الكتاب والسنة، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ولو كانوا قلة كما قال ابن مسعود: الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك فانك انت الجماعة حينئذ.

وقول المؤلف: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره.

فهي أركان الإيمان الستة التي لاينكرها أو ينكر بعضها إلا كافر، لذا سننتقل إلى شرح جزء آخر من المتن، وهومحور هذا الكتاب ومن ثم نعود إلى شرح بعض منه.

وقوله: (ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

بعدما ذكر المصنف رحمه الله الأصول التي يجب الإيمان بها مجملة شرع بذكرها على سبيل التفصيل، وبدأ بالأصل الأول وهو الإيمان بالله تعالى ويتضمن أربعة أمور قد تم شرحها في بداية الكتاب وهي:

أولاً: انفراده بالربوبية.

ثانياً: انفراده بالألوهية.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٣/٤٥٨).
(٢) المرجع السابع (٣/٤٦٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣٦٤) .

ثالثاً: انفراده بالأسماء والصفات.

يعني بعض الإيمان بالله، ثم ذكر أنه يدخل في الإيمان بالله الإيمان بصفاته التي وصف بها نفسه، وقوله (بما وصف به نفسه)، لم يقل ابن تيمية رحمه الله تعالى وسمى به نفسه، لأنه ما من اسم إلا تضمن صفة، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، من صفات وأسماء، ولا نتعدى ذلك ولا نزيل عنه[1].

وقوله: (في كتابه) كتابه: يعني القرآن، وسماه الله تعالى كتاباً لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتوب في الصحف التي بأيدي السفرة الكرام البررة، ومكتوب كذلك بين الناس، يكتبونه في المصاحف، وأضافه الله إليه لأنه كلامه سبحانه وتعالى، تكلم به حقيقة، فكل حرف تكلم الله به حقيقة، وسيأتي شرحه بتفصيل في صفة الكلام.

وقوله بما وصف به رسوله:

قال الإمام أحمد: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث فكل ما جاء به القرآن، أو صح عن المصطفى من صفات الرحمن، وجب الإيمان به، وتَلَقِّيهِ بالتّسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد، والتأويل، والتشبيه، والتمثيل، ووصف الرسول ﷺ لربه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: إما بالقول، أوالفعل، أوبالإقرار.

أ- **أما القول**؛ مثل **(ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك. أمرك في السماء والأرض)**[2].

وقوله في يمينه **(لا ومقلب القلوب)**[3].

ب- **وأما الفعل**؛ فهوأقل من القول، مثل إشارته إلى السماء يستشهد الله على إقرار أمته بالبلاغ، وهذا في حجة الوداع في عرفة، خطب الناس وقال: **(ألا هل بلغت؟) قالوا: نعم ثلاث مرات، قال: (اللهم اشهد)**،

---

(١) لمعة الاعتقاد ص١٣.
(٢) رواه الإمام أحمد (٦ / ٢٠).
(٣) البخاري ٦٦١٧.

يرفعإصبعه إلى السماء وينكتها للناس[١].

فرفع إصبعه إلى السماء هذا وصف الله تعالى بالعلو عن طريق الفعل. وكذلك حين تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

فوضع إبهامه على أذنه اليمنى، والتي تلي إبهامه على عينه، فهذا إثبات للسمع والبصر بالقول والفعل[٢].

ج- **أما الإقرار** فهو قليل بالنسبة لما قبله: مثل إقرار الجارية التي سألها (**أين الله؟ قالت في السماء) فأقرها وقال: (اعتقها)**[٣].

والآن ما هو الدليل على وجوب الإيمان بما وصف به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ربه تعالى. قال تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وكل آية فيها ذكر أن الرسول ﷺ مبلّغ فهي دالة على وجوب قبول ما أخبر به من صفات الله، ومن ذلك: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧] ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤] وذلك لأن الرسول ﷺ أعلمُ النّاس بالله، وأنصح الناس لعباد الله، وأفصح الناس في التعبير، لما اجتمع به من صفات القبول أربع: العلم، الصدق، البيان، النصح.

١- **العلم:** ودليله قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) (رواه مسلم ١٢١٨).
(٢) رواه أبو داوود (كتاب السنة).
(٣) رواه مسلم ص٥٣٧.

٢- **الصدق:** ودليله: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزُّمَر: ٣٣].

٣- **البيان:** ودليله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

٤- **النصح:** ودليله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لهذا يجب علينا أن نقبل كل ما أخبر به عن ربه سبحانه و تعالى.

وقول ابن تيمية من غير تحريف:

في هذه الجملة بيان صفة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، و هو إثبات ما أثبته الله لنفسه و أثبته له رسوله من غير تحريف.

والتحريف هو: التغيير أي: إمالة الشيء عن وجهه، يقال انحرف عن كذا إذا مال.

أو: تغيير كلام الله، أو كلام رسوله عن وجهه لفظاً أو معنى، وهذا التغيير فيه جنوح عن الصواب والحق، فكان فيه انحراف عن الوسطية والعدل، فالتحريف والانحراف بينهما تقارب من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى[1].

وهو نوعان: لفظي ومعنوي.

أولاً: اللفظي: تحريف اللفظ وهو: العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة كلمة، أو حرف، أو نقصانه، أو تغيير حركته .

ثانياً: المعنوي: تحريف المعنى وهو: العدول به عن وجهته وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر، بقدر مشترك بينهما .

والغالب أن التحريف اللفظي لا يقع، وإذا وقع فإنما يقع من غير قصد، مثال ذلك أن يقول أحدهم: بدل ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. (مالكَ يوم الدين).

أو بدل أن يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] يقول: (الحَمدَ لله رب العالمين)، فهذا التغيير الشكلي لا يقع إلا من جاهل: أي غير متعمد فعل هذا التحريف.

أما التحريف المعنوي: فهذا الذي جالوا وصالوا وتوسعوا فيه وسموه تأويلاً، فأهل السنة والجماعة إيمانهم بما وصف الله به نفسه خال من التحريف اللفظي والمعنوي، وقاموا بتسمية هذا الفعل تأويلاً حتى يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول.

لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه، وحكمه عند أهل السنة

(١) شرح التدمرية للبراك ص ٨٠.

والجماعة أنه (باطل)، لأنه قام من غير دليل، ويجب البعد عنه والتنفير منه، واعتبروا (أهل السنة والجماعة) بأن أساس كل بلية أصيب بها الإسلام، إنما هي من التأويل، الذي هو في الحقيقة تحريف وإلحاد، فجميع الأحداث الكبار التي وقعت في هذه الأمة، وهزت من كيانها، وفرقتها شيعًا لم يكن لها من سبب إلا جنوح فريق منها إلى اتباع الهوى، أو بالأحرى التحريف[١].

والتحريف في صفات الله تعالى يكون في تغيير لمعانيها، أي معاني الصفات، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] أي تنزيل الصفات على غير مرادها والمقصود منها، فقلّبوا الحقائق، ونزلوا الحق، وهو المراد من صفات الله تعالى، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، يحذركم الله غيره وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي كتب على غيره الرحمة.

وهذا لا يتوهمه عاقل، بل لا يقوله إلا كافر، ولنعلم أن أول من قام بالتحريف هم اليهود لعنهم الله تعالى فقد حرفوا ألفاظ ومعاني التوراة، حتى اختصهم الله تعالى بهذه الصفة في مقام الذم دون غيرهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [سورة المائدة ١٣] ولذلك فإن التحريف مذموم مطلقاً، وقد اتبع آثارهم في الأمة الإسلامية، الرافضة والجهمية، بتحريف نصوص الاسماء والصفات، كالقول بأن معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، هو الاستيلاء، والتحريف في هذا الباب يكون في النصوص بينما التعطيل يكون في المعتقد، والتكييف والتمثيل يكونان في الصفات[٢].

---

(١) شرح النونية ج١.
(٢) (الموسوعة المسيرة في الأديان ١٠٠٨).

الفرق بين التحريف و التأويل:

التحريف: يعتبر من باب التغيير، وهو نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص، واستبداله بمعنى آخر غير صحيح، وهو لفظي ومعنوي، ويعتبر مرتكبه كافراً باتفاق أهل السنة والجماعة.

أما التأويل: فهو التغيير والمراد به تفسير نصوص الصفات بغير ما أراد الله ورسوله، وبخلاف ما فسرها به الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

حكم التأويل وهو ثلاثة أحكام:

أولاً: أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية، بحيث إذا تبين له الحق رجَع عن تأويله، فهو معفى عنه لأن هذا منتهى وسعه، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ثانياً: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة العربية، فهو فسق وليس بكفر، إلا أن يتضمن نقصاً، أو عيباً في حق الله، فيكونُ كفراً.

ثالثاً: أن يكون صادراً عن هوى وتعصب، وليس له وجه في اللغة العربية، فهذا كفر لأنّه حقيقة التكذيب، فهذا لا وجه له.

المعنى الشرعي للتأويل:

أولاً في اللغة: هو تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار اليه، فالتأويل التصيير، ويأتي كذلك في كلام العرب بمعنى التفسير والمرجع والمصير(١).

ثانياً: التأويل في الاصطلاح: أهل التفسير والسلف من أهل الفقة والحديث ومرادهم به معنى التفسير والبيان، وهو معنى قول رسول الله ﷺ لابن عباس (**اللهم فَقِّهْهُ في الدين، وعلمه التأويل**)(٢).

---

(١) تفسير الطبري ج١ سورة المائدة.
(٢) أخرجه أحمد في ٣٣٥/١١.

وكذلك يأتي التأويل بمعنى: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أو الشيء، ووقوعه على ماهو عليه، ووجوده في الأمر نفسه، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَـٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠] [(١)].

والتّأويل ينقسم إلى نوعين محمود ومذموم:

فالمحمود: هو ما دل عليه دليل، وهو تأويل قوله تعالى: كذا، وكذا، ثم يذكرون المعنى، وسمي التفسير تأويلاً، لأننا أوّلنا الكلام إلى أن جعلناهُ يؤول إلى معناه المراد به، ومثال ذلك تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ أولّها ابن عباس (بأن النذير هو الشيب) .

والمذموم: هو ما لم يدلَّ عليه دليل، ويكون من بابِ التحريم وهو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله - عز وجل- ومثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ فقد قاموا بتحريف هذه الآية إلى (استولى)، فغيّروا المعنى، وصرفوا اللّفظ عن ظاهره، وكذلك تأويلهم اليد بالنِّعمة، واستشهدوا بقول العرب (لك عندي يد أي: نعمة)، قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، فحرفوها إلى نعمتان، فلم يثبتوا لله تعالى إلا نعمتين، فماذا عن قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: ٢٠][(٢)].

مخاطر التأويل والتحريف:

أولاً: كان سبباً في قتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفَّان رضي الله عنه. فقد أوَّلوا قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] فقالوا: إنّ عثمان كفر، لحكمه بغير الحق، مثل الكافر، فهو

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان.
(٢) شرح الواسطية للعثيميين ص.

مشرك حلال الدم والمال.

ثانياً: وبالتأويلات الفاسدة استحل الخوارج الذين خرجوا في زمن علي رضي الله عنه دماء المسلمين وأموالهم، وكفروا علياً ومعاوية ومن معهما من الصحابة، وخرج منهم - عبد الرحمن بن ملجم - أشقى هذه الأمة، فقتل علياً وهو ينادي لصلاة الصبح.

ثالثاً: وكان التأويل أيضاً سبباً في مقتل الحسن، والإيقاع به هو وأهله في كربلاء، حيث قتله (جند يزيد بن معاوية)، متأَوِّلين أنه من البغاة الخارجين عن طاعة الإمام.

رابعاً: كان التأويل كذلك، هو السبب في خروج البغاة على الأئمة وشقِّهم عصا الطاعة، وخروجهم عن الجماعة.

خامساً: أجل التأويل ضرب الإمام أحمد بن حنبل الشّيباني، صديق أهل السّنة، حيث أراد المأمون بتأثير المعتزلة، أن يحمل العلماء على قوله بخلق القرآن، فلم يثبت في هذه المحنة إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح.

سادساً: ولأجل التأويل كذلك، نفى (جهم) شيخ المعطِّلة، وجود الله -عز و جل- فوق العرش، وقال: ليس في السماء إله يعبد، ولا فوق العرش ربٌّ يصلى له ويسجد[١].

سابعاً: والتأويل كذلك هو السبب في ظهور الخوارج والرَّوافض، فهم الذين استحلوا دماء المسلمين وفرق دينهم، وكانوا شيعا، والحديث عن مخاطر التأويل ليس له نهاية، فإن التأويل دمَّر جميع المجتمعات الإسلامية، ولم يعبد غير الله ، ولم يتخذ له ولد، إلا بالتأويل.

وقولـه ولا تعـطيل:

وهذه هي: الصفة الثابتة في عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي: أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تحريف ولا

---

(١) شرح النونية ج١ ص ٢٦٦.

تعطيل.

والتعطيل لغة: مأخوذ من العطل، بمعنى الخُلُو[1]أو بمعنى: التخليه والترك، كقوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[الحج: ٤٥] أي: مخلاة ومتروكة.

واصطلاحاً: إنكار ما أثبت الله لنفسه، من الأسماء والصفات، سواء كان كلياً أو جزئياً، سواء كان ذلك بتحريف أو بجحود.

تعريف آخر للتعطيل هو: تعطيل الرب تعالى عن صفات كماله، وذلك بنفي أسمائه وصفاته سبحانه، فالمعطل يُخلي الرّب عن صفاته، أو أسمائه وصفاته، عند غلاتهم[2].

والتحريف يستلزم التعطيل، وأما التعطيل فلا يستلزم التحريف،لأن التعطيل قد يكون بغير تحريف، فقد يكون بالتفويض؛ فان المعطلة يقفون من النصوص:

١- إما موقف التحريف وقد مر ذكره.

٢- وإما أن يفوضوا، فمن ينفي - مثلاً- حقيقة الاستواء على العرش؛ وهوالعلو والارتفاع، يقول: معنى قوله تعالى: ﴿اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] (استولى) فيكون حينئذ معطلاً محرفاً؛ معطلاً لصفة الله تعالى وهي (الاستواء)، ومحرفاً للنص وهو قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقد يقول من ينفي حقيقة الاستواء: الله اعلم بمراده بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]، ويقول: (هذا ليس فيه دلالة على إثبات الاستواء على العرش؛ لأنه من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله تعالى)، فيكون هذا معطلاً مفوضاً[3].

وبهذا يُعلم أن تحريف النصوص يستلزم التعطيل، وأما التعطيل فلا يستلزم التحريف، لأن المعطل قد يلجأ إلى التفويض لا إلى التحريف.

---

(١) (معجم مقاييس اللغه ٤٠/٣٥٧)

(٢) (شرح التدمرية للبراك ص ٨١,٨٢).

(٣) المرجع السابق.

والتفويض هو: رد كل ما عجز العقل عن إدراكه، أو الإحاطة به إلى الله عز وجل، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومعناه عند السلف تحديداً: تفويض العلم بكيفية ذات الله تعالى، وكيفية صفاته سبحانه وتعالى، وأيضاً: تفويض تفاصيل حكمته - سبحانه - من أوامره ونواهيه الشرعية إليه سبحانه، إذ لا يلزم عندهم من عدم العلم بها عدمها؛ لأن عدم العلم بالشيء ليس علما بعدمه.

ولم يعرف التفويض في القرون الثلاثة الأولى، وإنما ظهر في القرن الرابع الهجري، ومن أوائل من قال به في بعض نصوص الصفات الاختيارية أبو منصور الماتريدي وأبو حسن الأشعري، يرحمهم الله.

ويلخص الإمام مالك منهج السلف في التفويض بإجابته لمن سأله عن الاستواء قائلاً: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه) وسيأتي شرحه وتخريجه.

متى انتشر هذا المذهب، ومن أول من قال بالتعطيل:

يقول به ابن تيمية- يرحمه الله- في ذلك: (إن أول من قال في التعطيل، هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت إليه).

وله قول آخر وهو: (أن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوتً عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر، الذي سحر النبي ﷺ[(١)].

وملخص مذهب الجهمية: هي فرقة من الفرق التي ظهرت في بداية القرن الثاني، وانتحلت مذهب الجهم في مسائله المدونة في كتب المقالات والكلام.

والجهم هو: ابن صفوان، ويكنى أبا محرز، وهو من أهل خراسان، وينسب إلى سمرقند وترمذ، ويقال إن أهله من الكوفة، وكان جهم مولى لبني راسب من الأزر.

وقد أخذ الكلام عن الجعد حين لقيه بالكوفة، بعد هروب الجعد إليها من دمشق، وكان جهم فصيحاً وصاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله

---

(١) (مجموع فتاوى ابن تيميه ٥\١٨).

تعالى ثم بعد ذلك نفي الجهم إلى ترمذ وكان أول ظهورمذهبه فيها، حيث أظهره فيها للملأ وأشاعه وحاور فيه، ولكن توسع مذهبه بعد مقتله، شأن المذاهب كلها التي استفحل أمرها وكثرت رجالها، وتفرعت مسالكها، وتنوعت مصنفاتها، وكان مقتل جهم في سنة ثمان وعشرين ومائة، على يد نصر بن يسار.

وقال عنه الذهبي في الميزان: (جهم بن صفوان أبو محرز الضال المبتدع)، رأس الجهمية، هلك زمان التابعين، وما علمته روى شيئاً عن رسول الله ﷺ ولكنه زرع شراً عظيماً).

أقسام أهل التعطيل وهي ثلاثة أقسام: انقسم أهل التعطيل في تعطيلهم لأسماء الله وصفاته إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أنكروا الأسماء والصفات.

القسم الثاني: أنكروا الصفات دون الأسماء.

القسم الثالث: أنكروا بعض الصفات، وأثبتوا الأسماء، وبعض الصفات.

القسم الأول: وهم الذين أنكروا الأسماء والصفات، وهم غلاة الجهمية، قالوا: لا يجوز أن نثبت لله اسماً ولا صفة، والوارد في القرآن والسنة، أسماء لبعض مخلوقات الله تعالى، وليست أسماء لله، وإنما تسمى الله بها على سبيل المجاز!، فهو في الحقيقة عندهم: ليس بحي، ولا عالم، ولا قادر، ولا سميع، ولا بصير، ولا متكلم، ولا يتكلم.

وهذا النوع يطلق عليه التعطيل الكلي للأسماء والصفات.

وعندما سئل ابن مبارك (رحمه الله تعالى)، عن حكم تكفير الجهمية فأجاب: بأن أولئك ليسو من أمة محمد، وكان يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

ولطائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم قالوا:إن الجهمية كفار، فلا يدخلون في الاثنين والسبعين فرقة، كما لا يدخل فيهم المنافقون، الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، الزنادقة.

والمأثور عن السلف والأئمة إطلاق أقوال بتكفير(الجهمية المحضة)، الذين ينكرون الصفات وهم أصحاب الأقسام الثلاثة السابقة.

وأما تعين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط، ثم عبدالله بن مبارك- وهما إمامان جليلان من أجلاء أئمة المسلمين – قالا: أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة.

فقيل لابن مبارك: والجهمية؟ فأجاب بأن أولئك ليسوا من أمة محمد(١).

القسم الثاني: وهم الذين قالوا: نثبت الأسماء دون الصفات، قالوا: إن الله سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وهكذا.

ولو سألتم: كيف يقولون: إنه سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر.

لقالوا: نعم ؛ لأن البصر صفة، ونحن ننكر الصفات، أما هذه الأسماء، فهي أعلام مجردة فقط، تذكر لمجرد العلمية، وليست أسماء تدل على معان!

وأعجب من ذلك أن منهم من يخالف المعقول والمنقول، ويقول: إن السميع والعليم والبصير شيء واحد، يسمّى الله به، كما تقول بر وقمح وحب؛ فهذه الأسماء كلها شيء واحد!

وقالوا: لو قام به صفة لكان جسماً، ولو كان جسماً لكان حادثاً، فيلزم من إثبات صفاته إنكار ذاته، فعطلوا صفاته وأفعاله بالطريقة التي أثبتوا بها وجوده، فكانت أبلغ الطرق في تعطيل صفاته وأفعاله، وعن هذه الطريق أنكروا علوه على عرشه، وتكلمه بالقرآن وتكليمه لموسى، ورؤيته بالأبصار في الآخرة، ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة، وجميع ما وصف به نفسه من وصف ذاتي، أو معنوي، أو فعلي(٢).

القسم الثالث: وهم الذين آمنوا بالأسماء وبعض الصفات، فهؤلاء هم الأشاعرة والماتريدية، نسبة إلى أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي- رحمهم الله-.

فقد نفى الفريقان جميع صفات الله تعالى ما عدا الصفات السبع الآتية: (العلم-الحياة- القدرة- الإرادة- السمع- البصر- الكلام-)، وزاد الباقلاني وإمام الحرمين من الأشاعرة صفة ثامنة وهي: (الإدراك) وزاد الماتريدية صفة: (التكوين).

والكلام الذي أثبتوه هو الكلام النفسي، وهو عندهم معنى قائم بالنفس لازم

---

(١) مجموع فتاوى ابن تمية ٣\٢٢٤.

(٢) (مختصر الصواعق المرسلة ص ١٤٦).

لذات الله تعالى لزوم الحياة والعلم، وأن الله عندهم لا يتكلم بمشيئته وإرادته، وأنه لا يتكلم بحرفٍ وصوت، وسنوضح ذلك لاحقاً إن شاء الله في فصل في كلام الله تعالى. وكذلك نفوا قيام الأفعال الاختيارية بالله - عزوجل - كالمحبة، والنزول، والاستواء، والرضى، والغضب، والفرح، ونحوها.

والمعطل والمؤول أو بالأحرى المحرف: اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات، وجمعوا بين أربعة محاذير: **الأول:** اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل، ففهموا التشبيه أولاً، ثم انتقلوا منه إلى **المحذور الثاني** وهو: التعطيل، فعطلوا حقائقها بناءً منهم على ذلك الفهم، الذي لا يليق بهم، ولا يليق بالرب سبحانه، **المحذور الثالث:** نسبة المتكلم الكامل العلم- وهو سبحانه- كامل البيان، التام النصح، إلى ضد البيان والهدى والارشاد، **المحذور الرابع:** تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها[1]. وأهل التعطيل هم: الأشاعرة والمعتزلة والجهمية والفلاسفة، ويدخل فيهم كل من نفى شيئا من الصفات.

من هو أبو الحسن الأشعري وما هو مذهبه :

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، من ذرية الصحابي أبي موسى الأشعري رضي الله عنهم ولد بالبصرة سنة: ٢٧٠هـ، ومرت حياته الفكرية بثلاث مذاهب:

المذهب الأول: مذهب المعتزلة، وبقي على هذا المذهب أربعين سنة.

المذهب الثاني: مذهب الأشاعرة، وهو المذهب الذي بين أهل السنة ومذهب المعتزلة، وهذا هو المذهب الذي بقي عليه أصحابه المنتسبون إليه.

المذهب الثالث: مذهب أهل السنة والجماعة الذي التزم فيه مذهب الإمام احمد - رحمه الله- وهو: إثبات الصفات جميعها لله تعالى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وفي هذه المرحلة كتب كتاب (الإبانة عن أصول الديانة)، الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم، الذي كان حامل لوائه الإمام احمد بن حنبل، ونودي على جنازته (اليوم مات ناصر السنة)[2].

ولهذا نعلم أن الأشاعرة لا تصح نسبتهم إلى أبي الحسن الأشعري، بعد رجوعه عما كان عليه.

---

(١) (الصواعق المرسلة ابن القيم ٤٨).

(٢) (الموسوعة الميسرة للأديان ٨٣/١).

قلت: وللأمانة العلمية: فقد عاد إمام الحرمين الجويني، وأبو المنصور الماتريدي كذلك إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وتوفيا والحمد الله على هذا المذهب.

رد أهل السنة والجماعة على المعطلة:

أولاً: إن نفيكم لما نفيتموه بحجة أن العقل لا يدل عليه، يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتم به ما أثبتموه، كما هو ثابت بالدليل السمعي. وذلك أن حكم الصفات واحد، فما يجب في بعضها من إثبات، أو نفي، أو لزوم تمثيل يجب في بعضها الآخر، ذلك أنها متماثلة من حيث إن الموصوف بها واحد، ومضمورها واحد، والواجب التسوية بين المتماثلات.

ثانياً: إن الرجوع إلى العقل باطل، لأن الرسول ﷺ وسلف الأمة لم يرجعوا إليه.

ثالثاً: العقول متناقضة لا يمكن الرجوع إليها، وتناقض الأدلة يدل على فسادها وبطلانها، وإذا كانت متناقضة فإلى أي عقل نرجع؟ إلى عقل فلان أم إلى عقل فلان؟ لا ندري**!!**

رابعاً: إن الرجوع إلى العقل يستلزم رد مادل عليه السمع من صفات الله - عز وجل- هذا لاشك أنه باطل؛ لأن كل شيء يستلزم رد ما جاء به الشرع؛ فإنه باطل بلا شك.

خامساً: إن ما وصف الله به نفسه من أمور الغيب، ولا يمكن للعقول إدراك ذلك، بل وجب علينا الإيمان بالأمور الغيبية على ما جاء بها الشارع.

سادساً: قلت: أن الله تعالى قد سمى نفسه ووصف نفسه بصفات، وسمى خلقه ووصفهم كذلك بصفات، ولا يعني هذا أن تتماثل هذه الصفات؛ بل التباين لا بد منه، فإنا نرى التباين بين المخلوقات جميعاً، فكيف بين الخالق والمخلوق؟

ومن الأمثلة على الأسماء:

سمى الله تعالى نفسه عليماً حليماً، وسمى بعض عباده عليماً، فقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٨]. يعني إسحاق، وسمى آخر حليماً، فقال:

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم(1).

قلت: بل نحن نرى العلم والحلم متبايناً بين المخلوقين عامة، وبين الأنبياء خاصة، فكيف لا يكون متبايناً بين الخالق الواهب للعلم والحلم، وبين المخلوق الموهوب؟! فإن واهب الشيء هو أحق به، فإن لله الكمال المطلق من كل الوجوه.

كذلك سمى الله نفسه بالجبار المتكبر فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ﴾ [الحشر: ٢٣] وسمى بعض خلقه بالجبار المتكبر فقال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾
[غافر: ٣٥].

وليس الجبار كالجبار، ولا المتكبر كالمتكبر، ويكفي من ذلك توعده سبحانه وتعالى لمن تكبر على الحق والخلق، ولبس رداءً لا يليق إلا بجلاله سبحانه، فقد قال رسول الله ﷺ في حديث قدسي: (**قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحد منهما، قذفته في النار**)(2).

ومن الأمثلة على الصفات:

وصف الله تعالى نفسه (بالقوة)، ووصف بعض مخلوقاته بالقوة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

وقال واصف خلقه: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ ﴾ [الروم: ٥٤].

---

(١) الرسالة التدمرية ص١٥ ابن تيمية و مجموع الفتاوى.
(٢) أخرجه أحمد ٢|٣٧٦.

وقال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] .

ولكن هل يعني هذا تشابه أو تماثل هذه القوة؟ فقد قال تعالى مبين ذلك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت: ١٥][1].

وكذلك وصف نفسه بـ: (المناداة) و (المناجاة).

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

ووصف عباده بـ (بالمناداة) و(المناجاة) فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحُجُرات: ٤]، وقال: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢]. وليس (المناداة) كـ (المناداة)، ولا(المناجاة) كـ (المناجاة)[2].

وأما طريقة سلف الأمة وأئمتها في ما تقدم، في إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عنه رسوله ﷺ، من غير إلحاد في أسمائه، ولا في آياته، فطريقتهم؛ هي: الصراط المستقيم، وهي: الحق الذي دل عليه السمع والعقل.

فإن العقل والفطرة كليهما يقتضي أن الله تعالى مستحق لكل كمال، ومستحق لتنزيهه عن كل نقص، فإذا كان المخلوق يوصف بالكمالات؛ فالله سبحانه أحق بالكمال، فـ (كلُّ كمال يوصف به المخلوق ولا نقص فيه؛ فالخالق أولى به، وكل نقص ينزه عنه المخلوق، فالخالق أولى بالتنزيه عنه)؛ فهو تعالى أحق بكل كمال، وأحق بالتنزيه عن كل نقص.

وقد دل السمع على ذلك، فقد جاء بإثبات الأسماء الحسنى، والصفات العلى لله تعالى إجمالاً وتفصيلاً، وجاء بتنزيهه تعالى عن النقائص والعيوب، وعن مماثلة المخلوقات.

إذاً فطريقةُ سلف الأمة مستمدة من الكتاب والسنة، فهم يعتمدون في هذا الباب على كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ وما جاء في هذا الكتاب والسنة؛ هو موجب العقل والفطرة؛ فالعقل الصريح لا يناقض النقل الصحيح،

---

(١) (شرح التدمرية للبراك ١٣٦).

(٢) (الرسالة التدمرية لابن تيمية ص١٦).

والغلو والتقصير[1].

فأهل التعطيل أفرطوا في التنزيه، وفرَّطوا في الإثبات؛ وهم: الجهمية ومن تبعهم. وأهل التمثيل أفرطوا في الإثبات، وفرَّطوا في التنزيه، فلم ينزهوا الله تعالى عن مماثلة المخلوقات.

وأهل السنة والجماعة توسطوا، فلا إفراط ولا تفريط ، ولذلك أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ؛ إثباتاً بلا تمثيل،وتنزيهاً بلا تعطيل، فخالفوا المعطلة والممثلة، حيث أثبتوا إثباتاً بلا تمثيل ونزهوا الله عن جميع النقائص والعيوب، فخالفوا الطائفتين فأهل السنة والجماعة بريئة من كل البدع التي وقع فيها غيرهم.

أما أهل الضلال؛ فهم بين معطل، وممثل، ومحرف، ومفوض، والكل ملحد في أسماء الله وآياته.

وهؤلاء الذين لا يصفون الله تعالى إلا بالصفات السلبية المحضة على وجه التفصيل، يستلزم قولهم غاية التعطيل، أي يؤولون إلى إنكار وجود الله تعالى؛ حيث عطلوا الله تعالى عن أسمائه وصفاته، تعطيلاً يستلزم نفي الذات؛ لأنه يمتنع وجود ذات مجردة عن الصفات، ولهذا قال شيخ الإسلام: (ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات)[2].

ولهذا قال السلف الصالح في الجهمية: أنهم يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إلهٌ يعبد؛ وذلك بجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله، التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله، وكذلك يتضمن التكذيب لكلام الله ورسوله، والافتراء على الله كذباً، قال تعالى: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الزُّمَر: ٣٢].

---

(١) (العقيدة الواسطية ص١٤٦).
(٢) (الرسالة التدمرية).

مذهب غلاة المعطلة

يقول شيخ الإسلام في التدمرية: (فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين، فيقولون: (لا موجود ولا معدوم)، (ولا حي ولا ميت)، (ولا عالم ولا جاهل)؛ لأنهم - بزعمهم- إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات، فسلبوا النقيضين، وهذا ممتنع في بداهة العقول[1].

فمذهب غلاة المعطلة أنهم يصفون الله تعالى بسلب النقيضين.

والنقيضان في اصطلاح المناطقة: (هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان معاً)[2]، (كالوجود، والعدم)، (والحركة، والسكون في الشيء الواحد والوقت الواحد).

فهؤلاء الغلاة يقولون عن الله تعالى إنه: (لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل)[3].

فالتعطيل: سَلب الصفات الثبوتية عن الرب تعالى، أما هؤلاء فغلوا حتى سلبوا عنه النقيضين؛ أي الصفة ونقيضها. وهذا المذهب يصدق على الباطنية القرامطة.وسيأتي تعريفها.

وسلب النقيضين ممتنع في بداهة العقول؛ أي: أن فساده وامتناعه أمرٌ بدهي مدرك، لا تحتاج معرفته إلى نظر وطول فكر.

وقد جرهم هذا المذهب الباطل الذي خالفوا فيه كتاب الله وسنة رسولهﷺ؛ إلى تحريف نصوص الوحيين. والمقصود بالتحريف هنا: التحريف المعنوي.

وتحريف الباطنية للنصوص الشرعية شرأنواع التحريف، فإنه ليس عليه أي دليل؛ بل هو صرف للنص الشرعي عن ظاهره دون أي دليل ولا قرينة، فهو من باب اللعب بمعاني الألفاظ الشرعية؛ كتحريفهم معنى قول الله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، قالوا: (علي وفاطمة)، وفي قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المَسَد: ١]، قالوا: (أبوبكر وعمر)[4]، وهكذا

---

(١) التدمرية ص١١.
(٢) شرح الكوكب المنير ٦٨/١.
(٣) مجموع الفتاوى ١٩٧/٥.
(٤) من التفاسيرالرافضة\ التفسير الصافي ١٠٩\٥.

تحريفهم لمعاني الشرائع.

من هم القرامطة: هي طائفة ظهرت في(الأحساء) آخر القرن الثالث، سمّوا (القرامطة) نسبة إلى أحد زعمائهم؛ وهو (حمدان قرمط)[١]، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وحقيقتها الإلحاد والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية[٢].

وقد تطلق القرامطة ويراد بها: الباطنية بمعناها العام؛ لأن القرامطة هم سلف الباطنية، وأصلهم، فكل قرمطي باطني وإن كانت الباطنية أعم، ويدخل في الباطنية: كل من جعل للنصوص ظاهراً وباطناً، فيدخل فيهم: الإسماعيلية والنصيرية، والدروز، والأتحادية من ملاحدة الصوفية[٣].

وأكثر ما تطلق الباطنية على الرافضة، وكما قال بعض العلماء(يظهرون الرفض، ويبطنون الكفر المحض)[٤]

مذهب أهل السنة والجماعة في تقديم النقل على العقل:

إن مذهب أهل السنة والجماعة هو: تقديم النقل على العقل مع عدم إهمال العقل إذا كان له دور، وذلك في تقصيه المختلفات من النصوص وحملها على الوجه الأليق بها، وهو المسمّى: (بالرأي الصحيح).

وحجة المعطلة: أن دلالة كل لفظ على معناه دلالة ظنية، وذلك لتطرق الاحتمال إليها، بسبب ما يعتري الألفاظ من إجمال، وإبهام، وحذف، أو اشتراك، وحقيقة، ومجاز، وقالوا: إنها أدلة لفظية لا يجوز التعديل عليها في مسائل الاعتقاد التي لا يكفي فيها الظن، بل لا بد فيها من العلم اليقيني الذي لا يتطرق إليه الاحتمال، وهذا عندهم لا يستفاد إلا من البراهين العقلية التي تفيد القطع والجزم، أي إن نصوص الوحيين من الكتاب والسنة لا تفيد اليقين.

ولو كان العقل الذي ينسبون إليه ما يسمونه (بالحجج العقلية) شيئاً له كيان مستقل إذا طرحت عليه المسائل أجاب بجواب واحد عن كل مسألة، وهذا الجواب معصوم من الخطأ، (لأمكن أن يكون مرجعاً) عند النزاع في أصول الاعتقاد، كما هو حال القرآن في أجوبته عنها: إذ هو كتاب مستقل معروفة آياته لا يقبل الزيادة ولا النقصان، اتفق المسلمون جميعاً على قطعية ثبوتيته، وليس

---

(١) (شرح التدمرية ص ١٠٧).
(٢) الموسوعة المسيرة الإديان ٣٧٨\١.
(٣) شرح التدمرية ص ١٠٦.
(٤) مجموع الفتاوى ١٣٤\٩.

الأمر كذلك بالنسبة (للعقل)، فالعقل المقصود حقيقته العملية ما يعقله كل عاقل، أي رأيه وما يصدقه ويستسيغه هو بعقله.

وبما أن كل إنسان يمكن أن يعقل أو يرى مالا يعقله أو يراه الآخر، فلا بد من تعدد الآراء وتضارب (الحجج العقلية) إلا فيما اتفقت عليه عقول البشر كالبديهيات، أو الأمور العلمية البحتة كالرياضيات، أو ما يدخل تحت التجربة والمشاهدة.

وعلى هذا فإن ما تسمعه من قولهم: العقل يحكم بكذا ويقضي بكذا فهو تدليس ولعب بالألفاظ ! لأن العقل المطلق ليس هنا عقلاً واحداً لا يخطئ يرجع إليه كل العقلاء، وإنما هو عقل المتكلم نفسه، أي ما يراه هو بعقله! فهو رأي من الآراء لا أكثر.

وقد يختلف فيه مع غيره من العقلاء، فيرى غيره بعقله ويحكم بغير مايراه هو، ويحكم به وهكذا[١]...!

وقال محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: اعلم أن أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس، ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضته الأمر، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار، على مادة آدم وهي الطين[٢].

وقال شيخ الإسلام في معرض رده على المتأولين الذين ينكرون الصفات الثابتة في الكتاب والسنة: (فليت شعري بأي عقل يوزن الكتاب والسنة، ورضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال: (أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء).

ويردعليهم كذلك بما يلي:

١. أن الرجوع إلى العقل في هذه الأمور باطل شرعاً وعقلاً.

أما شرعاً، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

أما بطلانه عقلاً: فلأن هذه الأمور من الأشياء التي تتلقى بالخبر؛ لأن الخالق- عز وجل- ليس كمثل الخلق، فلا يجوز عليه ما يجوز عليهم، ولا يمتنع عليه ما يمتنع عليهم ، ولا يجب له ما يجب لهم، فهو مخالف للخلق، وإذا كان مخالفاً للخلق فلا يحكم الخلق عليه بعقولهم، وكيف يحكم الخلق عليه وهم لم

---

(١) (القواعد السديدة في حماية العقيدة للدليمي ص ٣٣،٣٤)
(٢) (الملل والنحل).

يشاهدوا الله، ولا نظيراً لله، فكان في الشرع والعقل ما يبطل الاعتماد على العقل في هذه الأمور[(١)].

ويقول ابن القيم الجوزية: وأن كلام غير كلام رسول الله ﷺ يعرض على كلامه، فإن وافقه قبلناه،لا لأنه قاله، بل لأنه أخبر به عن الله تعالى ورسوله، وإن خالفه رددناه، ولا يعرض كلامه على آراء القياسيين؛ ولا عقول الفلاسفة والمتكلمين، ولا أذواق المتزهدين، بل تعرض هذه كلها على ماجاء به، عرض الدراهم المجهولة على أخبر الناقدين، فما حكم بصحته فهو منه مقبول، وماحكم برده فهو مردود[(٢)].

حكم هذا المذهب وإبطاله:

إن المعطل صرف نصوص الصفات عن ظاهرها، مخالفاً لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الميامين، وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً لأن الحقَّ بلا ريب فيما كان عليه النبي وأصحابه وسلف الأمة، فتعطيل الصفات كتعطيل الذات، كذلك صرف كلام الله ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالف به قول الله بلا علم هو فعل محرم، وذلك لقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] وقوله: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ [الإسراء: ٣٦] ومعنى قوله تعالى (لا تقف): أي لا تتبع ما لا تعلم ولا يعنيك، وقال قتادة: (لا تقل رأيتُ وأنت لم ترى، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما).

وقال مجاهد: لا تذم أحداً بما ليس لك به علم ، وقال محمد بن الحنفية: هي شهادة الزور، وقال القتبي: المعنى لاتتبع الحدس والظنون[(٣)]. وقال ابن كثير في مضمون هذه الآية: إن الله تعالى نهى عن القول بلاعلم، بل بالظن

---

(١) (شرح السّفارينية للعثيمين) ١٦٥.
(٢) (الصواعق المرسلة ص ٤٩).
(٣) (تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢١١) .

الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحُجُرات: ١٢] وفي الحديث: (**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**)(١).

إذاً فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ عن ظاهره إلى معنى يخالفه، قد قفا ما ليس له به علم، وقال على الله ما لايعلم، ورضي لنفسه أن يعبد صنماً قد نحته بفكره وذهنه، ونسجه بخياله، كما يعبد المشركون أصناماً نحتوها بأيديهم من الحجارة، وكذلك نسب المعطلة كل الرسل - عليهم السلام- إلى جحود الحق وكتمانه، إذا كان الحق ما ذهب إليه من التعطيل.

المعطل شرٌ من المشرك:

قال العلامة محمد الهراس في شرح القصيدة النونية: إن المعطل شرٌ من المشرك وأسوأ منه عقيدة في ربه عزوجل وليست هذه دعوى تقال باللسان، ولكنها مدعمة بالدليل والبرهان، وقال: إن التعطيل نوعان:

أولاً: جحد الذات وعدم الإقرار بوجودها، وهو تعطيل الدهرية الذين ينكرون الصانع ويقولون ماحكاه القرآن عنهم: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٧].

ثانياً: تعطيل الذات عن صفات الكمال لها، فهذان تعطيلان يتضمنان الطعن في حقيقة الألوهية، والتنقيص من شأنها.

وأما الشرك: فليس فيه طعن في ذات الألوهية، فالمشرك مقر بالألوهية للرب سبحانه، ولكنه يظن أنه لا يستطيع أن يبلغ منه مكان الرضا، إلا إذا توسل إليه بما يعبده من حجر، أو بشر، أو قبر، أو غير ذلك مما يتخذه المشركين وسائط فيما بينهم وبين الله، يزعمون أنها تقربهم إليه زلفى، فالشرك تعظيم للمشرك به، ولكنه تعظيم بجهل، نشأ من قياس فاسد، وهو قياس الرب سبحانه بالملوك والأمراء والسلاطين، فلما رأى المشركون أنه لايمكن الدخول على أحد من هؤلاء، ولا الاتصال به، والحظوة لديه، إلا بوساطة، ظنوا أن الله كواحد من هؤلاء، فاتخذوا له الوسائط والشفعاء، وكان الذي جر عليهم تلك الداهية الدهياء هو القياس، الذي فساده من الظّهور والبيان بحيث تدركه بداهة الإنسان(٢).

---

(١) (تفسير ابن كثير ص٥٧).
(٢) (شرح القصيدة النونية للهراس).

ونقول: فالتعطيل بحسب ما ترك من واجب الله تعالى خمسة أنواع وهي كما يلي:

أولاً: التعطيل المطلق: فالمنكرون لوجود الرب عطلوا أعظم تعطيل، حيث يقولون: ليس هناك رب، وإنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، فهؤلاء عطلوا وجود الله أصلاً.

ثانياً: تعطيل ألوهيته تعالى: فالمشركون الذين يعبدون مع الله غيره عطلوا الله عما يجب له من العبادة؛ لأن الواجب إخلاص العبادة لله وحده. فهؤلاء، الذين يعبدون مع الله غيره عطلوا الله عن التوحيد الخالص.

ثالثاً: تعطيل أسمائه: فالذين عطلوا أسماء الله قالوا: إن الله تعالى ليس له أسماء، وإن ماينسب إليه من الأسماء، فإنما هي أسماء لمخلوقاته وليست له، فهذا تعطيل شديد أيضاً.

رابعاً: تعطيل الصفات: حيث يقول الذين عطلوا الصفات: إن الله له أسماء لكن ليس له صفات، فلاسمع، ولابصر، ولاكلام، ولاإرادة، ولاقدرة، فينكرون الصفات أصلاً، وهذا أيضاً تعطيل، حيث عطلوا الله عما يجب له من الصفات.

خامسا: التعطيل لبعض الصفات: حيث يثبت أصحاب هذا النوع من التعطيل شيئاً من الصفات، وينكرون أشياء من الصفات، فمنهم من يعطل صفات الأفعال فقط، ومنهم من يعطل كل صفة لايدل عليها العقل بزعمه ويختلفون في هذا.

فصار التعطيل بذلك أنواعاً خمسة:

أولاً: تعطيل المطلق: وهو تعطيل وجود الخالق.

ثانياً: تعطيل ألوهيته: بأن يعبد غيره.

ثالثاً: تعطيل أسمائه: بأن تنفض عنه الأسماء، والذين ينفون الأسماء ينفون الصفات من باب أولى.

رابعاً: تعطيل الصفات: فيقال: إن الله له أسماء وليس له صفات.

خامساً: تعطيل بعض الصفات: وهذا يختلف فيه الناس كثيرا، فمنهم من يعطل كثيراً من الصفات ومنهم من يعطل قليلا منها.

وقول المؤلف من غير تكييف:

أي: إن الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، متقدمهم ومتأخرهم، هو: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو أوله على غير ما ظهر من معناه، فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المسلمين.

والتكييف مأخوذ من الكيفية؛ وهي: (هيئة الشيء الذي هو عليها) ويستفهم عن الحال بـ (كيف)[١].

فالتكيف: تحديد كُنْهِ الصفة، أو السؤال عنها بـ (كيف)؛ لأن السائل عنها بـ (كيف)، يريد تحديدها وبيان(كُنْهها)، وصفات الله سبحانه لا يجوز تكييفها والتعرض لكيفيتها، ولا السؤال عن ذلك.

قال سفيان بن عيينة: (كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته، والسكوت عنه، ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله ﷺ).

نفي تكييف لا كيفية:

والمراد من قول المؤلف من غير(تكييف) أي: من غير البحث أو السؤال عن (الكيفية)، لا نفي (الكيفية)، لأننا نعلم أن الله تعالى له صفات لها كيفية، ولكن نحن لا نعلم هذه الكيفية، ولو نفينا هذه الكيفية نكون قد نفينا الأصل؛ إذ ما من شيء يكون إلا وله كيفية، ولكن المنفي هو التكييف[٢].

فالكيفية لا يجوز للعبد التعرض لها، وأهل السنة لا ينفون الكيفية، ولكن ينفون التكييف، أي ينفون العلم بالكيفية، وذلك لأن الصفة تابعة للذات، فكما أن ذات الله لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها، فكذلك صفة الله سبحانه لا نعلم كيفيتها[٣].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١٥٠/٥.
(٢) جامع شروح السفارينية ص ٢٩٦.
(٣) (شرح التدمرية للبراك ص٧٨).

ولو كان ذلك مطلوباً من العباد في الشريعة لبينه الله ورسوله ﷺ ولم يدع للمسلمين حاجة إلا بيّنها ووضحها، وقد قال الإمام مالك بن أنس عندما سئل عن الكلام في التوحيد قال: (محال أن يظن بالنبيﷺ أنه علّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد).

وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٨].

والمعنى: واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه، لا تعدلوا عنه[١].

وقال العلامة محمد السفاريني:

سبحانه قد (استوى) كما ورد	من غير كيف قد تعالى أن يحد
فلا يحدُ علمنا بـ (ذاته)	كذاك لا ينفك عن صفاته

فذات الله سبحانه لا يمكن أن يحيط بها العلم، وإذا كان الحس لا يحيط بها فالعلم من باب أولى، قال الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. فإذا كان البصر لا يدرك الله مع مشاهدته له، فكذلك العلم المبني على مجرد التخيل والتصور لا يمكن أن يحيط بالله عز وجل لأن الله أكبر وأعظم من كل شيء[٢].

وأهل السنة والجماعة لا يكيفون صفات الله مستندين في ذلك إلى الدليل السمعي والدليل العقلي: **أما الدليل السمعي**، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، الشاهد في قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

فكيف نصف الله أو نكيف الصفات دون علم؟، فهذا افتراء على الله وعلى رسوله[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ج٢-٣٨٢.
(٢) جامع شروح السفارينية ص٣٠٨.
(٣) شرح الواسطية لابن عثيمين ٧٨.

وقال نعيم بن حماد شيخ البخاري: (من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس فيما وصف الله به نفسه أووصفه به رسوله ﷺ من تشبيه)[١].

وقال العلامة موفق الدين المقدسي في لمعة الاعتقاد: (ولا نرد شيئاً منها- أي صفاته تعالى ونصفه بما وصف به نفسه، ولانزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن)[٢].

أما الدليل العقلي هو: أن كيفية الشئ لاتدرك إلا بواحدة من ثلاث أمور:

الأول: مشاهدته.

الثاني: مشاهدة نظيره.

الثالث: أو خبر صادق عنه.

أي إما أن تكون شاهدته أنت وعرفت كيفيته، أو شاهدت نظيره، فكيف ذلك وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا﴾ [طه: ١١٠]، أو أتاك خبر صادق عنه. (شرح الواسطية لابن عثيمين ٧٨).

وسمع الإمام أحمد رحمه الله شخصاً يروي حديث النزول ويقول: ينزل بغير حركة ولا انتقال، ولا تغير حال، فأنكر الإمام أحمد عليه ذلك وقال: (قل كما قال رسول الله ﷺ فهو كان أغير على ربه منك).

ولأهل السّنة والجماعة: أن الله تعالى لا يلحقه الوهم، ولا يكيفه العقل، ولذا قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، وقال المصطفى ﷺ (لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [٣].

وقال بعض الأئمة: جمع أهل الحق جميع ما قيل في التوحيد في كلمتين:

أحدهما: أن كل ما تصور في الإفهام فالله بخلافه.

الثانية: اعتقاد أن ذاته ليست مشبهة بذات، ولا معطلة عن الصفات، وقد أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[٤].

---

(١) رواه اللالكائي.
(٢) شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين ص٣٧.
(٣) أخرجه مسلم ٤٨٦ تنبيهاً منه على نفي التشبيه والتكيف واعترافاً للغني الحميد بالجلال والعظمة.
(٤) جامع شروح السفارينية ص ٣١٢.

ويرحم الله القائل:

كـــل مـــا ترتقـــي إليـــه بـــوهم مـــــن جـــلال وقـــدرة وثنــــاء
فالـــذي أبـــدع البريـــة أعلـــى منـــه ســـبحانه مبـــدع الأشـــياء

وهنالك كلام للسلف يدل على أنهم يفهمون معاني ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الصفات؛ كما نقل عن الأوزاعي وغيره؛ نقل عنهم أنهم قالوا في آيات الصفات وأحاديثها: (أمروها كما جاءت بلا كيف)، وهذا يدل على أنهم يثبتون لها معنى من وجهين:

الأول: أنهم قالوا: (أمروها كما جاءت) ومعلوم أنها ألفاظ جاءت لمعاني ولم تأتي عبثاً، فإذا أمررناها كما جاءت، لزم من ذلك أن نثبت لها معنى.

ثانياً: قولهم: (بلا كيف)، لأن نفي الكيفية يدل على وجود أصل المعنى؛ لأن نفي الكيفية عن شيء لايوجد لغواً وعبثاً[1]، ويقول ابن تيمية: إذا قال لك السائل: كيف ينزل الله، أو كيف استوى، أو كيف يعلم، أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لاأعلم كيفية ذاته؛ فقل له: وأنا لاأعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف[2].

وقوله لا تمثيل:

فأهل السنة يتبرؤون من تمثيل الله عز وجل بخلقه؛ لا في ذاته ولا صفاته[3].

والتمثيل: مأخوذ من (المثِل) وهو: النظير[4].

فالتمثيل هو: الحكم على الشيء بأنه مثلٌ لشيء آخر. والمراد (بالتمثيل) هنا: (تمثيل الخالق بالمخلوق أو تمثيل المخلوق بالخالق)[5].

وأهل السنة والجماعة يتبرؤون من التمثيل في صفاته تعالى، ويثبتون له سبحانه الصفات بدون مماثلة، والدليل الذي يعتمد عليه في صفات الله تعالى هو الأثر فقط، والأثر يتمثل في أمور ثلاثة: الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة؛ فهذه هي مصادر التلقي بالنسبة للصفات.

---

(١) الواسطية لابن عثيمين ص ٨١.
(٢) (مجموع الفتاوى ج٥ ص٢٠٩).
(٣) (الواسطية لابن عثيمين ص٨١).
(٤) معجم مقاييس اللغة ٥ - ١٩٦.
(٥) (شرح التدمرية ص٧٨).

على ماذا يعتمد الممثلة وغيرهم:

أما عند غير أهل السنة والجماعة فالدليل المعتمد عليه في هذا الباب هو العقل، وهذا مذهب الأشاعرة والمعتزلة والجهمية وغيرهم، فيقولون: ما اقتضى العقل إثباته أثبتناه، وإن لم يوجد في الكتاب والسنة، وما اقتضى العقل نفيه نفيناه، وإن وجد في الكتاب والسنة، وما لا يقتضي العقل إثباته ولا نفيه فأكثرهم نفاه، لعدم وجود الدليل المثبت، والأصل العدم، فما دام العقل لم يثبته فيجب نفيه، وبعضهم توقف فيه لعدم الدليل المثبت والنافي، وقال: لا نثبت لعدم وجود الدليل المثبت، ولا ننفي لعدم وجود الدليل النافي، لكن الأكثر على النفي لقولهم: إذا لم يوجد دليل فالأصل عدم الثبوت؛ فننفيه.

مذهب أهل السنة في ذلك: فما جاء فيه الدليل من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فإنه ثابت عندهم، ولا يجوز أن ينفوه تكذيباً ولا تحريفاً، والدليل على وجوب ثبوته من النقل والعقل ما يلي:

أما النقل: فلأن الله أثبت هذه الأسماء والصفات في كتابه فقال:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾ [الكهف: ٥٨] وقال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

فأثبت الأسماء والصفات الخبرية والذاتية.

أما الدليل من العقل: فهو أن صفات الله عز وجل وأسمائه أمور خبرية غيبية لا مدخل للعقل في تفصيلها، فوجب الاعتماد فيها على النقل، فما أثبته النقل أثبتناه، وما نفاه نفيناه، وما سكت عنه توقفنا فيه، لا نثبت ولا ننفي.

لهذا روي عن ابن مبارك أنه قال: من قال لك يا مشبه فعلم أنه جهمي.

الصفات التي دل عليها النقل:

ومنها: **صفة اليدين** فقال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠].

﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائـــدة: ٦٤] ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] وفـــي

حديث: (**يمين الله ملأى**)[١].

(**وكلتا يدي ربي يمين**)[٢].

(**ويقبض أصابعه ويبسطها**) [٣].

وغير ذلك مما ثبت مما لا يحصى، فيداه صفتان من صفات ذاته بإجماع السلف.

وكل شيء ورد من صفات الله من نهج اليد والوجه ونحوهما، كالقدم والرجل والساق، نثبته كما جاء في كلام الله، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢] .

وفي الحديث: (**حتى يضع رب العزة فيها رجله**)[٤]، ونقر ما أتى عن الله على مراد الله، ونؤمن بذلك ونصدق به، ونعتقد أن له معانٍ حقيقة، على ما يليق بجلال الله وعظمته[٥].

الصفات التي نفاها الله عن نفسه :

ومنها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فنفى سبحانه عن نفسه: السِّنة والنوم، والسِّنة: بداية النوم، والنوم معروف، وهو أخو الموت؛ لكنه دونه، ونفي السنة والموت؛ يتضمن كمال الحياة والقيومية، فحياته لا يعتريها نقص، وقيوميته كذلك[٦].

وقوله كذلك: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سبأ: ٣] يتضمن كمال علمه بكل شيء.

---

(١) متفق عليه وللبخاري برقم ٧٤١٩.
(٢) مسلم برقم ١٨٢٧.
(٣) مسلم ٢٧٨٨.
(٤) رواه البخاري برقم ٦٦٦١.
(٥) جامع شروح السفارينية ٢٨٧.
(٦) شرح التدمرية ص٢٢١.

ومن السنة كذلك قوله ﷺ: (**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**)[1]، ونفى عن نفسه الظلم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠] ومن السنة قال رسول ﷺ في ما يرويه عن ربه: (**يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلاتظالموا**)[2].

الدليل العقلي على امتناع التمثيل:

أن الخالق مباين للمخلوق في ذاته ووجوده ومرتبته.

أما في ذاته: فإن كل أحد يعلم بأن الخالق ليس كالمخلوق؛ فالمخلوق خلق من مادة ومن عناصر مكونة يقوم بعضها ببعض، والخالق ليس كذلك، فليس من جنس العناصر، ليس من جنس الذهب ولا الحديد، والزجاج ولا التراب، فهو مخالف لجميع الأجناس المخلوقة، وليس من جنسهم.

كذلك أيضاً في الوجود: فالمخلوق وجوده ممكن، والخالق وجوده واجب، وقلنا: المخلوق وجوده ممكن؛ لأنه يجوز عليه العدم، وكل ما نشأ من عدم فإنه يجوز عليه العدم، أما الخالق فوجوده أزلي أبدي.

وأما في المرتبة: فالخالق فاعل والمخلوق مفعول، والفاعل أكمل من المفعول، فلا يمكن أن يجعل البناء كالباني، فلا يجعل القصر كالذي بناه.

فلما كان الخالق مخالفاً للمخلوق في ذاته ووجوده ومرتبته، لزم من ذلك أن يكون مخالفا ًله في صفاته؛ لأن الاختلاف في الذات يستلزم الاختلاف في الصفات؛ ولهذا نقول: إن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته سمعاً وعقلاً.

ويقول ابن تيمة: رحمه الله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك: أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها. فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه، هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى

---

(١) رواه مسلم برقم ٢٩٣.
(٢) اخرجه مسلم ١٣٢\١٦.

ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته[1].

مذهب السلف: إثبات الصفة، ونفي المماثلة:

ويقول ابن تيمية- رحمه الله- فإن الله سبحانه و تعالى أخبرنا كما في الجنة من المخلوقات، من أصناف: المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح، والمساكن، فأخبرنا أن فيها: لبناً، وعسلاً، وخمراً، وماءً، ولحماً، وحريراً، وقصوراً، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء).

فإذا كانت تلك الحقائق التي أخبرنا الله عنها، هي موافقة للأسماء في الحقائق الموجودة في الدنيا، وليست مماثلة لها، بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى؛ فالخالق سبحانه أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق[2].

ويقول ابن عثيمين رحمه الله في القواعد المثلى: إنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، ثم يقول: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يداً ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد، وهذه يد، وهذه قوة، وهذه قوة، وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم، لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة[3].

اختلاف العلماء في قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، كلمة (شيء) هنا: نكرة في سياق النفي، فتعم كل شيء؛ أي: ليس هناك شيء أبداً مماثلٌ لله، وقد وقع في (الكاف) جدل كبير بين العلماء؛ لأن وجودها مع (مثل) مشكلة، إذ كل منهما يدل على التشبيه أو التمثيل؛ فلو قلت: ليس مثل مثله شيئاً، فمعناه: أنك أثبت المثل ونفيت المماثلة عن هذا المثل؛ (أي كأنك تقول: فلان مثل الله بالكرم، وليس مثل كرم

---

(١) مجموع الفتاوى ج ٥- ص ٢٠٩.
(٢) شرح الرسالة التدمرية ص١٩٠.
(٣) القواعد المثلى ص ٢٩.

فلان شيء)، هنا أثبت المماثلة لله تعالى ونفيت المماثلة عن مثله، وهذا تناقض؛ لأنك إذا نفيت المماثلة عن المثل لم تثبت وجود المثل، وهذا يقتضي التناقض الظاهر.

ولهذا فقد اختلف العلماء في هذه(الكاف): فمنهم من قال: إن (الكاف) زائدة، فتقدير الكلام: ليس مثله شيء. ومنهم من قال: إن (مثل) هي الزائدة فتقدير الكلام: ليس كهو شيء، فالزائد إحدى هاتين الكلمتين، ولاشك أن القول بزيادة (الكاف) أولى من القول بزيادة (المثل)؛ لأن زيادة الحروف كثيرة في اللغة العربية، لكن زيادة الأسماء قليلة جداً، فضلاً عن كونه موجوداً أصلاً.

ما يجوز من ضرب الأمثال وما لا يجوز:

أن ما عليه أهل السنة والجماعة: أن ضرب الأمثال التي تتضمن تعظيم الله تعالى وتبين أنه سبحانه أولى بالكمال، وأولى بالتنزيه عن النقائص من خلقه؛ هي من باب المثل الأعلى الذي ضربه الله لنفسه في كتابه، فقال:

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠].

والمثل الأعلى يتضمن قياس الأولى؛ وهو: (أن كل كمال يثبت للمخلوق لانقص فيه ؛ فالخالق أولى به)[1].

فمثلاً نقول: (العلم صفة كمال، والمخلوق يتصف بالعلم؛ فالخالق أولى بالاتصاف بصفة الكمال هذه من المخلوق، لئلا يكون المخلوق **أكمل** من الخالق، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] وقال:﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩]، وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] ويقول ابن تيمية: (والله سبحانه لاتضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه، بل له المثل الأعلى) وهذا مما لايجوز من الأمثال، وهي أن تكون مماثلة له في خلقه، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٧٤]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥] (فلا يجوز أن يشترك الخالق والمخلوق في

(١) العقيدة التدمرية.

قياس تمثيل، ولا في قياس شمول تستوي أفراده)[١].

ومقياس الشمول: (مصطلح منطقي معروف؛ وهو: الدليل المكون من مقدمتين فأكثر، يلزم عنهما لذاتهما قولاً آخر)[٢].

والمقدمة؛ هي: (القضية التي تكون جزء الدليل) وقياس التمثيل؛ هو: القياس المعروف عند الأصوليين؛ وهو: (إلحاق فرع بأصل في حكم؛ لعلةٍ جامعة بينهما)[٣]. وأهل البدع يستعملون قياس الشمول في حق الرب تعالى، ومن ذلك قولهم: (الصفات لاتقوم إلا بجسم، وكل جسم مركب، فلو كان لله تعالى صفات؛ لكان جسماً، ثم لكان مركباً؛ فيلزم من ذلك: (التركيب، والتشبيه)، فينفون عن الله تعالى الصفات، بناءً على أنه يلزم في حق الخالق ما يلزم في حق المخلوق.

فلا يجوز أن يستعمل في حق الرب تعالى هذا القياس، وإنما يستعمل في حقه: قياس الأولى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾[النحل: ٦٠] [٤].

قلت : والقياس التمثيلي وهو إلحاق أصلٌ بفرع، أو مساواة الشيء بنظيره، مثل قياس الأرز على الأصناف الستة في الربا، أو زكاة الفطر، لأن هذا مطعوم وهذا مطعوم، وهذا حب وهذا حب . نخرج بنتيجة وهي : أن يأخذ الأرز حكم البر - مثلاً - أو حكم الحبوب .

أما قياس الشمول وهو ما يستخدم عن المناطقة في علم الكلام وهو مساواة الشيء بالمستوي معه المماثل في الحقيقة بجامع إندراجهما معاً تحت أصل كلي شامل لهما، ففلاسفة اليونان، ومن سلك طريقهم يقولون : إذا قلنا : إن له يد فمعنى ذلك أن لهو جسماً، وكل جسم هو جواهر وأعراض. وهذا القدر هو أصل ضلالهم، فلا نستخدم في العلم الإلهي لا قياس تمثيل ولاقياس الشمول، لأنه تعالى ليس كمثله شيء، فالمثليه منفية عن الله سبحانه وتعالى لأنه لا يوجد اصل يقاس عليه سبحانه وتعالى، ثم نلحقه به بجامع علة بينهما، بل لله المثل الأعلى، ويستحيل أن يشترك في هذا المثل اثنان، لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر.

(١) درء تعارض العقل والنقل-٢١- ٢٩.
(٢) حاشية الأخضري ص٣٣.
(٣) روضة الناظر٧٩٧/٣.
(٤) (شرح التدمرية للبراك ٢٠٠- ٢٠١).

عقيدة أهل السنة والجماعة في الإثبات والنفي في صفات

(وهو منهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام -):

يقول ابن تيمية ﷺ **التدمرية:** (والله - سبحانه- بعث الرسل بإثبات مفصل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الصفات على وجه التفصيل، ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل، كما قال:

﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥] وقال تعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[الإخلاص: ٣ - ٤] [(١)].

فقول ابن تيمية: (والله سبحانه بعث الرسل بإثبات مفصل) الخ... أي: بإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال على وجه التفصيل، وبنفي ما لا يصلح له سبحانه على وجه الإجمال، فالمدح يكون بإثبات الكمالات، وبنفي المعايب والنقائص.

والطريقة المثلى في المدح: أن تذكر المحامد مفصلة، وتنفى المعايب مجملة، فطريقة الرسل في الإثبات والنفي؛ هي الموافقة للعقل، والذوق السليم، والأدب الرفيع.

والمراد **(بالإجمال)**؛ هو: التعميم والإطلاق والمراد **(بالتفصيل)**

هو: التعيين والتخصيص، ويتضح هذا بالأمثلة، فتقول في النفي المجمل: (فلان متنزه عن الرذائل)

وتقول في النفي المفصل: (فلان ليس بجبان)، (ليس بفاحش)، (ليس بلعان)، وتقول في الإثبات المجمل: (فلان ذو أخلاقٍ جميلة)، و(ذو صفات حميدة)، وتقول في الإثبات المفصل: (فلان كريم، وشجاع، وصبور، وحليم، وحافظ، ومِقدام)، وطريقة الرسل هي: الإجمال في النفي و التفصيل في الإثبات.

وهذا أمر أغلبي، وليس بمطرد، فمعنى ذلك: أن الإثبات قد يأتي مجملاً، كما أن النفي قد يأتي مفصلاً.

---

(١) شرح التدمرية ص٩١.

وقد ساق شيخ الإسلام بعد ذلك، شواهد النفي المجمل، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾، وقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾، ومثلها في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، وقد اشتملت هذه الآيات على: نفي (الكفو)، و(الندّ)، و(السّمي)، و(المثل)، وهي معان متقاربة فكلها تفسر بـ (الشبيه)، و(النظير) وما أشبه ذلك (الصحاح ١- ٦٨) فنفي (الكفو)، و(الند)، و(السمي)، و(المثل)؛ نفي مجمل.

وأما الإثبات المفصل فإن نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٣ - ٢٤].

الفرق بين التشبيه والتمثيل:

التشبيه: إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله، ويتضمن النقص في حق الله حيث شبهه بالمخلوق الناقص.

والتمثيل: إثبات مماثل لله فيما يختص به من حقوق أو صفات، وهو كفر؛ لأنه من الشرك بالله وتكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١][(١)]، يتضمن النقص في حق الله حيث مثله بالمخلوق الناقص.

والتشبيه كالتمثيل، وقد يفرق بينهما، بأن التمثيل التسوية في كل الصفات، والتشبيه التسوية في أكثر الصفات، لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرءان في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ ﴾[النحل: ٧٤]،

وعند أهل السنة أن التعبير بالمثل أولى من وجهين: **أحدهما:** أنه تعبير

(١) شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص١٢.

القرءان.

الثاني: أن نفي التشبيه على سبيل الإطلاق غير سديد؛ لأنه ما من شيئين موجودين إلا بينهما تشابه من حيث الجملة، فالوجود للمخلوق والخالق اشتراك في أصل الوجود وإن اختلفا في الحقيقة، فوجود الخالق واجب لازم أزلي أبدي، ووجود المخلوق جائز ممكن مقابل للعدم كما هو ظاهر، **والسمع** للخالق والمخلوق بينهما اشتراك في أصل المعنى، لكن هذا يختلف عن هذا، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية: أن بعض الناس يجعل إثبات الصفات تشبيهاً، فإذا قلنا: (من غير تشبيه)، أوهم من لا يدري أننا نريد (من غير إثبات)؛ لأن بعض الناس يجعل كل مثبت مشبهاً، فإذا قلنا: (من غير تشبيه)، ظن الظان الذي لايدري معنى ما نريد أن المراد: (من غير إثبات الصفة)؛ ولهذا يسمون المثبتة: مشبهة، فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه، ويقول ابن تيمية في ذلك: فمن قال: ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى، كان معطلاً جاحداً ممثلاً لله تعالى بالمعدومات والجمادات.

وقال ابن تيمية من قال: له علم كعلمي، أو قوة كقوتي، أو حُب كحبي، أو رضى كرضاي، أو يدان كيدي، أو استوى كاستوائي؛ كان مشبهاً ممثلاً لله بالمخلوقات، بل لا بد ّمن إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل[(١)].

وقول المؤلف: ولايلحدون في اسماء الله وآياته:

وقوله لايلحدون: أي من صفات أهل السنة والجماعة أنهم لايلحدون في أسماء الله ولا في آياته، بل يثبتونها على ماجاء به الكتاب والسنة، على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته.

والإلحاد في اللغة: الميل، ومن هذا سمّي الشق في جانب القبر لحداً؛ لميله عن وسط القبر، فكل ميل هو إلحاد لغة[(٢)].

وتعريف آخرله في اللغة: الميل وترك القصد، يقال: ألحد الرجل في الدين

---

(١) شرح التدمريةص١٤٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥- ٢٣٦.

وألحد إذا مال[1].

أما في الأصطلاح: فالإلحاد هو: الميل عن الحق إلى الباطل، علماً وعملاً.

وكل من اعتقد نفي ما أثبته الرسول حصل في نوع من الألحاد بحسب ذلك)[2] وعلى هذا الإلحاد يكون في نوعين:

أولاً: الإلحاد في الأسماء، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانياً: الإلحاد في الآيات، ودليله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فُصِّلَت: ٤٠].

وأكثر ما يطلق اسم (الإلحاد) في كلام العلماءعلى الإلحاد الاعتقادي، وقد يخصونه بشّرِ أنواع الإلحاد؛ وهو: إنكار وجود الرب سبحانه وتعالى، وسميت الدهرية: ملاحدة؛ لأنهم منكرون للخالق، والنبوات، والمعاد، فهم شّرُ الملاحدة. ولكن جنس الإلحاد لا يختص بهم، فاسم الإلحاد في الشرع يشمل أموراً كثيرة كما سيأتي.

والشرك الذي هو عبادة غير الله مع الله من شر الإلحاد، وهو إلحاد في عبادة الله بصرف محض حقه سبحانه إلى غيره.

والإلحاد أعم هذه المعاني أي: التكييف، والتمثيل، والتحريف، والتعطيل؛ فالتحريف، والتعطيل، والتكييف، والتمثيل كلها إلحاد.

فالتحريف إلحاد في آيات الله، والتعطيل إلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، والتكييف إلحاد- أيضاً- في أسماء الله وصفاته، والتمثيل كذلك؛ فإن من شبه الله تعالى بخلقه؛ فقد ألحد في أسماء الله وصفاته. ولنأتي للتفصيل:

أولاً: الإلحاد **في أسماء الله سبحانه:** وهو: الميل بها عن الصراط المستقيم، وذلك يشمل أنواعاً من الإلحاد[3].

فالإلحاد في أسمائه تعالى يكون:

---

(١) تفسير القرطبي ٧/ ٢٦٣.
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١ - ٢٧٠).
(٣) (بدائع الفوائد ١- ٢٩٨).

أولاً: بنفيها،كما هي طريقة الجهمية.

ثانياً: يكون بنفي معانيها، كما هي طريقة المعتزلة.

ثالثاً: ويكون بتسمية المخلوق بها، مثل: تسمية المخلوق (بعالم الغيب)، و(ملك الملوك)، وفي الحديث عن النبي ﷺ: (**إن أخنع اسم عند الله: رجل تسمى: ملك الاملاك، لا مالك الا الله**)[1].

رابعاً: ويكون بتسميته تعالى بما لم يسمى به نفسه؛ كتسميته النصارى له: (أباً) وتسمية الفلاسفة له: بـ (علة الوجود)، وتسميته بـ (واجب الوجود)، وان كان يصح الإخبار به عن الله، فيقال: (الله واجب الوجود) ولكن ليس من أسمائه.

خامساً: ويكون الإلحاد في أسماء الله كذلك، بالاشتقاق من أسمائه، كما فعل المشركون، فاشتقوا من أسمائه تعالى أسماء آلهتهم، كـ (اللات) من الإله، و(العزة)، من العزيز، و(مناة) من المنان[2].

ومن الإلحاد في أسمائه ما ذكر الله عن المشركين في قوله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠].

ثانياً: الإلحاد في آيات الله تعالى: فالآيات جمع آية، وهي العلامة المميزة للشيء عن غيره، والله عز وجل بعث الرسل بالآيات لا بالمعجزات، لهذا كان التعبير بالآيات أحسن من التعبير بالمعجزات، فآيات الله عز وجل هي العلامات الدالة على الله عز وجل، وحينئذ تكون خاصة به، ولولا أنها خاصة؛ ما صارت آية له.

وآيات الله تعالى نوعان: آيات كونية، وآيات شرعية، ومن شواهد الآيات

---

(١) رواه البخاري (٦٢٠٦) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٢١٤٣).
(٢) تفسير الطبري ١٠-٥٩٦.

الكونية؛ قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [الروم: ٢٣].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ ﴾ [الروم: ٢٤].

وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩].

ومن شواهد الآيات الشرعية؛ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقوله: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا وَفَرَضْنَـٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ [النور: ١].

وقوله: ﴿ الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [لقمان: ١ - ٢].

والآيات الكونية؛ هي: ما يتعلق بالخلق والتكوين؛ مثال ذلك قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم: ٢٠].

وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤] (١).

---

(١) (شرح التدمرية للبراك ص٨٤-٨٥).

والإلحاد في آيات الله الكونية ؛ فإنه يكون :

أولاً: بجحد خالقها سبحانه.

ثانياً: بجحد دلالتها على الخالق.

ثالثاً: بنفي حكمته تعالى في خلقها، كأن يقول قائل: (إن هذا الشيء مخلوق لا لحكمة)، أو يقول: (هذا حادث بغير مشيئة الله)، كما تقول القدرية في أفعال العباد[١].

وأما الإلحاد في آيات الله تعالى الشرعية فيكون :

أولاً: بالتكذيب بها: مثل أن يقول: ليست من عند الله، فيكذب بها أصلاً، أو أن يكذب بما جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل.

ثانياً: بتحريفها عن مواضعها: ويكون بتغير لفظها، أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله؛ مثل أن يقول: استوى على العرش؛ أي: استولى، أو: ينزل إلى السماء الدنيا؛ أي: ينزل أمره[٢].

ثالثاً: يكون بجحدها.

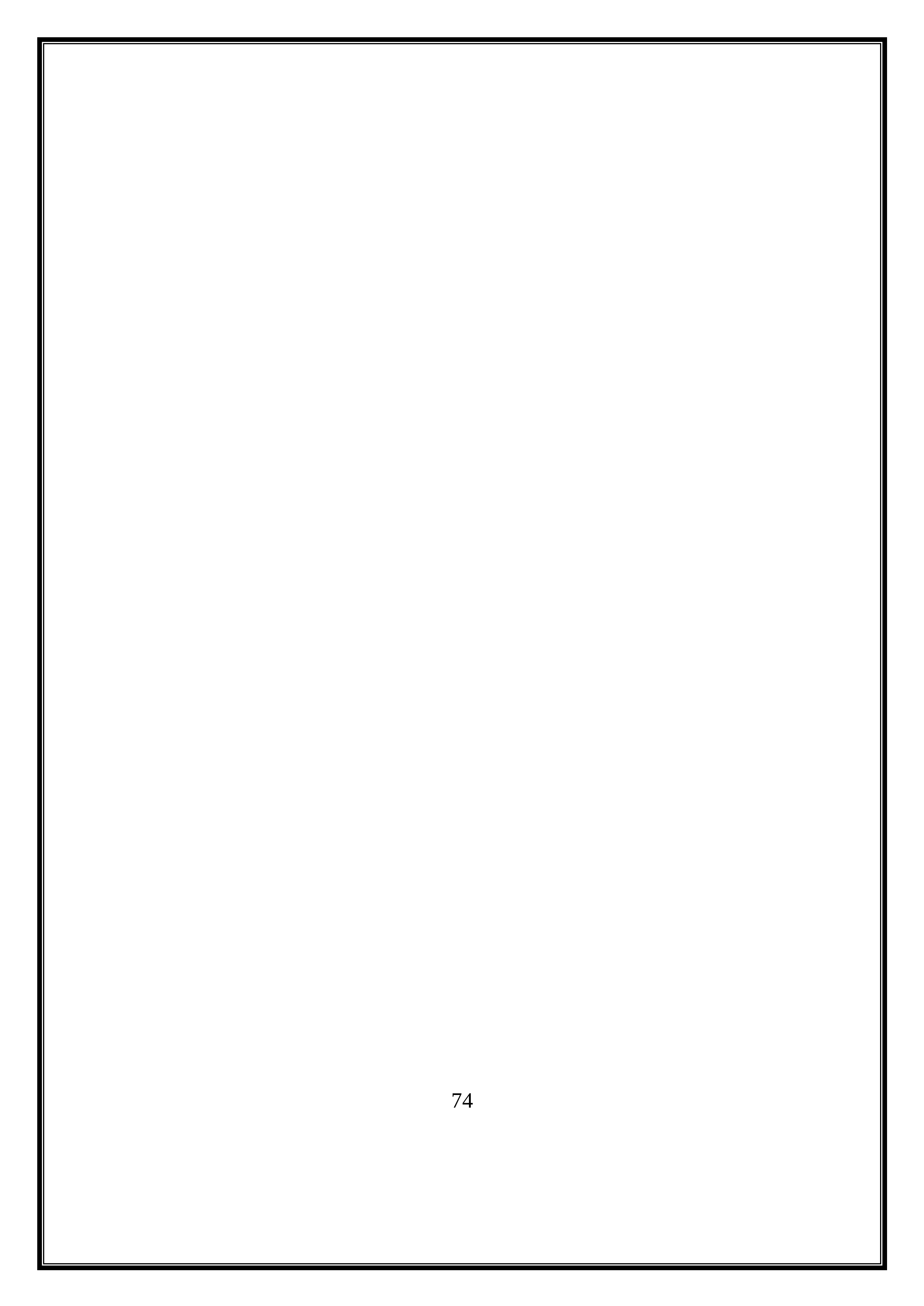
رابعاً: يكون بالإستهزاء بها، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

والاستهزاء بآيات الله إنما ينشأعن الكفر بها، كما قال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤].

---

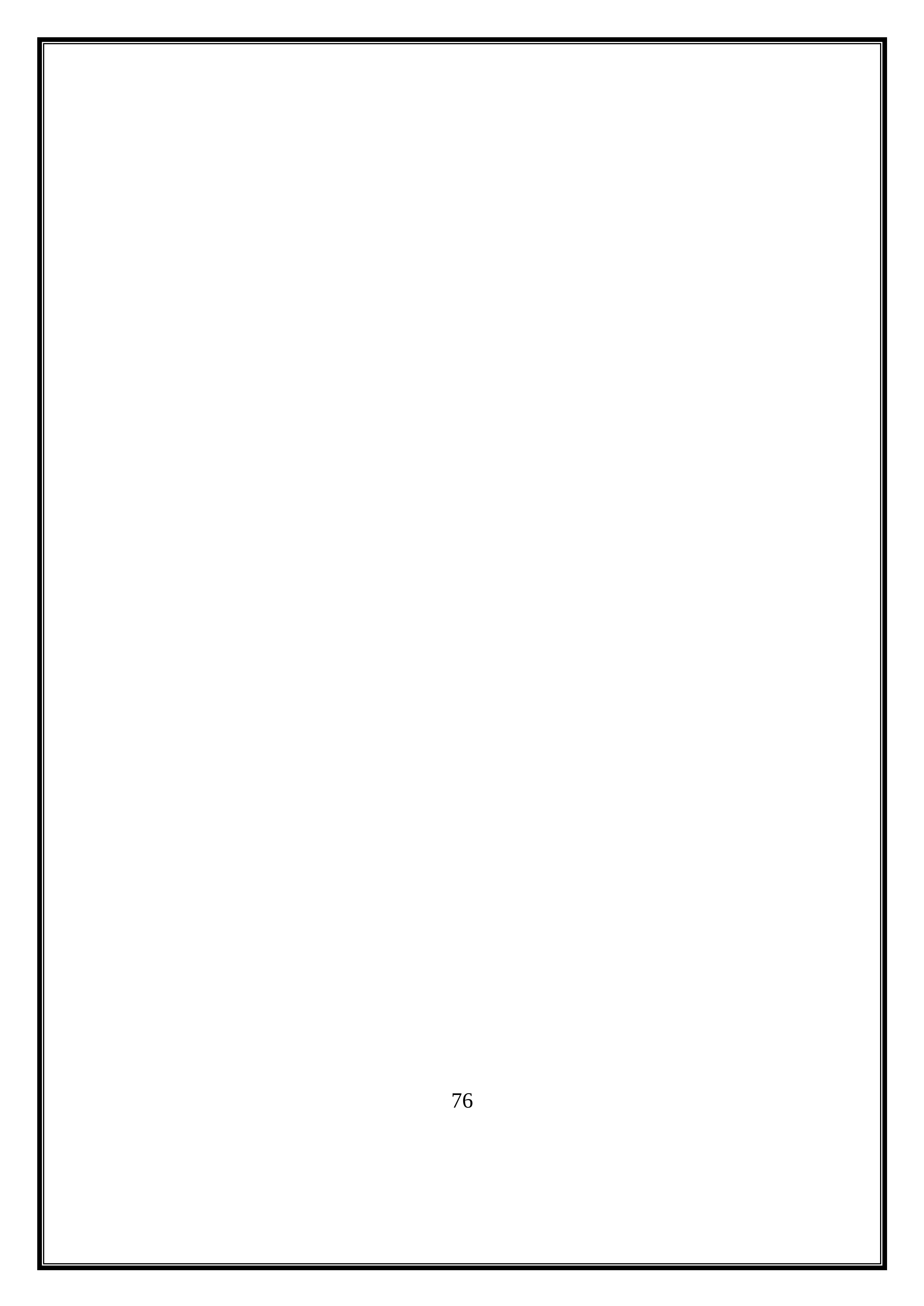
(١) المرجع السابق.

(٢) (شرح الواسطية للعثيمين ص١٠٢).



الفصل الثاني

قواعد في أسماء الله وصفاته



القاعدة الأولى

أسماء الله تعالى كلها حسنى: أي بالغة في الحسن غايته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه،لا إحتمالاً ولا تقديراً[(١)]. أي أن أسماء الله تعالى في غاية الحسن، ولهذا وصفها الله بإسم التفضيل في قوله تعالى: الحسنى. والألفاظ في اللغة العربية على أربعة أقسام:

القسم الأول: إن كانت دالة على غاية الكمال، فهي من أسماء الله؛ إذ ليس فيها نقص أبداً، لاإحتمالاً ولا تقديراً، وذلك مثل (السميع)، و(البصير)، (والعظيم)،.... فكل هذه الأسماء دالة على الكمال بل على غاية الكمال، وهو كمال لا نقص فيه.

القسم الثاني: وهو الألفاظ الدالة على كمال، لكن مع إحتمال نقص بالتقدير، فهذا لا يسمى به الله، ولكن يخبر عنه؛ لأن باب الإخبار أوسع، وذلك مثل: (المتكلم) و(الشائي) و(المريد)، و(الصانع)، و(الفاعل)، فكل هذا لا يسمى الله به ولكن يخبر به عنه إخباراً مطلقاً، فنقول بأن الله (متكلم)، وبأن الله (شاءٍ)، وبأن الله (مريد)، وبأنه (فعال)، لكن ليس من باب التسمية بل من باب الإخبار. ومثال ذلك: (المتكلم) ليس من أسماء الله؛ لأن المتكلم قد يتكلم بما يحمد، وقد يتكلم بما يُذم ولكن الكلام نفسه كمال، وصح أن يطلق على الله على سبيل الإخبار، لأن كلام الله تعالى في غاية الكمال.

القسم الثالث: اللفظ الذي يحتمل نقصاً وكمالاً في نفس المعنى لا في المتعلق، لا يطلق على الله (تعالى) وإنما يذكر مقيداً، مثل: (المكر)، و(الخداع)، و(الإستهزاء)، و(الكيد)، فلا يصح أن نطلق القول بأن الله: (ماكر)، ولا أن الله تعالى (كائد)، فالكيد في ذاته ينقسم إلى (كيد محمود)، و(كيد مذموم)، ولهذا لم يصح إطلاق اسم (الكائد) على الله، وكذلك: (الماكر)، و(المستهزئ)، والصواب أن نقيد ذلك، فنقول إن الله عز وجل (كائد بمن يكيد، وماكر بمن

(١) القواعد المثلى ص٧.

يمكر، ومستهزئ بمن يستهزئ به)، وهكذا...

القسم الرابع: الذي هو نقص محض، فهذا لا يسمى الله به، ولا يوصف به، مثل: العمى والصمم والعجز، فهذا نقص محض فلا يطلق على الله أبداً لا خبراً ولا تسمية.

والخلاصة أن الأقسام أربعة:

١- كمال محض في ذاته وموضوعه، وهذا يكون من أسماء الله.

٢- كمال في ذاته لا في موضوعه، فهذا يطلق على الله خبراً لا تسمية.

٣- ما يحتمل نقصاً وكمالاً، فهذا لا يخبر به عن الله خبراً مطلقاً، وإنما خبراً مقيداً، ولا يعتبر من الأسماء.

٤- ما كان نقصاً محضاً، فهذا لا يوصف ولا يسمى الله به.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] يعني التي ليس فيها نقص بوجه من الوجوه. والحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كل اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال.

القاعدة الثانية

أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

أعلام: باعتبار دلالتها على الذات.

وأوصاف: باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالإعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص[١].

وهذه القاعدة الثانية فيها مبحثان:

---

(١) القواعد المثلى ص٩.

المبحث الأول: أسماء الله أعلام وأوصاف: فهي بإعتبار دلالتها على الذات: (أعلام)، وبإعتبار دلالتها على المعاني(أوصاف). ومثال ذلك (السميع) فهو يدل على الله، فيكون بهذا الإعتبار علماً.

وبإعتبار أن السميع متضمن للسمع وأنه عز وجل يسمع كل صوت، فهو صفة ولذلك نقول: أن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف.

وأما أسماء غير الله فهي أعلام فقط، فقد يتسمى أحد الناس بـ (حكيم) وهو من أسفه الناس، فأسماء غير الله أعلام مجردة فقط، إلا أن أسماء النبي ﷺ وأسماء القرآن، فهي أعلام وأوصاف.

المبحث الثاني: وهو أن أسماء الله تعالى مترادفة ومتباينة.

فباعتبار دلالتها على ذات الله؛ فهي مترادفة فكلها تدل على ذاتٍ واحدة.

باعتبار ما تحمله من المعاني فهي متباينة: فـ(السميع)، و(العزيز)، و(الحكيم)، كلها أسماء لمسمى لواحد وهو (الله)، فهي بهذا الاعتبار مترادفة، لكن (السميع) دال على السمع، و(البصير) دال على البصر، ومن المعلوم أن السمع غير البصر، وأن العزة غير السمع،...وهكذا[١]

فإن قال قائل: ما الدليل على أن أسماء (الله) تعالى أعلام وأوصاف؟ قلنا الدليل من القرآن، ومن واللغة:أما القرآن فقد قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف: ٥٨]. والرحمة صفة؛ إذاً (الرحيم) معناه ذو الرحمة.

أما من اللغة: فإن أهل اللغة والعرف أجمعوا على أنه: لا يوصف بالمشتق إلا من إتصف بمعناه، فلا يقال للأصم (سميع)، ولا للأعمى (بصير)، ولا للمجنون (عاقل)، بل لا بد أن تكون هذه الاوصاف دالة على معانيها فيمن نسبت إليه. ولهذا عُلم ضلال من سلبوا اسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل وقالوا: إن الله (تعالى) سميعٌ بلا سمع، وبصيرٌ بلا بصر،... وهكذا وعللوا ذلك بأن ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، وهذه العلة عليلة، بل ميتة لدلالة السمع والعقل على بطلانها[٢].

---

(١) – ذكر هذه القاعدة إبن القيم في بدائع الفوائد ١/١٧٠-.
(٢) المرجع السابق.

القاعدة الثالثة

أسماء الله (تعالى) إن دلت على وصف متعدد، تضمنت ثلاثة أمور.

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل، مثل (العليم)، فنثبت أن من أسماء الله (العليم).

الثاني: إثبات الصفة التي دلت عليها، وهي (العلم)، فمن آمن بأن الله (عليم)، ولم يؤمن بصفة العلم؛ فلم يؤمن بالاسم الذي هو(العليم)، فلا يصح الإيمان بالاسم حتى يتم الإيمان بما تضمنه من الصفة.

الثالث: الحكم الذي يقتضيه ذلك المعنى، فالعليم يقتضي أنه عز وجل يعلم كل شيء، فلا بد من الإيمان بما يقتضيه ذلك الاسم من الأحكام، ومثال ذلك استدل أهل العلم على سقوط الحد عن قاطع الطريق بالتوبة، ستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[المائدة: ٣٤]. لأن مقتضى هذين الاسمين أن يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحد عنهم، ومن أجل هذا جزم الفقهاء (رحمهم الله): بأن قاطع الطريق وغيره إذا تابوا قبل القدرة عليهم، سقط عنهم الحد كشراب الخمر، والزناة، والسارق ومن شابههم[١].

وثانياً: وإن دلت على وصف غير متعدد تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٠.

القاعدة الرابعة

دلالة أسماء الله تعالى على ذاته و صفاته

تكون بالمطابقة و بالتضمن و بالإلتزام.

مثال ذلك: (الخالق) يدل على ذاته الله، و على صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على ذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالإلتزام، و لهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال:﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن هذه القاعدة يعلم أن أنواع الدلالات ثلاثة:

١- دلالة المطابقة

٢- دلالة التضمن

٣- دلالة الإلتزام

وهذه القاعدة في الواقع لا تختص بأسماء الله فقط، بل كل لفظ فإنه يدل على المعنى بالمطابقة و التضمن والإلتزام.

وقال ابن تيمية رحمه الله: أن الاسم من أسمائه سبحانه له دلالة على الذات، والصفة بالمطابقة ودلالة على أحدهما بالتضمن ودلالة على الصفة الأخرى باللزوم(١).

---

(١) بدائع الفوائد ١-١٧٠.

القاعدة الخامسة

أسماء الله تعالى (توقيفية)، لا مجال للعقل فيها[١].

يقول **علماء أهل السنة:** أن أسماء الله توقيفية، بمعنى أنه يتوقف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة، لاتزيد ولا تنقص؛ لأننا إذا زدنا؛ فقد قلنا على الله بلا علم،

وإن نقصنا؛ فقد كتمنا أو جحدنا ما سمى الله به نفسه، ولذلك فالواجب علينا أن نقتصر على ما جاء به الكتاب والسنة من أسماء الله **(تعالى)، وذلك لثلاث علل:**

أولاً: لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله (تعالى) من الاسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص[٢].

وهذا صحيح فنحن لا ندرك ما يجب لله (تعالى) من الأسماء؛ ولهذا قال النبي ﷺ **(سبحانك! لاأحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت نفسك)**- [٣].

والتسمية بالأسماء من الثناء، فلا يمكن أن ندرك ما يستحقه الله (عز وجل) من الأسماء، فوجب علينا أن نتوقف فيما لم يرد به النص.

ثانياً: قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

و ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ والوقف في اللغة مادة تدل على الحبس والمنع ومنه التوقيف هنا إذاً المراد به الوقف على نص الشارع)[٤] ،أي: لا تتبع، وقد قيل (قفاه، يقفوه) إذا جاء على أثره أو على إثره، فلا يجوز لنا أن نسمي الله بما لم

---

(١) القواعد المثلى ص١٤.
(٢) المرجع السابق.
(٣) أخرجه مسلم ٢٨٦ من حديث عائشة.
(٤) القواعد الكلية ص٣٧،

يسم به نفسه؛ لأن ذلك مما ليس لنا به علم، وقال (تعالى): ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال رسول الله حاثاً على تكميل الإيمان: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليقل خيراً أو ليصمت**)- [١].

ثالثاً: ولأن تسمية الله بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى[٢]، وذلك لأن الله **(تعالى)** له الحق أن يسمي نفسه بما يشاء، وأما نحن فليس من حقنا أن نسمي الله بما لم يسم به نفسه؛ وليس لنا كذلك إنكار ما سمى به نفسه، فهي جناية في حقه تعالى، وسوء أدب في حقه سبحانه.

(١) أخرجه البخاري ٦٤٧٥ من حديث أبي هريرة .
(٢) القواعد المثلى ص ١٥.

قواعد في صفات الله تعالى

القاعدة الاولى

صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه؛ كالحياة، و العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات، وقد دل على هذا السمع والعقل والفطرة، فدليل السمع على أن الله (تعالى) موصوف بصفات الكمال، قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [النحل: ٦٠][1] .

يعني: مثل النقص والعيب ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [النحل: ٦٠]، ولم يقل ولله مثل الكمال بل قال (المثل الأعلى) يعني الذي لا شيء فوقه، ولمثل بمعنى الوصف الأعلى، فكل صفة اتصف الله بها فهي أعلى ما تكون من صفات الكمال.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة، فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة؛ ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز.

فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢].

---

(١) القواعد المثلى ص٢٠.

وعلـــى قومـــه: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبيـــــاء: ٦٦ - ٦٧].

ثم أنه ثبت بالحس والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به.

فإذا قال لنا قائل: ما هو دليلكم على أن الله متصف بصفة الكمال؟

قلنا: كل موجود حقيقة لا بد له من صفة، فإما أن تكون صفة كمال، وإما أن تكون صفة نقص، أما صفات النقص، فهي مستحيلة في حق الله عز وجل، وأما صفات الكمال، فهي واجبة لله، فوجب أن يكون الله موصوفاً بصفات الكمال؛ لأنه منزه عن صفات النقص.

أما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد، إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟

أي أن الفطرة السليمة، أو النفوس المجبولة على الفطرة السليمة تحب الله، وتعظمه؛ لكماله، وإذ أن المجهول لا يحب ولا يعظم، ومن علم نقصه؛ لا يحب ولا يعظم، فالفطرة (التي هي: محبة الله وتعظيمه) مبنية على أصل، وهو: علم الإنسان فطرياً بكمال صفات من يعبده سبحانه وتعالى، وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها، فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، ونحوها، لقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وقوله عن موسى: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. نفى الجهل والنسيان.

القاعدة الثانية

باب الصفات أوسع من باب الأسماء، وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة؛ ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله (تعالى): ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧](١).

فنحن نصف الله تعالى بأنه يأخذ، ويبطش، ويريد، ويتكلم، ويجيء، ويأتي وما أشبه ذلك، ولكننا لا نسميه بهذا؛ لأننا كلما سميناه بإسم فإن ذلك يتضمن وصفه بما دل عليه الاسم من الصفة.

وقال إبن القيم: فإن الفعل أوسع من الاسم ، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً، لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كـ: (أراد، وشاء، وأحدث، ولم يتسم بـ (المريد والشائي والمحدث)، كما لم يسم نفسه بالصانع، والفاعل، والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء(٢).

---

(١) القواعد المثلى ص٢٣.
(٢) مدارج السالكين ٤١٥/٣.

القاعدة الثالثة

صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية:

فالثبوتية: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والإستواء على العرش والكلام ونحوذلك.

فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل(١).

(١) أما دلالة السمع على وجوب ثبوت ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه أو أخبر به رسوله ﷺ فواضحة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتاب على محمد ﷺ فالإيمان بالكتاب ايمان بمن أنزله، والإيمان بالرسول ﷺ إيمان بمن أرسله، فلا جرم أنه يجب الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

أما دلالة العقل على ذلك:

أن الله أخبر بهذه الصفات عن نفسه، وهوأعلم بنفسه من غيره(٢).

ولهذا فأي إنسان يحاول إنكار صفة من صفات الله، قلنالـه: هل أخبر الله بها عن نفسه؟ فإن قال: لا فقد كذب، وإن قال نعم، قلنا له: أنت أعلم أم الله؟، فإن قال أنا أعلم؛ فقد كفر، وإن قال: الله أعلم قلنا: إذاً يجب عليك أن تؤمن بها؛ لأن الله تعالى أعلم بنفسه وهو أصدق قيلاً وأصدق حديثاً.

وقال ابن عثيمين رحمه الله تعالى: (فإن التردد في الخبر إنما يأتي حين يكون الخبرصادراً ممن يجوز عليه الجهل والكذب)، وقد اجتمع في حق الله (تعالى) كمال الكمال من كل وجه؛ من حيث العلم، والصدق، والبيان، (وهكذا

---

(١) (القواعد المثلى ص٢٤).
(٢) (المرجع السابق).

هو القول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تعالى، فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه، وأصدقهم خبراً، وأنصحهم إرادة، وأفصحم بياناً، فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه)[١].

لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

والصفات السلبية: وهي ما نفاها الله (سبحانه) عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ ، وكلها صفات نقص في حقه كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب[٢].

وهذه الصفات السلبية يجب نفيها عن الله، لكن ليس الواجب مجرد نفيها فقط، بل الواجب إعتقاد ضدها، فمثلاً ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لا يكفي في الإعتقاد أن نقول: أن الله لا ينام، حتى نعتقد أنه لا ينام لكمال حياته وقيوميته، لا مجرد أنه لا ينام فقط؛ لأننا نقول: أن كلمة (لاينام) مجرد إنتفاء النوم وهذا في حد ذاته ليس كمالاً. وكذلك أيضا قوله تعالى:﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق: ٣٨] أي: من تعب، وإعياء، فلا يكفي هنا أن نؤمن بأن الله تعالى لم يتعب فقط ، بل يجب أن نؤمن بأنه لم يتعب لكمال قوته.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح، ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح، ولا كمال؛ لأن النفي المحض: عدم محض والعدم المحض، ليس بشيء وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، فهذا كان عامة وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات المدح)[٣] .

(١) شرح الواسطية.
(٢) القواعد المثلى ص٢٥.
(٣) - الرسالة التدمرية ص٣٩-.

القاعدة الرابعة

الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية وفعلية:

أولاً: الصفات الذاتية:

وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة[1]،وسميت ذاتية للزومها للذات. والصفات الذاتية نوعان: معنوية وخبرية:-

فالمعنوية: وهو ماكان دالاً على معنى مثل: الحياة والعلم والقدرة والحكمة وما أشبه ذلك، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

والخبرية: مثل وهو ماكان نظيرمسمّاه أبعاضاً وأجزاء لنا؛ مثل: اليدين والوجه والعينين والقدم...... وما أشبه ذلك.

وسميت خبرية لأنها متلقاة من الخبر، فإن عقولنا لا تدلنا على أن لله تعالى يداً بها يأخذ ويقبض ويبسط، لكن علمنا بمجرد الخبر؛ لأن الصفات الذاتية مثل الحياة والعلم والقدرة قد دل عليها العقل.

فيجب أن نقتصر في هذه المسائل على ما جاء به الخبر ونسميها خبرية ولا نسميها (جزئية) أو (بعضية) لوجوب تحاشي هذا التعبير في جانب الله عز وجل.

والفعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

وهي نوعان: صفات لها سبب معلوم، مثل: الرضى، فالله عز وجل إذا وجد سبب الرضى، رضي كما قال تعالى:﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

صفات ليس لها سبب معلوم، مثل: النزول إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث

---

(١) (القواعد المثلى) ص٤٢.

الليل الآخر.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام: فإنه باعتبار أصله صفة ذاتيّة لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً.

وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلّق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

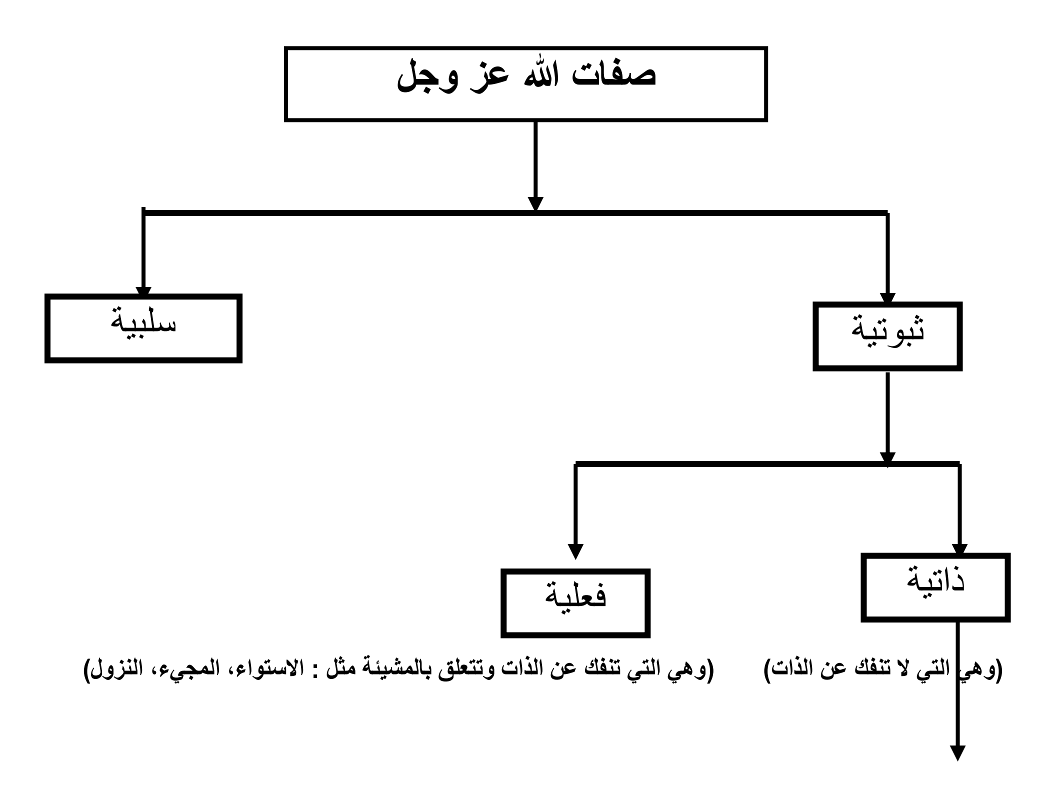
ومن الصفات الفعلية التي وردت بالقرآن الكريم:

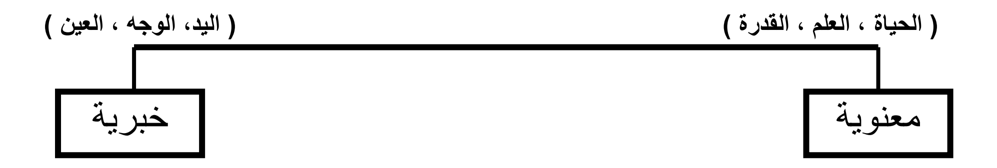
قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وكذلك قوله: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٣].

جدول في أقسام الصفات كما بينها أهل العلم





مواقف الطّوائف من الصفات الذّاتية والفعلية

أولاً: موقف أهل السنة والجماعة:

أثبت أهل السّنة جميع الصّفات الذّاتية منها والفعليّة، وأثبتو أن الله متّصف بذلك أزلاً، وأن الصّفات النّاشئة عن الأفعال موصوف بها من القدم، وإن كانت المفعولات محدثة.

ثانياً: موقف المعتزلة ومن وافقهم:

أثبتوأن الذات مجردة عن الصفات، وزعموا أن الله لا يقوم به صفة، ولا أمر يتعلق بمشيئته واختياره، وهو قولهم: لا تحله الأعراض ولا الحوادث.

وبذلك نفوا قيام الصفات الذاتية والفعلية بالله تعالى، وجعلوا اضافة الصفات إلى الله تعالى إما من باب إضافة الملك (والتشريف) أو من اضافة وصف (أي: القول) من غير قيام معنى به.

ثالثاً: موقف المتأخرين من الأشاعرة ومعهم الماتريدية:

نفوا جميع الصفات ما عدا الصفات: السبع وهي: العلم- الحياة- القدرة- الإدارة- السمع- البصر- الكلام- وزاد الباقلاني وإمام الحرمين من الأشاعرة صفة ثامنة وهي: (الإدراك)، وزاد الماتريدية صفة: (التكوين).

رابعاً: موقف الكلابيّة ومن وافقهم من قدماء الأشاعرة وغيرهم:

يثبتون الصفات الذاتية وينفون الأفعال الاختيارية، ولم يثبتوا لله أفعالاً تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته، بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته (كالمحبة).

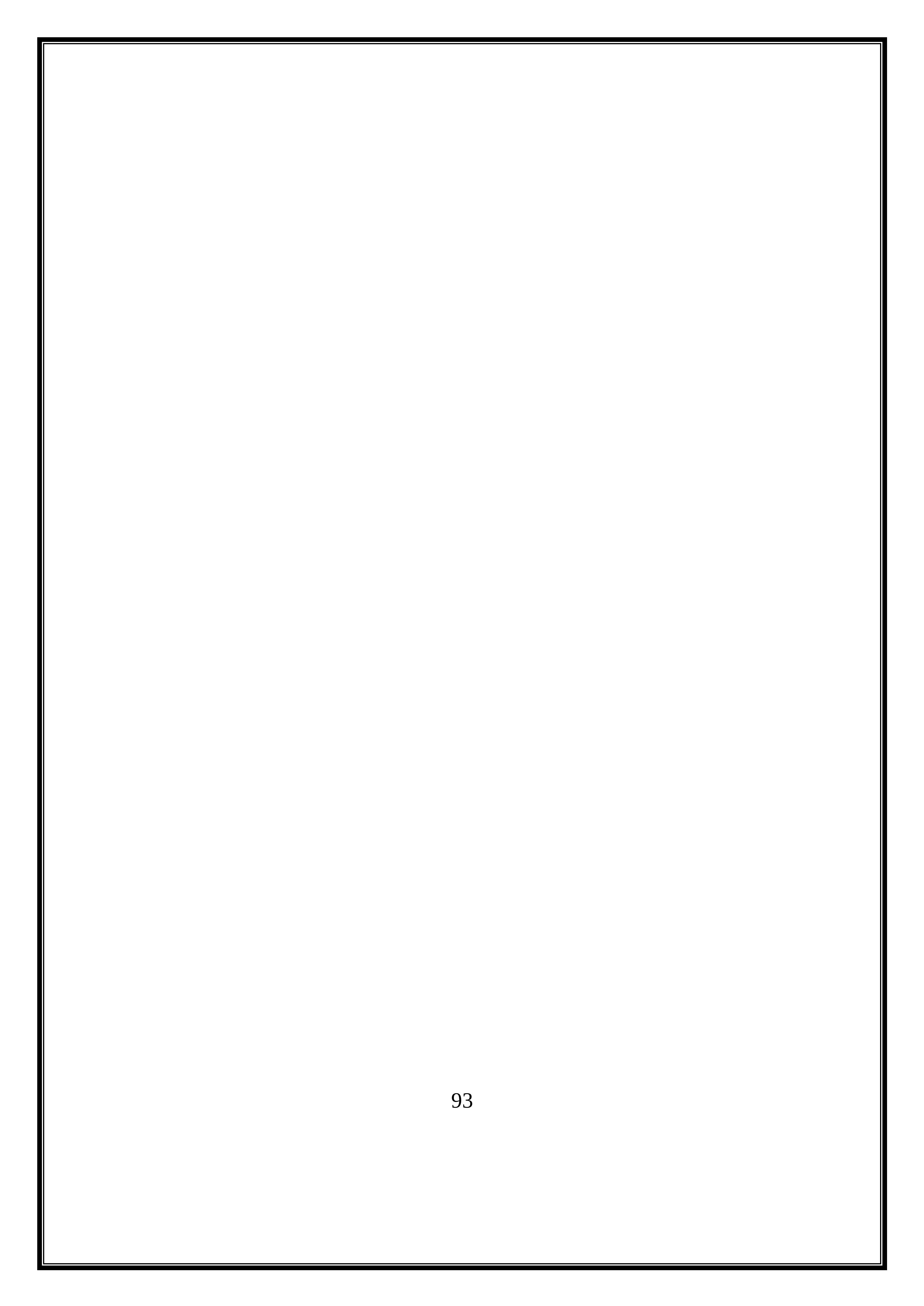
خامساً: موقف الكراميّة ومن وافقهم:

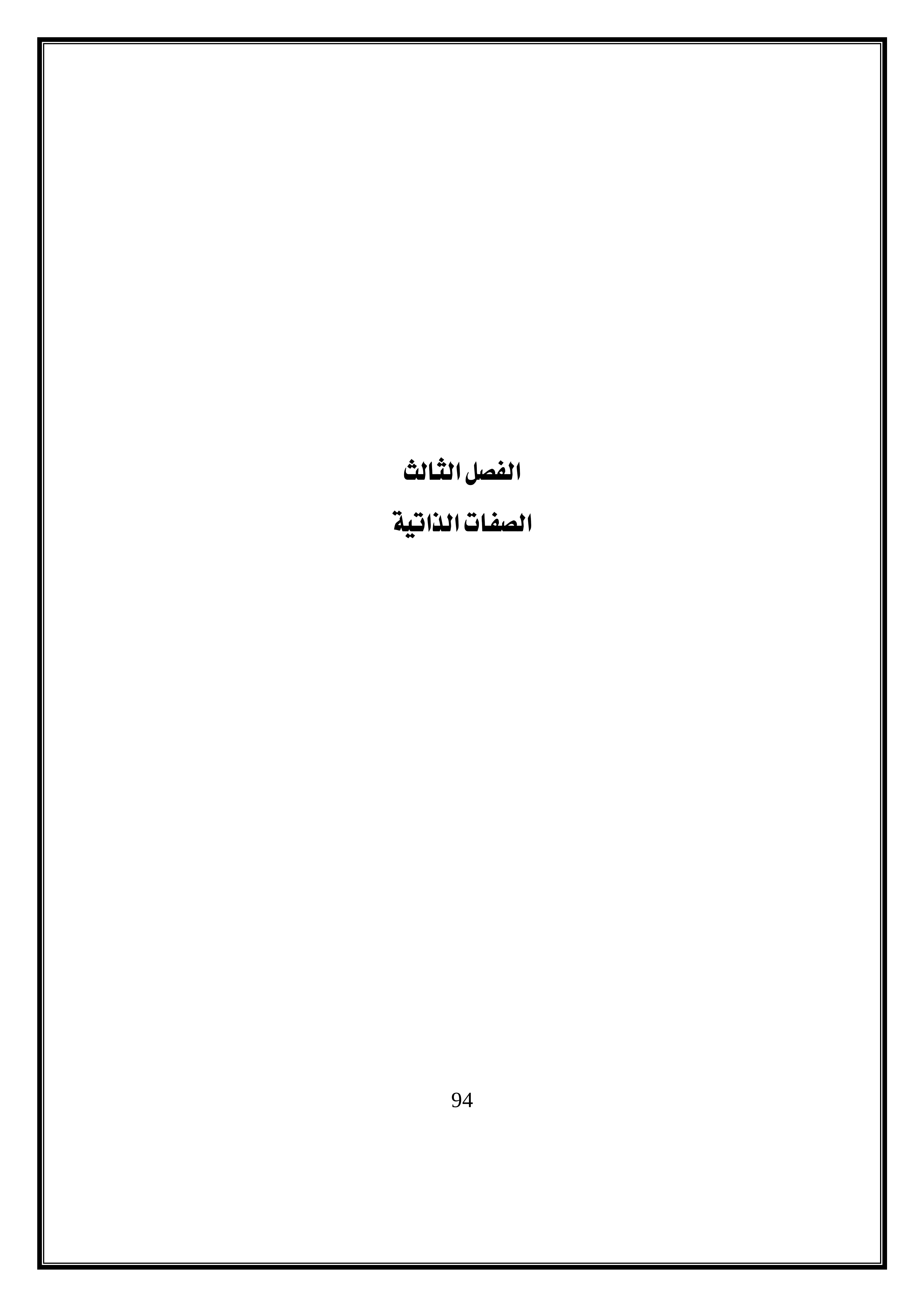
يثبتون الصفات بما فيها أن الله تقوم به الأمور التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولكن ذلك عندهم حادث بعد أن لم يكن كذلك، وقالوا: لا يجوز أن تتعاقب عليه الحوادث، ففرّقوا في الحوادث بين تجدّدها ولزومها.

فقالوا: بنفي لزومها دون حدوثها[١].-

---

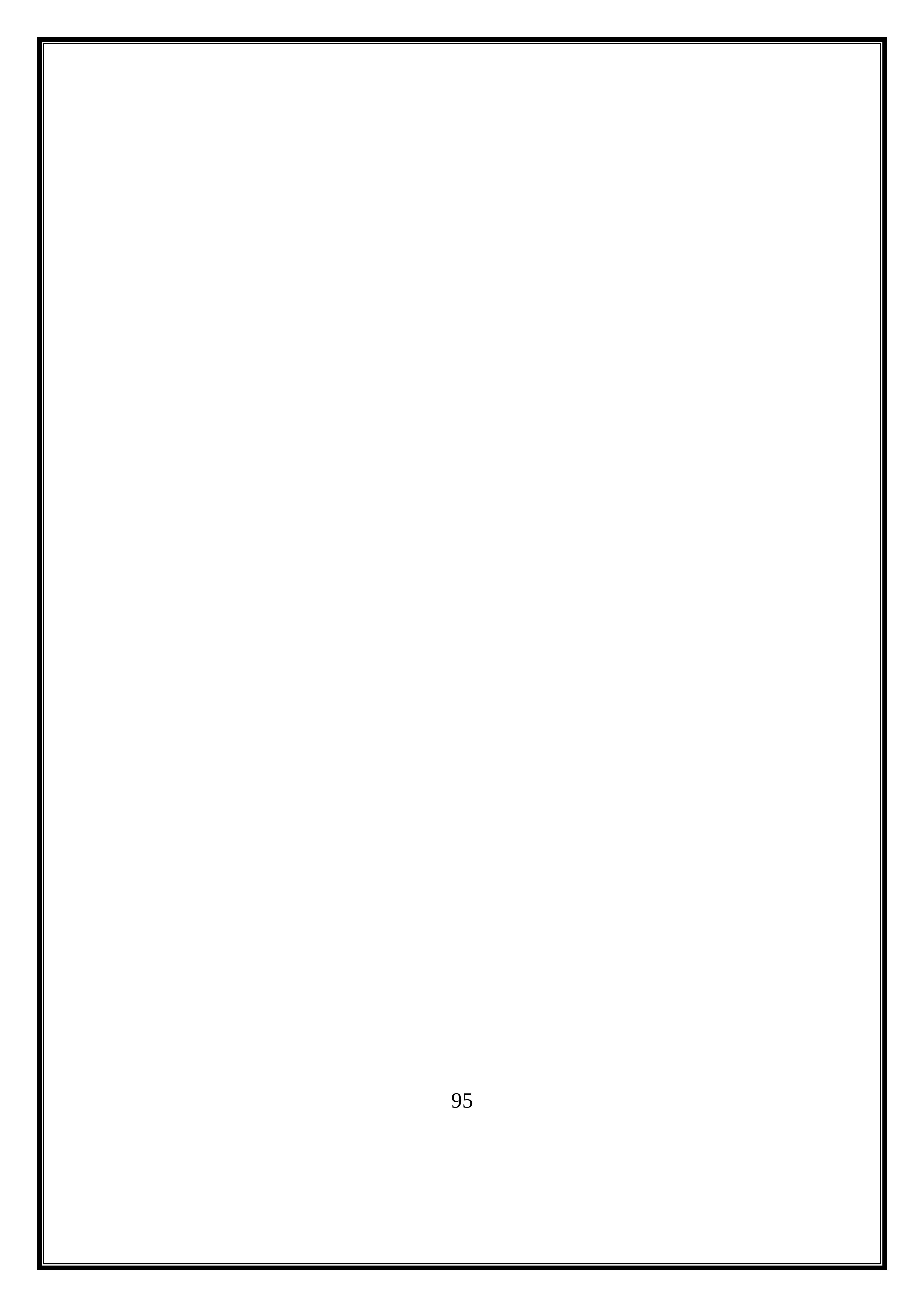
(١) الصفات الإلهية للتّميمي ص٦٧.





الفصل الثالث

الصفات الذاتية



الصفات الذاتية

وضابطها: هي التي لا تنفك عن الذات(1).

أو: هي التي لم يزل ولا يزل الله متصفاً بها.

أو: هي الصفات الملازمة لذات الله تعالى(2).

ومنها: الوجه،اليدين،العينين، الأصابع، القدم، الحياة، العزة، الحكمة.

ويقول ابن تيمية شيخ الإسلام: إن هذه الصفات إنما هي صفات الله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله، نسبتها إلى ذاته المقدسة كنسبة صفات كل شيء إلى ذاته، ولا يقال أنه مستغن عن هذه الصفات، لأن هذه الصفات واجبة لذاته، والإله المعبود سبحانه وهو المستحق لجميع هذه الصفات(3).

وبين لنا شيخ الإسلام أن ما أضيف إلى ذات الله تعالى نوعان، فيقول في ذلك: إن ماذكر في القرآن أنه منه أوأضيف إليه، فإن كان عيناً قائمة بنفسها، أوأمراً قائماً بتلك العين كان مخلوقاً. كقوله في عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] وقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] وقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وهو جبريل: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

وأما ما كان صفة لاتقوم بنفسها ولم يذكر لها محل غير الله كان صفة له، كالقول، والعلم والأمر، إذا أريد به المصدر كان من هذا الباب، كقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] وإذا أريد به المخلوق المكون بالأمر كان من الأول كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] ولهذا يفرق بين

---

(١) (الكواشف الجلية ص٣٢٩).
(٢) (المرجع السابق).
(٣) (مجموعة الفتاوى ج٦/ص٢٢١).

كلام الله وعلم الله وبين عبد الله، وبيت الله، وناقة الله وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧]. وهذا أمر معقول في الخطاب، فإذا قلت علم فلان وكلامه ومشيئته، لم يكن بائناً عنه، والسبب في ذلك أن هذه الأمور صفات لما تقوم به، فإذا أضيفت إليه كان ذلك إضافة صفة لموصوف، وإذ لوقامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لا لغيره[١].

ومن الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى وما زال ولا يزل متصفاً بها، والتي لم يسع لنا أن نذكر منها إلا القليل.

صفة النفس

والنفس ثابتة لله تعالى بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

فمن الكتاب قوله تعالى:﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال:﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾

[طه: ٤١]، وقال: فما أخبر به عن عيسى عليه السلام أنه قال:﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومن السنة: نذكر منه مايسعنا ذكره: عن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ : (**ما أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك مدح نفسه، وما أحد أغير من الله، ومن أجل ذلك حرم الفواحش**) [٢] .

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل قال: (إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا) [٣].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله عز وجل أنا عند**

---

(١) (شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص ٦٦-٦٧) .
(٢) صحيح أخرجه البخاري ٣١٩/٩ ومسلم٢٧٦.
(٣) صحيح أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

ظن عبدي بي ، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأخير منهم، وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب ألي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[1] .

أما إجماع السلف: فقد أجمعوا على ثبوتها على الوجه اللائق به سبحانه، فيجب إثباتها لله من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

صفة الوجه

وهو من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

فمن الكتاب: فقد أثبت الله تعالى هذه الصفة قائلاً: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال كذلك: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩].

وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠].

ومن السنة عن عمر رضي الله عنه سمع جابر بن عبد الله يقول: نزل على الرسول **الله** ﷺ **(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم)، قال: (أعوذ بوجهك)، (أو من تحت أرجلكم)، قال: (أعوذ بوجهك)،** ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٢/٥١١ ومسلم ٢٦٧٥).

﴿شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] ، **قال: هاتان أهون وأيسر)**[1].

وعن عباس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : **(قد حرم الله على النّار أن تأكل من قال لا إله إلا الله يبتغي وجه الله)**[2] .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: **(إن النبي ﷺ كان يقول في دعائه:وارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم)** [3].

وعن ابن عباس قال: أن رسول الله ﷺ قال: **(من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه)**[4] .

أما الإجماع: فأن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن لله تعالى وجه حقيقياً يليق بجلاله، نأخذه من قوله تعالى عن نفسه: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾، ونقول أن هذا الوجه لايماثل أوجه المخلوقين، لقوله تعالى:﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، ونجهل كيفية هذا الوجه، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] وقد فسر أهل التعطيل وجه الله بالثواب، فقالوا: المراد بالوجه في الآية الثواب، أي كل شيء يفنى إلا ثواب الله!

ونرد عليهم: ماذا تقولون في قول رسول الله - ﷺ-: **(حجابه النور، لوكشفه؛ لأحرقت** سبحات **وجهه ما انتهى إليه بصره من عباده)**[5] .

فهل الثواب له هذا النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصر الله من خلق؟! أبداً، ولا يمكن[6].

---

(١) (رواه البحاري١٣/٢٩٥/٢٩٦).
(٢) (رواه البخاري ٤١٩ ومسلم٣٣١).
(٣) (صحيح أخرجه النسائي ٣/٥٤/٥٥ وغيره).
(٤) (أخرجه أبو داوود ٢/٧٢٥).
(٥) (رواه مسلم/ ٢٩٣).
(٦) شرح الواسطية للعثيمين ص ٢٤١.

صفة اليدان

اليدان من صفات الله الثابتة له بالكتاب، والسنة، وإجماع السلف.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله:﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠]، وقوله:﴿أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، وقوله:﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [المُلك: ١] وقال راداً على اليهود: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

ومن السنة: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ-: **(قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقلب الليل والنهار)**[١] .

وعنه كذلك: قال رسول الله ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المؤمنين ماقعدت خلف سرية فعزو في سبيل الله، ولكن لا أجد سعةً فأحملهم، ولا يجدون سعةً فيتبعوني، ولا تطيب أنفسهم أن يقعدوا بعدي)**[٢] .

وقال رسول الله ﷺ: **(والذي نفس محمد بيده، لقد هممت أن آمر فتياني أن يستعدوا لي حزماً من حطب ثم آمر رجلاً يصلي بالناس ثم تحرق بيوت على من فيها)**[٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **(لا يجمع الله أمتي**

---

(١) أخرجه البخاري ٥٧٤/٨ ومسلم٢٢٤٦.
(٢) رواه مسلم ١٨٧٦.
(٣) رواه مسلم ٦٥١.

على الضلالة أبداً، ويد الله على الجماعة)[١].

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، و بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها)**[٢] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: **(خلق الله تبارك وتعالى أربعة أشياء بيده، العرش، وجنات عدن، وآدم، والقلم، واحتجب من الخلق بأربعة: بنار وظلمة ونور وظلمة)**[٣] .

وهذا موقوف والحجاب يرجع إلى الخلق لا إلى الخالق[٤].

وجاء في ذكر اليمين كذلك من الكتاب والسنة مايلي:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

وقال: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٥].

ومن السنة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله- ﷺ: **(يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارين؟ أين المتكبرين؟ ثم يطوي الأرضين بشماله)**[٥].

وعن أبي هريرة مرفوعاً: قال: **(إن الله تعالى يقبض الصدقة، ولا يقبل منها إلا طيباً، ويقبلها بيمينه، فيربيها كما يربي أحدكم فلوه، أو فصيله،**

(١) (أخرجه الحاكم/١١٦/٠ والترمذي٢١٦٦) .
(٢) رواه مسلم ٢٧٥٩ .
(٣) أخرجه الدرامي ص١٧٢.
(٤) الاسماء والصفات للبيهقي ص٤١٧.
(٥) أخرجه البخاري١٣-٣٩/ ومسلم ٢٧٨٨ .

حتى يجعلها أعظم من أحد) [1].

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: (**المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا)**[2] .

ومن الإجماع: فقد أجمع السلف على إثبات اليدان لله، فيجب إثباتهما له بدون تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وهما يدان حقيقتان لله تعالى يليقان بجلاله.

ومما سبق نلاحظ أنه ورد في صفة اليدان عدّة أوجه وهي:

الوجه الأول: الإفراد كقوله تعالى: :﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

الوجه الثاني: التثنية: كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

الوجه الثالث: الجمع: كقوله تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

وللتوفيق بين هذه الوجوه نقول: الوجه الأول مفرد، فيشمل كل ما ثبت لله من يد، ولا ينافي الثنيتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر، وحينئذٍ لا ينافي التثنية، على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنتان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً[3].

ما قيل باليدان

وقد فسرها الجهمية بالنعمة أو القدرة.

ونحن نرد عليهم بأن لله تعالى يدان مختصتان به، ذاتيتان له، كما يليق

(١) رواه مسلم ١٠١٤.
(٢) رواه مسلم ١٨٢٧.
(٣) شرح لمعة الاعتقاد للعثيمين ص١٧.

بجلاله، وأنه سبحانه خلق آدم بيده، وأنه سبحانه يقبض الأرض ويطوي السماوات بيده اليمنى[1].

هذا ما أخبره في كتابه، وثبت عن رسوله ﷺ وأجمع عليه أصحابه، (وهنا فائدة عظيمة، وهي أنه إذا لم ينقل عن الصحابة ما يخالف ظاهر الكتاب والسنة؛ فإنهم لا يقولون بسواه؛ لأنهم الذين نزل القرءان بلغتهم، وخاطبهم النبي ﷺ بلغتهم؛ فلا بد أن يفهموا الكتاب والسنة على ظاهرهما؛ فإذا لم ينقل عنهم ما يخالفه؛ كان ذلك قولهم[2].

ملاحظة مهمة: هناك فرق بين آية في سورة ص: وهي قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله في سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١].

والفرق: أن آية (ص) تدل على خلق آدم باليدين، وفيه فضيلة لآدم، وخصوصية وتشريف.

أما آية (يس)؛ فلا تدل على أن الله تعالى خلق الأنعام بيديه، ولو كانت تدل على ذلك؛ لم يكن لآدم خصوصية على سائر المخلوقات؛ فهذا الأسلوب في اللغة العربية لا يدل على خصوص فعل اليدين، بل يعبر بهذا عن مطلق الفعل سواء كان باليد أو بغيرها، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، فيدخل في ذلك كل ما كسبه الإنسان سواء كان بيديه، أو بلسانه، أو بعينيه، أم بسائر الجوارح.

ومن أساليب اللغة العربية إسناد الفعل لليدين؛ وإن لم يكن الفعل حصل باليدين؛ لأنهما أداة الفعل في الغالب، فيقال: (هذا بما كسبت يداك)، وأن كان شيئاً قاله بلسانه[3].

---

(١) فتاوى ابن تيمية ج٦ ص٢٢٥.
(٢) شرح الواسطية للعثيمين ص ٢٥٨.
(٣) شرح التدمرية للبراك ص٢٦٨.

صفة العينين

العينين من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع.

وقد ورد ذكرها في الكتاب في عدّة آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨].

وقوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

وقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾.

ومن السنة: وروى عن ابن عباس، رضي الله عنهما في تفسير (أعيننا) أنه أشار إلى عينيه[١].

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبر أن المسيح ذكر بين ظهري الناس، فقال رسول الله ﷺ: (**إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**)[٢] .

فقد دل هذا الحديث على أن لله تعالى عينين اثنتين فقط ،حين وصف الدجال وقال:(إنه أعور وإن ربكم ليس أعور).

وقد قال بعض الناس معنى أعور،أي: مَعيب ،وليس من عَور العين**!!** وهذا لاشك أنه تحريف و تجاهل للفظ الصحيح الذي في البخاري و غيره: (أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية و هذا واضح[٣].

---

(١) (شرح السنة اللالكائي ص- ٢٦٢).

(٢) (رواه البخاري ٧٤٠٧ ومسلم/٢٩٣٢) .

(٣) شرح الواسطية للعثيمين ص٢٦٣.

ما قيل بالعينين

فسر أهل التحريف والتعطيل العين بالرؤية بدون عين، وقالوا: (بأعيننا): برؤية منا، ولكن لا عين، وقالو: والعين لا يمكن أن تثبت لله عز وجل أبدا؛ لأن العين جزء من الجسم؛ فإذا أثبتنا العين لله؛ أثبتنا تجزئة وجسماً، وهذا شيء ممتنع فلا يجوز[١].

وقد ذهب الأشعرية والمعتزلة لتأويل (العين) بالعلم والرؤية وهو كلام باطل لأنه يقتضي نفي الصفات أصلا.

وهو خطأ من عدّة أوجه:

الوجه الأول: أنه مخالف لظاهر اللفظ.

الوجه الثاني: أنه مخالف لإجماع السلف.

الوجه الثالث: أنه لا دليل عليه؛ أي: أن المراد بالعين مجرد الرؤية، أو أن المراد بها العلم فقط.

الوجه الرابع: أنا إذا قلنا بأنها الرؤية، وأثبت الله لنفسه عيناً؛ فلازم ذلك أنه يرى بتلك العين، وحينئذ يكون في الآية دليل على أنها عين حقيقية[٢].

وأما إجماع السلف: فقد أثبتوا لله هذه الصفات إثباتاً حقيقياً يليق بالله عز وجل وقد جمعوا بين الحسنين وخالفوا الفئتين الضالتين المنحرفتين، فأثبت أهل السنة لله ما أثبت لنفسه فأثبتوا له وجهاً وعينين ويدين كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة، ثم قالوا: بأن صفات الله عز وجل صفات حقيقية وإثباتها لا يقتضي التشبيه ولا التمثيل.

وأن ما قاله المعتزلة هو لازم ومقتضى الصفة، فصفة الوجه لا تقوم إلا بمن له ذات، وصفة العين تدل على العلم، وصفة اليد تدل على النعمة، ولكن مع إثبات حقيقة الوجه والعين واليدين[٣].

---

(١) (شرح الواسطية للعثيمين ص ٢٧٠-٢٧١).
(٢) المرجع السابق ص ٢٧١.
(٣) شرح السنة اللالكائي ج١ ص ٢٦٢.

صفة الأصابع

وهـي صـفة ثابتـة لله تعـالى بالسـنة والإجمـاع فمـن السـنة عـن أبـا عبدالرحمن الحُبُلي يقول: أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: انـه سـمع رسـول الله - ﷺ- يقـول: (**إن قلـوب بـني ادم بـين إصـبعين مـن أصـابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء**)[1] .

وعن عبيدة عن عبد الله قال : جاء حبر من أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال:(**إنه إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وذكر كلمة كلها على إصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذهُ تعجباً مما قال تصديقاً له، ثم قال رسول الله:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزُّمَر: ٦٧] [2].

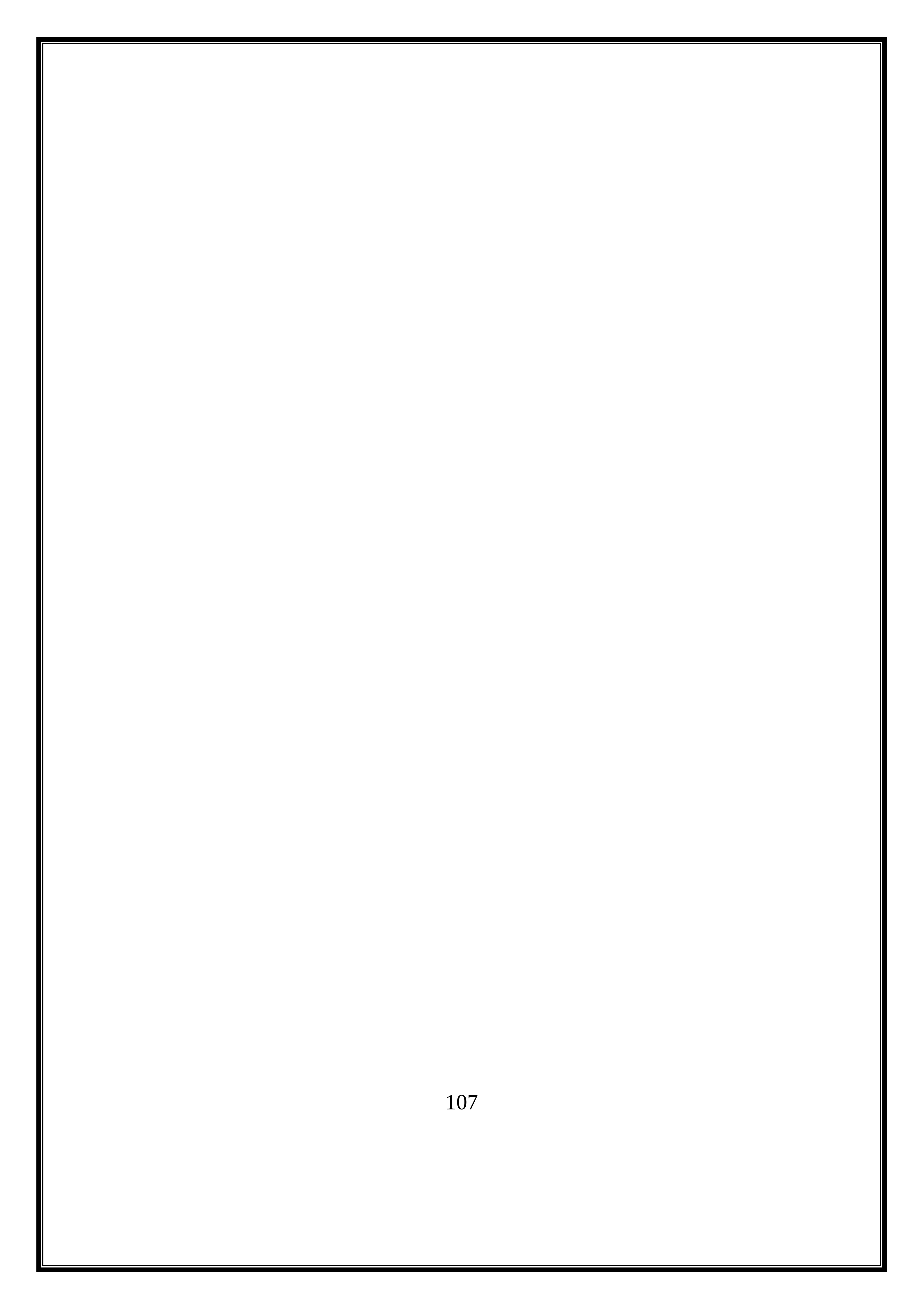
وأمـا الإجمـاع: فقد أجمع السلف وهم أهل السنة والجماعة على أن لله تعالى أصابع حقيقية تليق بجلاله، لا يعلم ماهيتها غيره وأن الإيمان بها وبغيرها من الصفات واجب، والسؤال عنها بدعة مبتدعة في الدين.

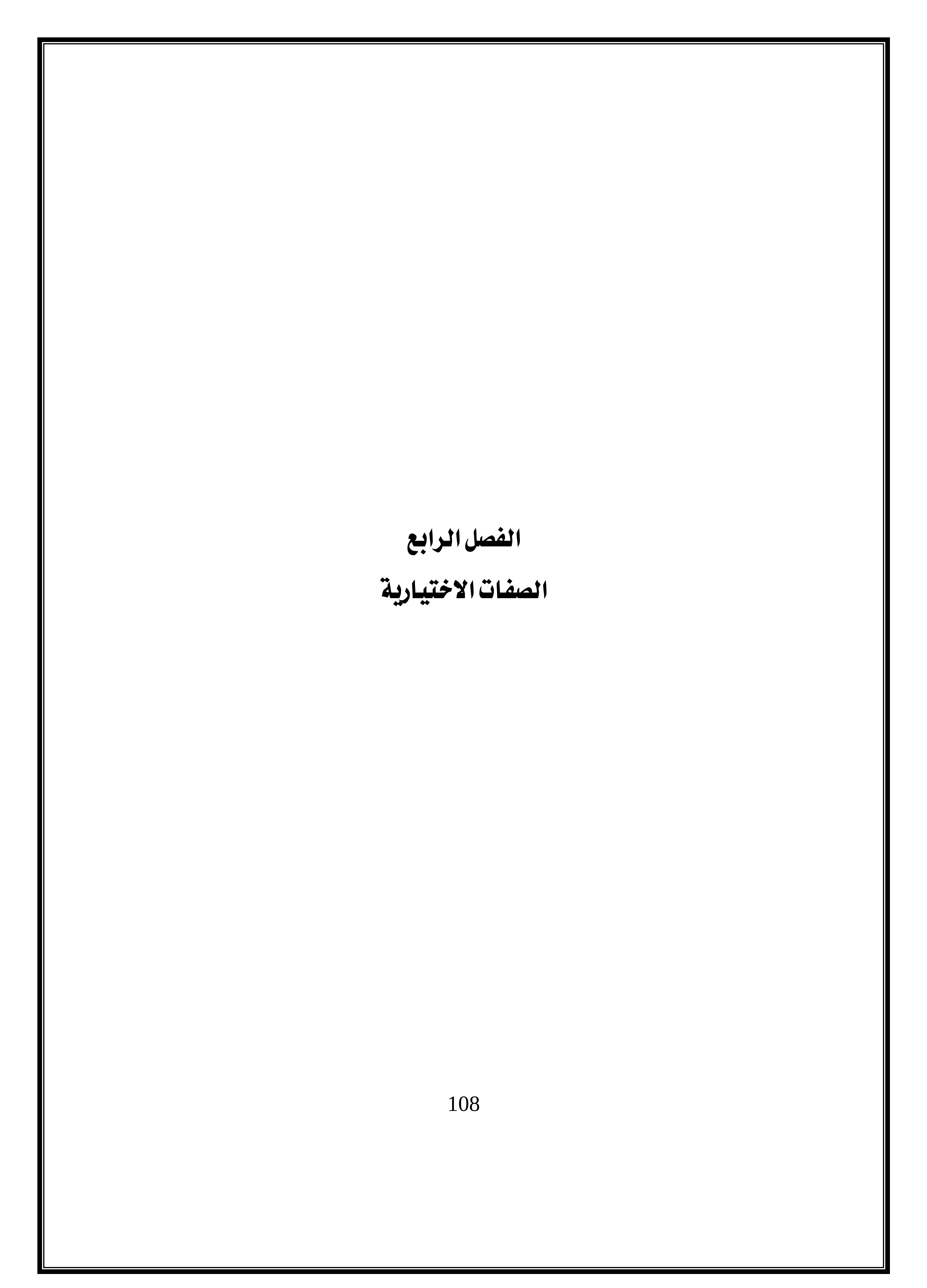
وقد سبق أن صفات الله عز وجل من الأمور الخبرية الغيبية التي ليس للعقل فيها مجال، وما كان هذا سبيله فان الواجب علينا إبقاؤه على ظاهره؛ من غير أن نتعرض له.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) وقال الألباني حديث صحيح إسناده حسن ورجاله ثقات.

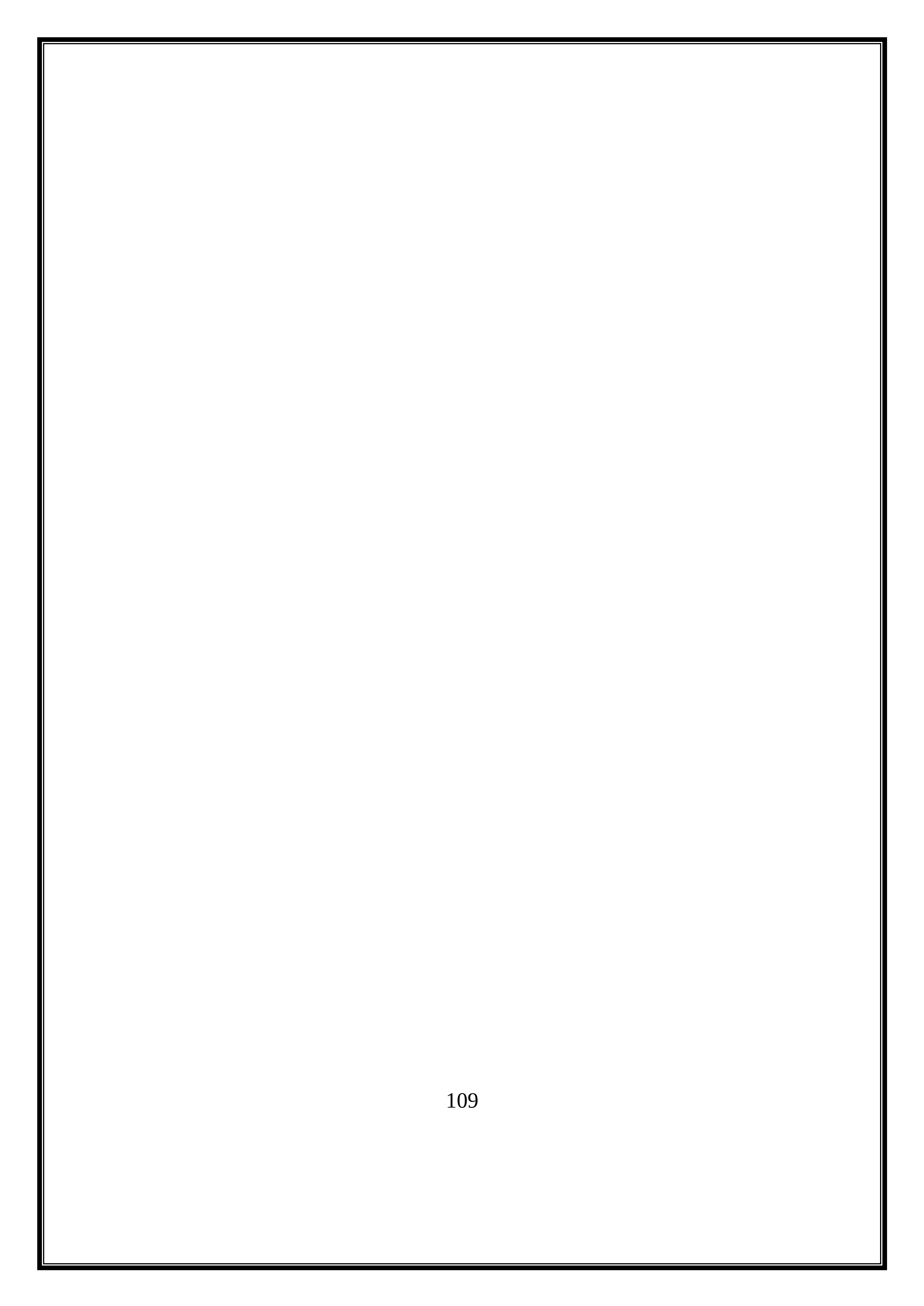
(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٤٥٣٣) ومسلم (٢١٤٧) واللالكائي في السنة ج١ ص٢٦٧.





الفصل الرابع

الصفات الاختيارية



الصفات الاختيارية

وضابطها: هي الأمور التي يتصف الرب عز وجل فتقوم بذاته وبمشيئته وقدرته[1].

وهي إما من باب الأفعال: كالاستواء- والإتيان- والمجيء- والنزول.

وإما من باب الأقوال: والكلمات: مثل التكليم - والنداء- والمناجاة – والقول.

وإما من باب الأحوال: كالفرح- والغضب- والرضا- والضحك-[2].

فكل ما كان بعد عدمه فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته، وهذا ضابط ما يدخل في الصفات الاختيارية .

والصفات الاختيارية أعم من الصفات الفعلية، لأنها تشمل بعض الصفات الذاتية التي تتعلق بالمشيئة مثل: الكلام - والسمع - والبصر- والإرادة- والمحبة - والرضا - والرحمة- والغضب- والسخط.

كما أنها تشمل أي الصفات الاختيارية، تشمل الصفات الفعلية غير الذاتية، مثل: الخلق – والإحسان- والعدل - وهي فعلية متعدية ومثل: الاستواء- والمجيء- والنزول وهي فعلية لازمة.

إذن الصفات الاختيارية نوعان:

صفات متعدية مثل: الخلق - والإحسان- العدل- الرزق - الرضا.

صفات لازمة مثل: الاستواء - المجيء- والنزول- الإتيان.

ونحن في هذا الكتاب لا نستطيع أن نشرح جميع هذه الصفات وبيان دلالاتها من الكتاب، والسنة، والإجماع، ولكن نكتفي بشرح البعض منها.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١٧/٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل٢٣/٤.

صفة الكلام

وقوله: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦].

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩].

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

هذه الآيات في إثبات صفة الكلام والقول.

وصفة الكلام ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والاجماع.

وصفة الكلام من الصفات التي كثر فيها الخوض، والأقوال، والخلاف بين مثبت ونافي، وبين مصدق ومكذب، وهي من أعظم صفات الرب سبحانه وتعالى، ودليلها من الكتاب: فقد قدم المؤلف الآيات الدالة على هذه الصفة،ومن الآية الدالة عليها كذلك: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

والكلام ينقسم إلى الإنشاء والخبر، والإنشاء ينقسم إلى طلب الفعل، وطلب الترك، والخبر ينقسم إلى خبر عن النفي، وخبر عن الإثبات[1].

---

(١) (مجموع الفتاوى ج ٦\١٣٣).

وكلام الله تعالى كلام: بحرف وصوت، كلام يليق بجلاله ولا يعلم ماهيته غيره، منه بدأ وإليه يعود.

وقال الحاكم: يقول أبو بكر أحمد بن إسحاق، ويحيى بن منصور: كلام الله صفة من صفات ذاته، ليس شيء من كلام الله خلق ولا مخلوق، ولا فعل ولا مفعول، ولا محدث ولا حدث ولا أحداث، فمن زعم أن شيئاً منه مخلوق أو محدث؛ أو زعم أن الكلام من صفة الفعل؛ فهو جهمي ضال مبتدع[١].

والله تعالى كان متكلماً بالقرآن قبل أن يخلق الخلق، وقبل كل الكائنات موجوداً، وأن الله فيما لم يزل متكلماً كيف شاء وكما شاء، وإذا شاء أنزل كلامه، وإذا شاء لم ينزله[٢].

وكلام الله غير بائن عن الله ليس هو دونه، ولا غيره ولا هو، بل هو صفة من صفات ذاته كعلمه الذي هو صفة من صفات ذاته، لم يزل ربنا عالماً ولا يزل عالماً، ولم يزل متكلماً ولا يزال متكلم، فهو الموصوف بالصفات العلى؛ لم ينزل بجمع صفاته التي هي صفات ذاته واحداً، ولا يزال:﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤][٣].

---

(١) المرجع السابق (ج٦\١٠٥).
(٢) المرجع السابق (ج ٦\٩٩).
(٣) المرجع السابق ٦\١٠٥.

مذهب الجهمية في كلام الله

أنكرت الجهمية أن الله تعالى يتكلم وقالت: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، وإنما كون شيئاً فعبر عن الله، وخلق صوتاً فأسمعه، وزعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين[1].

فرد عليهم شيخ الإسلام: هل يجوز أن يكون لمكون غير الله أن يقول: يا موسى ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٢ - ١٤]

أو يقول:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، فمن زعم أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية، ولو كان كما زعم الجهمي أن الله كون شيئاً كأن يقول ذلك المكون: يا موسى، إن الله رب العالمين ولا يجوز أن يقول: إني أنا الله رب العالمين.

وقد قال الله جل ثناءه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، فهذا منصوص القران.

وقال كذلك في الرد عليهم: إن قولهم إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش عن خَيثمة عن عدي بن حاتم الطائي قال: قال رسول

---

(١) مجموع الفتاوى ج٦ ص ٩٤.

الله ﷺ: (**ما منكم من أحد إلا سيُكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان**)[1].

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم، وشفتين ولسان، فنقول: أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت: ١١]

تراها أنها قالت: بجوف وفم ولسان وشفتين، وقال: (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ [ص: ١٨] أتراها أنها يسبحن بجوف وفم ولسان وشفتين؟ ولكن الله انطقها كيف شاء، قلت: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾[الإسراء: ٤٤].

قوله تعالى: وما من شيء، يعم كل شيء، وهل يا ترى لكل شيء فم وشفتين وجوف ولسان؟ ولكن الله أنطقها كيف شاء، وكذلك الله تكلم كيف شاء، من غير أن نقول: جوف ولا فم، ولا شفتان ولا لسان.

فلما ظهرت الحجة على الجهمية قالوا: إن الله قد تكلم، ولكن كلامه مخلوق.

فقال ابن تيمية: قد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات لا يتكلم؛ وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلامه، فقد جمعتهم بين كفر وتشبيه، فتعالى الله عن هذه الصفة علواً كبيراً[2].

كيف جمعو بين الكفر والتشبيه؟

الكفر: أنكرو كلام الله، والتشبيه: شبهو الله بالمخلوقات.

دليل الكلام والقول من السنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: (**تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله لايخرجه من بيته إلا لجهاد في سبيله، وتصديق كلماته، أن يدخله الجنة، أويرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال**

---

(١) أخرجه البخاري ٦٥٣٩ ومسلم ١٠١٦.
(٢) المرجع السابق.

من أجر وغنيمة)[1] .

وعن جابر رضي الله عنه قال: (**كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف، فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل)**[2] .

وعن عدي بن حاتم الطائي، قال: قال رسول الله ﷺ: (**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان**) [3].

وعن جابر بن عبد الله قال: كان النبي ﷺ في الخطبة يحمد الله تعالى ويثني
عليه بما هو أهله،ثم يقول: (**من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار)**[4] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**ثلاثة لايكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل بايع رجلاً سلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه فأخذها وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه منها وفى، وإن لم يعطه منها لم يف، ورجل على فضل ماء بالفلاة فيمنعه من ابن السبيل)**[5] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما: (**أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامه**) ثم يقول: (**كان أبوكم يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق**

---

(١) رواه البخاري (٦/٢٢٠) ومسلم (١٨٧٦) .
(٢) صحيح أخرجه أبو داوود (٢٧٣٤) والترمذي (٢٩٢٥) والبخاري في خلق أفعال العباد.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) صحيح أخرجه مسلم (٨٦٧).
(٥) أخرجه البخاري ٥/٣٤/٢٨٤ ومسلم ١٠٨.

عليهما السلام)[1] .

وفي صفة القول: فمن السنة عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يحدثنا ليلة أسري برسول الله ﷺ قال: **(فأوحى الله تعالى ماشاء فيما أوحى خمسين صلاة على أمته كل يوم وليلة، فذكر مروره على موسى وأمره إياه بمسألة التخفيف، وذكر مراجعة في ذلك حتى صار إلى خمس صلوات، وأنه قال: يارب إن أمتي ضعاف أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم فخفف عنا، فقال: إني لايبدل القول لديّ، وهي ما كتبت عليك في أم الكتاب ولك بكل عشر أمثالها، وهي خمسون في أم الكتاب خمس عليك)[2] .**

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: صلى بنا النبي صلاة الصبح بالحديبية فقال: **(أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، ومن قال مُطرنا بنوءِ كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[3] .**

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين: فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين)**

قال الله تعالى: حمدني عبدي إلى نهاية الحديث[4]

أما الإجماع: وهو من الأدلة الشرعية على الأسماء والصفات، فقد أجمع أهل السنة والجماعة: بأن الله متكلم بكلام قائم بذاته متعلق بمشيئته وإرادته، وقالوا: إن الله لم يزل متكلماً إذا شاء؛ لأن الكلام صفة الكلام، إذ أن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام لازماً لذاته، وكما أن الله عز وجل يوصف بالتكليم والتكلم فكذلك يوصف بالقول، وهو اللفظ المسموع، فهو قد قال في الماضي، وقائل الآن، وسيقول غداً، وقوله الحق

(١) أخرجه البخاري ٤٠٨.
(٢) صحيح أخرجه البخاري (٤٧٩/٤٧٨) ومسلم (١٦٢).
(٣) صحيح أخرجه البخاري (١٠٣٨)ومسلم (٧١).
(٤) أخرجه مسلم ٣٩٥.

الثابت الذي لا يخالطه باطل، وكلماته لا نفاد لها، ولا فناء، قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان: ٢٧] وهو سبحانه يكلم الثقلين من الإنس والجن بكلام يسمعونه يوم القيامة، ويكلم أولياءه في الجنة[١].

والله سبحانه يتكلم بحرف وصوت، فقد نادى موسى بصوت، ونادى آدم وحواء بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولكن الحروف والأصوات التي يتكلم بها صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم؛ كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده؛ فان الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته[٢].

الفرق بين التلاوة والمتلو

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧].

قال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[الطور: ١ - ٣].

وقال جل وعلى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال تعالى:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١- ٢].

(١) شرح العقيدة النونية للهراس ص١٢١\١٢٣.
(٢) شرح القصيدة الواسطية للهراس ص١٨٢.

فالقرآن الذي نتلوه هو كلام الله تعالى، وهو متلو بألسنتنا على الحقيقة مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في صدورنا، مسموع بأسماعنا غيرحالٍ في شئ منها، إذ هو من صفات ذاته، ومن صفات أفعاله، المتعلق بمشيئته وقدرته، غير بائن منه، وهو كما أن الباري عز وجل معلوم بقلوبنا، مذكور بألسنتنا، مكتوب في كتبنا، معبود في مساجدنا، مسموع بأسماعنا، غير حال في شيء منها، وأما قرائتنا وكتابتنا وحفظنا فهي من اكتسابنا، واكتسابنا مخلوق لا شك فيه، ومعنا اكتسابنا: أي: أفعالنا وهي حركات اللسان عند النطق بالحروف، وحركات اليدين عند الكتابة ـ وأما المقروء والمكتوب والمحفوظ فهو كلام الله عز وجل قال تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ [الحج: ٧٧]، وسمى رسول الله ﷺ تلاوة القرأن فعلا.

عن قتاده: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ قال: المسطور المكتوب، ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ وهو الكتاب وعن مجاهد: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ (وكتاب مسطور) صحف مكتوبه ﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ في صحف[1].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ : (ان الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته)، وتلا بعضهم عن ذلك: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦][2].

---

(١) الاسماء والصفات للبهيقي (ص ٣٥١،٣٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (١١٧). والبيهقي في شعب الإيمان ١٩٠ وغيرهم.وعن ابن مبارك قال: الورق وامداد مخلوق فأما القران فليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله عز وجل .المرجع السابق.

اعلم أن الله متكلم قائل مادح نفسه بالتكلم، إذ عاب الأصنام والعجل أنها لاتتكلم(١)، واعلم أن من الإيمان بالله وكتبه والإيمان بأن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره.

ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مُبلغاً مؤدياً. وهو كلام الله حُروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا معاني دون الحروف(٢).

والقول بأن القرآن كلام الله؛ هي إضافة الصفة للموصوف، فتفيد أن القرآن صفة الرب سبحانه، به حقيقة بألفاظه ومعانيه، وبصوت نفسه، وكلامه قديم وإن كانت آحادُهُ لا تزال تقع شيئا بعد شيءٍ بحسب حكمته(٣).

وإضافته إلى الله عز وجل تدل على أنه صفة له قائمة به، وليست كإضافة البيت أو ناقة؛ فإنها إضافة أعيان، وهذا يرد على المعتزلة في قولهم: إنه مخلوق منفصل عن الله(٤).

وقالو كذلك: كلام الله حادث بعد وجود المخلوقات(٥).

وقد أخبر الله تعالى بتنزيل كتابه وشهد بإنزاله، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

وقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٦].

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠٧/٦
(٢) مجموع الفتاوى ج٣ ص٩٨.
(٣) شرح الواسطية للهراس ص ٢٦٣.
(٤) المرجع السابق ص١٨٧.
(٥) مجموع الفتاوى ج٦ ص٩٩.

وقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الحشر: ٢١].

وقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ومن الادلة كذلك قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٥ - ١٠٦].

قول إبن كلاب بالقرآن وبأنه قديم

قال شيخ الاسلام رحمه الله (لم يقل أحد من السلف إن القرآن قديم)، بل هو قول ابن كلاب ومن تبعه، قالوا: لم يتكلم بمشيئة وقدرية وقالوا: لأن ذلك يستلزم حلول الحوادث، فلو اتصف الرب بذلك لقامت به الحوادث، وقالوا:لو قامت به الحوادث لم يخل منها، وما لم يخل من الحوادث فهو حادث، فإنه إذا كلم موسى بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته، كان ذلك النداء والكلام حادثاً.

وقال ابن تيمية في ذلك: ان قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما، لم يناديهما قبل ذلك وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥].

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢].

فجعل النداء في يوم معين، وذلك اليوم حادث كائن بعد أن لم يكن، وهو حينئذ- يناديهم، لم يناديهم قبل ذلك.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

فبين أنه يحكم فيحلل ما يريد ويحرم ما يريد، ويأمر بما يريد، فجعل التحليل والتحريم والأمر والنهي متعلقاً بإرادته، وينهي بإرادته، ويحلل بإرادته،ويحرم بإرادته، والكلابية يقولون: ليس شيء من ذلك بإرادته، بل قديم لازم لذاته غير مراد له ولا مقدور. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ

﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فإنما قال له: بعد أن خلقه من تراب،لا من الأزل.

وكذلك قوله في (قصة موسى): ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠].

وهذا بين في أنه إنما ناداه حين جاء لم يكن النداء في الأزل، كما يقوله الكلابية، يقولون: إن النداء قائم بذات الله في الأزل، وهو لازم لذاته لم يزل ولا يزال منادياً له، لكنه لما أتى خلق فيه إدراكاً لما كان موجوداً في الأزل[1].

شبهة الجهمي في حدوث القرآن: قال الإمام أحمد رضي الله عنه: إن الجهمي ادعى أمراً آخر وهو أن القرآن مخلوق، وهي شبهة شرعية.

فقال: أنا أجد آية في كتاب الله تدل على أن القرآن مخلوق، فقلنا: في أي آية؟ فقال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ ﴾ [الأنبياء: ٢].

فزعم أن الله قال للقرآن: محدث، وكل محدث مخلوق. فلعمري لقد شبه على الناس بهذا، وهي آية من المتشابه.

فالجهمي أتى بشبهة شرعية، آية من القرآن، وهي قول الله تبارك تعالى: ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمۡ ﴾ [الأنبياء: ٢] قال: إن الله أخبر أن القرآن محدث، وكل محدث مخلوق.

والآية الأخرى في الشعراء: ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٍ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ

(١) مجموع الفتاوى ج٦ \ص١٣٩- ١٣٨.

مُعۡرِضِينَ﴾ [الشعراء: ٥]، وقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١]، وهذه آية من المتشابه، ولا شك أنها تشتبه على كثير من الناس، ومم يدل على أن شبهة جهم قوية. قول الإمام أحمد رحمه الله: "فقلنا في ذلك قولاً، واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله".

ثم ينتقل رحمه الله بعد ذلك إلى الجواب على الآية: ﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ﴾ فكلمة ﴿مُحۡدَثٍ﴾ تشمل كلام الله، وكلام رسول الله ﷺ، فيدخل فيها الأمران جرى عليهما اسم ذم، وهو الحدث فينصرف إلى كلام الرسول ﷺ لا إلى كلام الله. وذلك أن الشيئان إذا اجتمعا في اسم يجمعهما، وأحدهما أعلى من الآخر، إن جرى عليهما اسم مدح انصرف إلى الأعلى، وإن جرى عليهما اسم ذم انصرف إلى الأدنى.

﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ﴾ الذكر محدث، ما هو الذكر؟ قال: يشمل شيئين: ذكر الله، وذكر الرسول ﷺ، جرى عليهما اسم ذم وهو الحدث، ينصرف إلى ذكر الرسول ﷺ؛ لأنه مخلوق، ولا يدخل في ذلك كلام الله، هذا خلاصة الجواب الذي أجاب به رحمه الله، ومن الأمثلة على الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣] هذا المثال الأول، والمثال الثاني: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، يعني الأبرار دون الفجار، فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان واسم العباد فالمعنى في قول الله جل ثناؤه: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ يعني الأبرار دون الفجار.

وكلمة عباد الله، يعني: العبودية العامة ويدخل فيها الكافر والمؤمن، فإذا قال: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ ينصرف اسم المدح إلى أعلاهما وهم عباده المؤمنين.

أما ذكر الله إذا انفرد لم يجر عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله:

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وإذا انفرد ذكر النبي ﷺ فإنه يجرى عليه اسم الحدث، بدليل قوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] فذكر النبي له عمل، والله له خالق ومحدث وذلك لأنه علَّمه الله إياه بعد أن لم يكن عالماً به، فلما علَّمه الله قبل أن يكون عالماً به صار حادثاً بالنسبة للرسول ﷺ، فهو محدث بالنسبة للرسول ﷺ ودليله ما قاله البخاري رحمه الله في صحيحه فقد فقال في كتاب التوحيد: باب قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قال إن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين؛ لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ: (**إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث ألا تتكلموا في الصلاة**)[١] .

ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (**كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهداً بالله، تقرءونه محضاً لم يشب؟**).

والحافظ ابن كثير يقول في تفسيره على قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ أي جديد إنزاله[٢].

---

(١) فتح الباري ج٣ ص٩٦.
(٢) ج٣ ص٢٢٣.

وقول المؤلف: وهو كلام الله، حروفه ومعانيه

هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ قالوا: إن الله تعالى تكلم بالقرءان بحروفه ومعانيه.

وقوله: (ليس كلام الله الحروف دون المعاني): وهذا مذهب المعتزلة والجهمية؛ لانهم قالوا: إن الكلام ليس معنى يقوم بذات الله، بل هو شيء من مخلوقاته، كالسماء والأرض والناقة والبيت وما أشبه ذلك! فليس معنى قائماً في نفسه؛ فكلام الله حروف خلقها الله عز وجل، وسماها كلاماً له؛ كما خلق الناقة وسماها ناقة الله، وكما خلق البيت وسماه بيت الله.

ولهذا كان الكلام عند الجهمية والمعتزلة هو الحروف؛ لأن كلام الله عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله عز وجل ونسبها إليه تشريفاً وتعظيماً.

وقوله: (لا معاني دون حروف): وهذا مذهب الكلابية والاشعرية، فكلام الله عندهم معنى في نفسه، ثم خلق أصواتاً وحروفاً تدل على هذا المعنى؛ إما عبارة أو حكاية[1].

---

(١) شرح الواسطية للعثيمين ص٤٦٧.

صفة الرضى

وقول المؤلف: وقوله تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [البيّنة: ٨].

وهذه من آيات الرضى؛ فالله تعالى موصوف بالرضى، وهي صفة حقيقية ثابتة لله عزوجل وهي في نفسه، وليست شيئاً منفصلاً عنه[١].

وصفة الرضى: صفة فعلية، ذكر الله عن نفسه أنه يرضى وإذا رضي، فإنه يثيب من رضي عنه، لقوله: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١].

وقوله: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

ومن السنة: فقد كان من دعاء النبي ﷺ: (**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**)[٢] .

والرضى من الله سبحانه أن يقبل العبد، ويقتضي رضاه عن العبد الثناء عليه ومدحه، ويرضى الله عن العمل ويرضى عن عامله:

أما العمل: فمثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ [الزُّمَر: ٧].أي يحبه لكم ويزدكم من فضله.

وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) (شرح الواسطية للعثيمين ص٢١٦).
(٢) (أخرجه مسلم ١٧١٥).

ومن السنة في الحديث الصحيح الذي يرويه ابو هريرة رضي الله عنه: (**إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً**) رواه مسلم في كتاب الاقضية[1].

وأما العامل: فمثل قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨]. وقوله: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ﴾ [البيّنة: ٨].

ومن السنة قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (**إذا توفي العبد المؤمن، أرسل إليه ملكين. وأرسل اليه بتحفةٍ من الجنة فيقال: أخرجي أيتها النفس المطمئنة، إلى روح وريحان، ورب عنك راضٍ**)[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (**من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضى الناس وكله الله إلى الناس**)[3] .

ومن أدلة الرضى في القرآن قوله تعالى في العمل من أجل مرضاته:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وقوله:﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

ومما يرضيه سبحانه كذلك، أنه منَّ على هذه الامة بالإسلام فقال:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣].

وبين لنا أن رضاه سبحانه هو أعلى مطلوب النبيين فقال سائلاً موسى:

---

(١) (المرجع السابق).
(٢) أخرجه النسائي ج٤ ص٢٨.
(٣) صحيح موقوف كتاب الزهد ص١٨٩١والأسماء والصفات ص٦٢٣.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ فأجابه موسى: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾ [طه: ٨٣- ٨٤]

وبين لنا أن رضاه سبحانه من شروط الشفاعة وقبولها فقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وهو رضى الله عن الشافع والمشفوع له.

ولقد أنكر هذه الصفة الأشاعرة والمعتزلة، وادعو أن هذه لاتليق بالخالق، وقالوا: إن الرضى انبساط وسرور يظهر على الإنسان إذا رأى شيئاً يفرحه، وهذا ينزه عنه الخالق، وفسره أهل التعطيل بالثواب.

ونرد عليهم بما يلي: أنتم أثبتم لازم الصفة ونفيتم الصفة؛ فإن الله جل وعلا إذا رضي عن عبد فإنه يثيبه، فلازم الرضا الثواب لازم الصفة، ونثبت الصفة أيضاً، وقد علمنا الأدلة كلها فأثبتنا الصفة أولاً لأن الله أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ، ثم أثبتنا لازم الصفة وهو الثواب.

صفة السخط والغضب والإنتقام

وقول المؤلف: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨]

وقوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ﴾ [الزُّخرُف: ٥٥] .

هذه صفات الغضب والسخط والإنتقام.

أما صفة الغضب فهي: من الصفات الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة والإجماع، ودليلها من الكتاب، قوله تعالى في الآية السابقة، وإخباره عن المشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٦].

ومن السنة: عن الأعمش عن شفيق قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: **(من حلف عن يمين صبر ليقطع بها مال امرئٍ مسلم وهو فيها فاجر لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان)**[1]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن الله تعالى كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي)**[2] ، وعنه كذلك قال: قال رسول الله ﷺ: **اشتد غضب الله عز وجل على قوم فعلوا برسول الله)**[3] .

صفة السخط

وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٨].

وقوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [المائدة: ٨٠].

وفي حديثٍ قدسي أن الله تعالى يقول لأهل الجنة: **(قال: أحل عليكم رضواني**

(١) متفق عليه (البخاري ٣٣/٥) ومسلم ١٣٨.
(٢) البخاري ٣١٩٤.
(٣) البخاري ٣٧٢/٧ ومسلم ١٧٩٣ .

فلا أسخط عليكم بعده أبداً)(١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الله عز وجل يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً: ويرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقو، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**)(٢) .

صفة الإنتقام

وهو: نتيجة غضب الله تعالى وهذا ما ذكره المؤلف في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزُّخرُف: ٥٥].

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي لما أغضبونا، ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾، فجعل الإنتقام نتيجة للغضب، فدل على أنه غيره(٣). وقوله تعالى لمن عاد إلى الصيد وهو محرم: ﴿وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقال ابن جرير في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ يقول، عز ذكره: والله منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، له العزة والمنعة وقوله: ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ يعني أنه ذو معاقبة لمن عصاه على معصيته اياه(٤).

وقوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] .

قول أهل التعطيل من الأشاعرة وغيرهم في هذه الصفة والرد عليهم:

وأهل التعطيل من الأشعرية وغيرهم يقولون: إن المراد بالسخط والغضب الإنتقام أو إرادة الإنتقام، ولا يفسرون السخط والغضب بصفة من صفات الله

---

(١) رواه البخاري عن معاذ بن أسد (٤٢٥/١١) القصيدة النونية ج١ ص١٢٣.
(٢) أخرجه مسلم ١٧١٥ (الاسماء والصفات للبيهقي).
(٣) (شرح لمعة الاعتقاد ص١٩).
(٤) تفسيرابن كثير ج٢ ص/١٣٩ .

يتصف بها هو نفسه، فيقولون: غضبه؛ أي إنتقامه، أو إرادة انتقامه؛ فهم إما أن يفسروا الغضب بالمفعول المنفصل عن الله وهو الإنتقام، أو بالإرادة لأنهم يقرون بها، ولا يفسرونه بأنه صفة ثابتة لله على وجه الحقيقة تليق به.

فنرد عليهم بقولنا: إن الله تعالى غاير بين الغضب والانتقام، فقال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي لما أغضبونا، ﴿ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزُّخرُف: ٥٥] فجعل الإنتقام نتيجةً للغضب فدل على أنه غيره، وأن قولهم خلاف ظاهر النصوص وخلاف طريقة السّلف وليس عليه دليل صحيح.

وأما الأشاعرة والمعتزلة ادعوا بأن هذه الصفة لا تليق بالخالق وقالوا: إن الغضب غليان القلب لطلب الإنتقام، وأنه يحصل معه انفعال، وأن الإنسان إذا غضب احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فهو يريد الإنتقام ممن أغضبه، فهذه الصفات ينزهون الله عنها.

ونحن نقول: إن قولهم غليان دم القلب واحمرار الوجه إنما هي صفات المخلوق تعالى الله عنها، وإن الخالق عز وجل يغضب غضباً يليق بجلاله أثبته لرسوله ﷺ فقال في حديث الشّفاعة: (**إنّهم يأتون آدم فيقولون: إشفع لنا فيقول: إن ربّي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**)[1] .

فهذا قول كل نبيّ من أولي العزم عليهم السلام، فهذا دليل على أن الأنبياء يثبتون لله تعالى صفة الغضب.

وأما إجماع السلف فقد أجمعوا: بأن السخط والغضب غير الانتقام، والانتقام نتيجة الغضب والسخط؛ كما نقول: إن الثواب نتيجة الرضى؛ فالله سبحانه وتعالى يسخط على هؤلاء القوم ويغضب عليهم ثم ينتقم منهم[2].

---

(١) (رواه مسلم من حديث أبي هريرة ١٩٤).
(٢) (شرح الواسطية للعثيمين ص٢٢٥) - لمعة الاعتقاد ص١٩-.

صفة الرحمة

وقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] و ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] و ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٣] و ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤].

هذه الآيات في إثبات صفة الرحمة: فقوله: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: جار ومجرور، الباء حرف جر و(اسم) مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره: أستعين بسم الله، أو أتبرك باسم الله؛ فقوله: (باسم الله)، يتضمن بركة واستعانة، تبرك باسم الله جل وعلا واستعان به.

والاسم مأخوذ عن السمة، وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة على المسمى؛ وقيل مأخوذ من السمو وهو الإرتفاع.

والكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام: اسم، وفعل، وحرف، و﴿بِسْمِ﴾ مضاف، ولفظ الجلالة مضاف إليه، و﴿ٱللَّهِ﴾ علم على الذات الأُلهية، ومعناه ذو الألوهية؛ أي: العبودية والوله وهو المحبة؛ لأن الله سبحانه يحبه عباده ويتألهون له، يعني: يتعبدون، ومنه الإله؛ أي المعبود[1].

و﴿ٱللَّهِ﴾: اسم لايسمى به غير الله جل وعلى، فلا أحد يسمى به، لا من الكفار ولا من الجبابرة، ولا من الطواغيت، لا أحد سمى نفسه الله أبداً، إنما الاسم من أسماء الرب سبحانه وتعالى.

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: اسم من أسمائه تضمن الرحمة العامة لجميع المخلوقات،

(١) جامع شروح السفارينية ص١٠٧.

وهو مبني على المبالغة ومعناه: ذو الرحمة الواسعة الذي لا نظير له فيها[1].

لهذا قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ والرحمن اسم متضمن لصفات الإحسان والجود والبر.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ كذلك اسم من أسماء الله يتضمن الرحمة للمؤمنين، لهذا قال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

فـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: خاص الاسم عام الفعل.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: عام الاسم خاص الفعل[2].

فالرحمة نوعان: عامة وخاصة:

فالعامة: تشمل جميع المخلوقات حتى الكفار؛ لأن الله قرن الرحمة مع العلم؛ فقال: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]. فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء؛ فقد بلغته رحمته؛ فكما يعلم الكافر؛ يرحم الكافر أيضاً.

ولكن رحمة الكافر رحمة جسدية بدنية دنيوية قاصرة غاية القصور بالنسبة لرحمة المؤمن؛ فالله يرزق الكافر ويطعمه ويسقيه، ويشفيه ويرفعه في الدنيا ويعطيه فيها مايرجوا، ولكن ليس له في الآخرة من نصيب[3].

والخاصة: رحمته تعالى بالمؤمنين وهي رحمة أخص من الأولى وأعظم، لأنها رحمة إيجابية إيمانية دينية دنيوية؛ ولهذا تجد المؤمن أحسن حالاً من الكافر، حتى في أمور الدنيا، لأن الله يقول: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ

---

(١) تفسير القرطبي ج١ ص١١٢ .
(٢) المرجع السابق.
(٣) شرح الواسطية للعثيمين ص٢٠٦.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧][(١)] .

ومن أعطى اسم الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حقه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث وإنبات الكلأ، وإخراج الحب؛ فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظ البهائم والدواب. وأدرك منه أولو الألباب أمراً وراء ذلك[(٢)].

وصفة (**الرحمة**) ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية والعقلية، وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وتنوعاً من غيرها، وأثبتها الله تعالى لنفسه بالاسم والصفة والفعل:

بالاسم: مثل قوله تعالى:﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣].

وبالصفة: مثل قوله: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ﴾ [الكهف: ٥٨].

وبالفعل مثل قوله: ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [العنكبوت: ٢١].

وأما (بالعقل): فإن النعم التي ترى على العباد من كل وجه، والنقم التي تدفع عنهم في كل حين دالة على ثبوت الرحمة لله عز وجل قال تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

الآية الثانية: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

وهذا حكاية عن الملائكة الذين يحملون العرش ومن حوله، إنهم يستغفرون للذين آمنوا، فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي

---

(١) المرجع السابق.
(٢) (مدارج السالكين١/١٤).

وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

فـ ﴿رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا﴾ منصوبان على التميز المحمول عن الفاعل، وفي ذلك دليل على سعة رحمة الله وشمولها[١].

أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم، وحركاتهم وسكناتهم[٢].

وتقديم صفة الرحمة على صفة العلم مع أن العلم أشمل وأقدم تعلقاً من صفة الرحمة، لأنها المقصودة بالذات هنا.

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا﴾ يدل على أن كل شيء وصله علم الله، وهو واصل لكل شيء؛ فإن رحمته وصلت إليه؛ لأن الله قرن بينهما في الحكم[٣].

والرحمة من لوازم الربوبية، فلا يكون إلا رحيما، وذلك من موجبات ألوهيته، ورحمته تعالى سبقت غضبه كما قال في الحديث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: (**لما قضى الله الخلق كتب كتاباً فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تسبق غضبي**)[٤].

وآثار رحمته ظهرت في خلقه ظهوراً لاينكر، حتى ملأت أقطار السماوات والأرض، وامتلأت منها القلوب.

بل توقف عليها فلاح العبد أو شقائه كما قال في الحديث الشريف: (**لاتنزع الرحمة إلا من شقي**)[٥].

وقوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) (شرح الواسطية للفوزان ص٦٠).
(٢) (تفسير ابن كثير ج٤ص٩٣).
(٣) (شرح الواسطية للعثيمين ص٢٠٦).
(٤) متفق عليه وللبخاري ص٣١٩٤ ومسلم ص٢١٠٨.
(٥) حديث حسن انظر الجامع الصغير برقم ٧٤٦٧.

هذا إخبار من الله سبحانه أنه رحيم بالمؤمنين يرحمهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (بالمؤمنين): متعلق (بالرحيم)، وتقديم المعمول يدل على الحصر، فيكون معنى الآية بالمؤمنين لا غيرهم رحيماً. وهي رحمة خاصة بالمؤمنين ليس ليغيرهم فيها نصيب(١).

والله تعالى يرحم عباده المؤمنين بالدنيا والآخرة، أمَا في الدنيا، فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وأمَا رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر، وبشرهم بالفوز بالجنة التي سماها لهم(٢).

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

بمعنى أوجب على نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً، وهذه كتابة كونية قدرية لم يوجبها عليه أحد.

والرحمة هي: التعلق، والسبب الذي بين الله وبين عباده، فالتأليه منهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده، بها أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم السكينة وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه(٣).

فكتب على نفسه الرحمة، وتسمى بالرحمن قبل أن يكون بنوا آدم، وأن ظهور آثار هذه الصفة في الوجود كظهور أثر الربوبية والملك والقدرة، فإن مالله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة، ومافي العالم من آثار التدبير والتصريف الإلهي شاهد بملكه سبحانه(٤).

وقد أنكر الأشاعرة والمعتزلة صفة الرحمة بدعوى أنها في المخلوق ضعف وخورٌ وتألم للمرحوم.

ويرد عليهم ابن القيم الجوزي في الصواعق المرسلة: إن قولكم (الرحمة رقة القلب) تريدون رحمة المخلوق أم رحمة الخالق أم كل مايسمى رحمة شاهدا أو غائباً، فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئاً، وإن قلتم بالثاني

(١) شرح الواسطية للعثيمين ص ٢٠٨.
(٢) (تفسير ابن كثير ج٣ /٦٥٤).
(٣) (مدارج السالكين ج١ ص٣٦).
(٤) الصواعق المرسلة ٣٤٥.

والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيواناً له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه، وإن كان ملكاً فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة، لم يلزم أن تكون رحمته من جنس المخلوق لمخلوق، وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة إلزاماً وجواباً[1].

أما قولهم: (أنها ضعف وخورٌ وتألم للمرحوم)، وهذا من أقبح الجهل، فإن الرحمة إنما تكون من الأقوياء للضعفاء، فلا يستلزم ضعفا ولا خورا، بل قد تكون مع غاية العزة والقدرة، فالإنسان القوي يرحم ولده الصغير وأبويه الكبيرين ومن هو أضعف منه، وأين الضعف والخور؟ وهما أذم الصفات.

ويكفينا أن نرد عليهم بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] فقد استوى على عرشه باسم الرحمن، لأن العرش محيط بالمخلوقات، وقد وسعها. والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات، فلذلك وسعت رحمته كل شيء. وفي الصيحيح من حديث ابي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب ، فهو عنده موضوع على العرش. إن رحمتي تغلب غضبي**) [2] فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة، ووضعه عنده على العرش، وطابق بين ذلك وبين قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] ينفتح لك باب عظيم من المعرفة الرب تبارك وتعالى (إن لم يغلقه عنك التعطيل والتجهم)[3] .

قلت: وكذلك استعماله اسم (الرحمن) في خطاب الكفار والمشركين،

---

(١) الصواعق المرسلة ص٣٤٠.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) (مدراج السالكين ج١/ص٣٤).

ليظهر لهم سعة رحمته وأن رحمته سبقت غضبه، وذلك ترغيباً لهم بالتوبة والرجوع إلى الحق، فلم يخاطبهم بأسماء العظمة، والانتقام، بل خاطبهم باسم (الرحمن)، ومن ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم وهو يدعو أبيه إلى عبادة الله وحده، وترك ما دونه من عبادة الأصنام والكواكب فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم: ٤٣ - ٤٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا﴾ [مريم: ٧٧ - ٧٨]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣].

الفرق بين صفة الرحمة وصفة الغضب: إن صفة الرحمة صفة ذاتيّه لله تعالى لا تنفك عنه أما الغضب فهي صفة فعليه، وإن صفة الرحمة وسعة كل شيء من مخلوقاته، أما الغضب فهي صفة فعلية يغضب فقط على من يستحق الغضب، وكتب على نفسه الرحمة فلا يكون إلاّ رحيماً، ولم يكتب على نفسه الغضب. وقال الطيبي في قوله تعالى (إن رحمتي تغلب غضبي) أن في سبق الرحمة إشارة إلى أن قسط الخلق منها أكثرمن قسطهم من الغضب، وأنها تنالهم من غيراستحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا بإستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنيناً ورضيعاً وفطيماً وناشئاً قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك[1].

---

(١) لمعة الاعتقادص ١٩.

وقول المؤلف: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ [الكهف: ٣٩].

وقوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١].

وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

دلت هذه الايات على صفتي المشيئة والإرادة وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨].

وقوله: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦].

وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ ﴾ [الرعد: ١١].

والنصوص في ذلك لا تحصى كثرة.

ومشيئة الله: هي إرادته الكونية، وهي نافذة في ما يحبه وما لا يحبه، ونافذة على جميع العباد بدون تفصيل، ولا بد من وجود ما شاءه لكل حال، فكل ما شاء الله وقع ولا بد، سواء فيما يحبه ويرضاه أم لا.

وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال على لسان صاحب الجنتين: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩].

وقوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤]، فكل ما كان بعد عدمه، فإنما يكون بمشيئة الله وقدرته، وهو سبحانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، فما شاء وجب كونه،وهو تحت مشيئة الرب وقدرته، وما لم يشأه امتنع كونه مع قدرته عليه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة: ١٣].

وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢][1] .

أما الإرادة: وهي مشيئة الله تعالى: وهي قسمان: إرادة كونية وإرادة شرعية.

القسم الاول: الإرادة كونية: وهذه الإرادة مرادفة تماماً للمشيئة، (وإرادة) فيها بمعنى شاء، وهما تتعلقان بكل ماشاء الله فعله وإحداثه، فهو سبحانه إذا أراد شيئاً وشاءَهُ كان عقب إرادته له؛كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.

وفي الحديث الصحيح: (**ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن**) وهذه الإرادة يلزم فيها وقوع المراد؛ يعني أن ما أراده الله فلابد أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف.

(١) مجموع الفتاوى ج٦ ص١٥١.

ومن شواهد الآيات الكونية، قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٩].

وقد بسط في باب الإلحاد.

القسم الثاني: الإرادة الشرعية: وهي مرادفة للمحبة؛ فـ(ارادة) فيها بمعنى: (أحب)؛ والإرادة الشرعية تتعلق بما يأمر به الله عباده مما يحبه ويرضاه، وهي المذكورة في مثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥][1].

والإرادة الشرعية:

أولاً: تختص بما يحبه الله؛ فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية ولا الفسق.

ثانياً: أنه لايلزم فيها وقوع المراد؛ بمعنى أن الله يريد شيئاً ولا يقع؛ فهو سبحانه يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لايعبدونه؛ بخلاف الإرادة الكونية[2].

ولا تلازم بين الإرادتين؛ بل قد تتعلق كل منهما بما لاتتعلق به الأخرى، فبينهما عموم وخصوص من وجه، فالإرادة الكونية أعم من جهة تعلقها بما لا يحبه الله ويرضاه من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

والحاصل أن الإرادتين قد تجتمعان معاً مثل إيمان المؤمن، وطاعة المطيع، وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ومعصية العاصي، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر وطاعة العاصي[3].

---

(١) شرح الواسطية للهراس ص٩٥.
(٢) شرح الواسطية للعثيمين ص١٨٣.
(٣) المرجع السابق ص٩٦.

ميزة الكلمات الكونية

الكلمات الكونية هي: كلمات الفعل التي يخلق الله بها خلقه ويدبر بها أمره، وهذه تمتاز بأنها يخاطب بها كل شيء خلق الله، ولا يجتبي لها ولا يختار، بل يخاطب بها المؤمن والكافر والشجر والحجر وغيرذلك، فيقال للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

وهذه الكلمات تمتاز أيضا بأنها لاحصر لها ولا يمكن أن تعد كما دلت على ذلك الآيات: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩].

معناه الكلمات الكونية: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، ولا يقصد به هذا القرآن، فأننا نستطيع أن نكتبه بأيدينا ولا تنفذ أقلامنا ولا مدادنا، ولكن المقصود الكلمات الكونية التي لا تنحصر.

وهناك ميزة أخرى للكلام الكوني: وهو أنه مستمر لا انقطاع فيه، فهو الذي به تدبير الأمر كله في الدنيا والآخرة، وهذا الكلام نسب إلى الكوني بلفظه ﴿كُن﴾؛ لأنه جاء فيه لفظ: ﴿كُن﴾، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فهي تكوينية، وليس معناها أنها منسوبة إلى الكون، بل هي منسوبة إلى (كن) التي هي فعل أمر التكوين، فيها يكون الله ما شاء من خلقه؛ ولهذا يخاطب بها العاقل وغير العاقل، ويخاطب بها الكافر والمؤمن.

ميزة الكلمات الشرعية

الميزة الأولى: هي الإختيار لها، فإن الله سبحانه وتعالى يصطفي لهذه الكلمات من شاء من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقوله لموسى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١].

الميزة الثانية: ميزة هذه الكلمات الشرعية، أنها محصورة في الكتب المنزلة، وقد ختمت بالقرآن، فلا يمكن أن ينزل منه شيء بعد القرآن، وختم التشريع أيضاً ببعض القرآن وهو قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

الميزة الثالثة: أن هذه الكلمات محصورة العدد، فالقرآن - مثلاً- محصور العدد، حتى حروفه محصورة وآياته محصورة. بخلاف الكلمات الكونية والله أعلم وأحكم.

أقوال الملل الاخرى بالإرادة

الإرادة من الصفات التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة مع الأشاعرة الذين أثبتوا لله الصفات السبع، فقد أثبت الأشاعرة صفة الإرادة لله تعالى، (ولكنهم أثبتوا له إرادة واحدة قديمة تعلقت في الأزل بكل الإرادات، فيلزمهم تخلف المراد عن الإرادة)[١].

أما المعطلة فقد نفوا صفة الإرادة التي يقع بها التخصيص في الممكنات على وفق علمه وحكمه)[٢].

وردهم كذلك النصوص الصريحة التي تفوت العدد على ثبوت الأفعال الاختيارية للرب سبحانه وقيامها به كقوله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقوله ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقوله ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦][٣].

---

(١) شرح الواسطية للهراس ص٩٤.
(٢) شرح النونية للهراس ج١- ص٣٢.
(٣) أعلام الموقعين ج٢ ص٥١٧.

صفة السمع والبصر

وقول المؤلف: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[آل عمران: ١٨١].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ﴾ [الزُّخرُف: ٨٠].

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] .

أثبت الله في كتابه أنه بصير بما يفعل العباد.

والبصر ثابت لله عز وجل وهو من الصفات الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها، فهو لم يزل ولا يزال عليماً، ولم يزل ولا يزال بصيراً بخلقه عز وجل، أي: يبصرهم.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله البصر، بصر العلم وبصر الرؤية، وهو عندهم من الصفات الذاتية التي لم يزل ولا يزال سبحانه وتعالى متصفاً بها وثبتت بالكتاب والسنة كذلك،، وهو من الصفات الذاتية، فهو لم يزل ولا يزال سميعاً، والسمع الذي أثبته الله لنفسه نوعان:

أولاً: سمع إدراك المسموع.

ثانياً: وسمع إجابة المسموع.

﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم: ٣٩] وهناك فرق بين الإدراك وبين الإجابة: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]،: ﴿سَمِعۡنَا﴾ يعني سمع إدراك: ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ أي: سمع استجابة، وفي قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ﴾ [المجادلة: ١] هنا سمع إدراك، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[إبراهيم: ٣٩] أي سمع إستجابة، وفي قول المصلي: سمع الله لمن حمده. سمع الأمرين جميعاً يعني يسمع ويجيب من حمده بالإثابة.

فصفة السمع والبصر من الصفات الذاتية الفعلية الثابتة لله تعالى، بالكتاب والسنة والإجماع.

(فالسميع): معناه: المتصف بصفة السمع، والسمع في اللغة يطلق على السامع وعلى المسمع، فالسامع الذي لا يفوته شيء، يسمى سميعاً، والمسمع- أي المنادي- الذي يُسمع الناس، يسمى سميعاً أيضاً.

(والبصير): المتصف بصفة البصر: يعني المدرك لجميع المبصرات، ويطلق البصير، بمعنى العليم؛ فالله تعالى يرى كل شيء وإن كان خفي، وهو سبحانه بصير بمعنى: عليم بأفعال عباده؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [(١)].

وقلنا: أن السمع المضاف إلى الله عز وجل ينقسم إلى قسمين: فسمع الإدراك من الصفات الذاتية، وإن كان المسموع قد يكون حادثاً.

وسمع الإستجابة من الصفات الفعلية؛ فيكون معناه أن الله يجيب من دعاه، لان الدعاء صوت ينطلق من الداعي، وسمع الله دعاءه؛ يعني: استجاب دعاءه، وليس المراد سمعه مجرد سماع فقط؛ لأن هذا لا فائدة منه، بل الفائدة أن

---

(١) الواسطية للعثيمين ص١٧٠.

يستجيب الله الدعاء.

(فالسمع): الذي بمعنى إدراك الصوت ثلاثة أقسام: أحدهما: ما يقصد به التأييد، مثل: قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

والثاني: ما يقصد به التهديد: مثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ﴾[الزُّخرُف: ٨٠].

والثالث: ما يقصد به بيان إحاطة الله سبحانه وتعالى بخلقه: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٨٠].

أما **(البصر)** الذي بمعنى الرؤيا: فله معنيان: **المعنى الأول:** العلم. مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ - ٧]، فالرؤية هنا رؤية العلم؛ لأن اليوم ليس جسماً يرى، وأيضاً هو لم يكن بعد؛ بمعنى: (ونراه قريباً) أي: نعلمه قريباً.

المعنى الثاني: رؤية المبصرات؛ يعني: إدراكها بالبصر، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩].

وقد ترد آيات كذلك تشمل الرؤية العلمية والبصرية، وذلك مثله قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[الإسراء: ٣٠] (١).

(١) شرح الواسطية للعثيمين ص (٢٧٢-٢٧٥).

الأدلة من السنة على صفتي السمع والبصر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].

(فوضع إبهامه على أذنه اليمنى، والتي تليها على عينه)[١].

وهذا إثبات للسمع والبصربالقول والفعل والمراد بهذا الوضع تحقيق السمع والبصر، لإثبات العين والأذن؛ فإن ثبوت العين جاءت في أدلة اخرى، والأذن عند أهل السنة والجماعة لا تثبت لله ولا تنفي عنه لعدم ورود السمع بذلك[٢].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير فكنا اذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا فقال رسول الله ﷺ: **(أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكنكم تدعون سميعاً بصيراً)**[٣].

وفي المجادلة التي جاءت تجادل النبي ﷺ في زوجها وتشتكي إلى الله، قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي سمع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فانزل الله عز وجل: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله- ﷺ-: **(إن الله-عز وجل- لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، وحجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه ببصره)**[٥].

---

(١) رواه ابوداود كتاب السنة.
(٢) المرجع السابق.
(٣) أخرجه البخاري ٧٣٨٦ ومسلم ٢٧٠٤.
(٤) حديث صحيح أخرجه البخاري ٣٧٢- ١٣، واحمد ٤٦،٦ وغيرهم.
(٥) رواه مسلم وسبق تخريجه.

الإجماع: فقد أجمع أهل السنة والجماعة، وكل من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، بأن الله سميع بصير ولكن: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ في سمعه وبصره وكلامه.

قول بعض الملل في صفتي السمع والبصر.

أولاً: الأشاعرة: أن صفتي السمع والبصر من الصفات السبع التي اتفق عليها أهل السنة والجماعة مع الأشاعرة ونحوهم، أما السلف فيثبتون لله تعالى كل ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ.

أما الأشاعرة فإنهم لا يثبتون لله تعالى إلا سبعة صفات، وقد تم ذكرها، وحجتهم بتثبيت هذه الصفات دون غيرها، هو أن العقل دل عليها، فأثبتوها لدلالة العقل عليها، وأما ما سواها، فان العقل لا يدل عليها، فيجب أن تؤول.

ثم فصَّلوا كيف دل عليها العقل فقالوا: الإيجاد دل على القدرة، حيث أن إيجاد الاشياء يدل على قدرة الموجد وهو الله عز وجل، والأشياء موجودة، فإيجاد الاشياء دل على القدرة.

وإحكام هذه الأشياء خلقاً وصنعاً يدل على العلم؛ لأن الجاهل لا يحكم الشيء. والتخصيص يدل على الإرادة وذلك أن يكون هذا ذكراً وهذه أنثى، وهذه شمس وهذا قمر، وهذه أرض وتلك سماء، فهذا يدل على الإرادة، وهذه ثلاث صفات.

ثم قالوا: وهذه الصفات الثلاث لا تقوم إلا بحي، أي: من لازم المتصف بهذه الصفات الثلاث أن يكون حياً، فأثبتوا الحياة، فتكون الصفات بذلك أربع.

ثم يقولون: إذا ثبت أنه حي فإما أن يتصف بالسمع والبصر والكلام، أوبضد ذلك، وضد ذلك ممتنع؛ لأن ضد السمع الصم، وضد الكلام الخرس، وضد البصر العمى، وهذه الصفات صفات عيب لا يمكن أن يتصف بها الخالق، وهذا وجه دلالة العقل عندهم على الصفات السبع، ومنها السمع والبصر[1].

والأشاعرة يثبتون لله البصر، ولا يثبتون له العين، ويقولون: إن الله يرى،

---

(١) شرح السفارنية للعثيمين ص: ٢٢.

لكن لا بعين، ولكن لو قال قائل: هل يمكن عقلاً أن يجعل بصره بلا عين؟

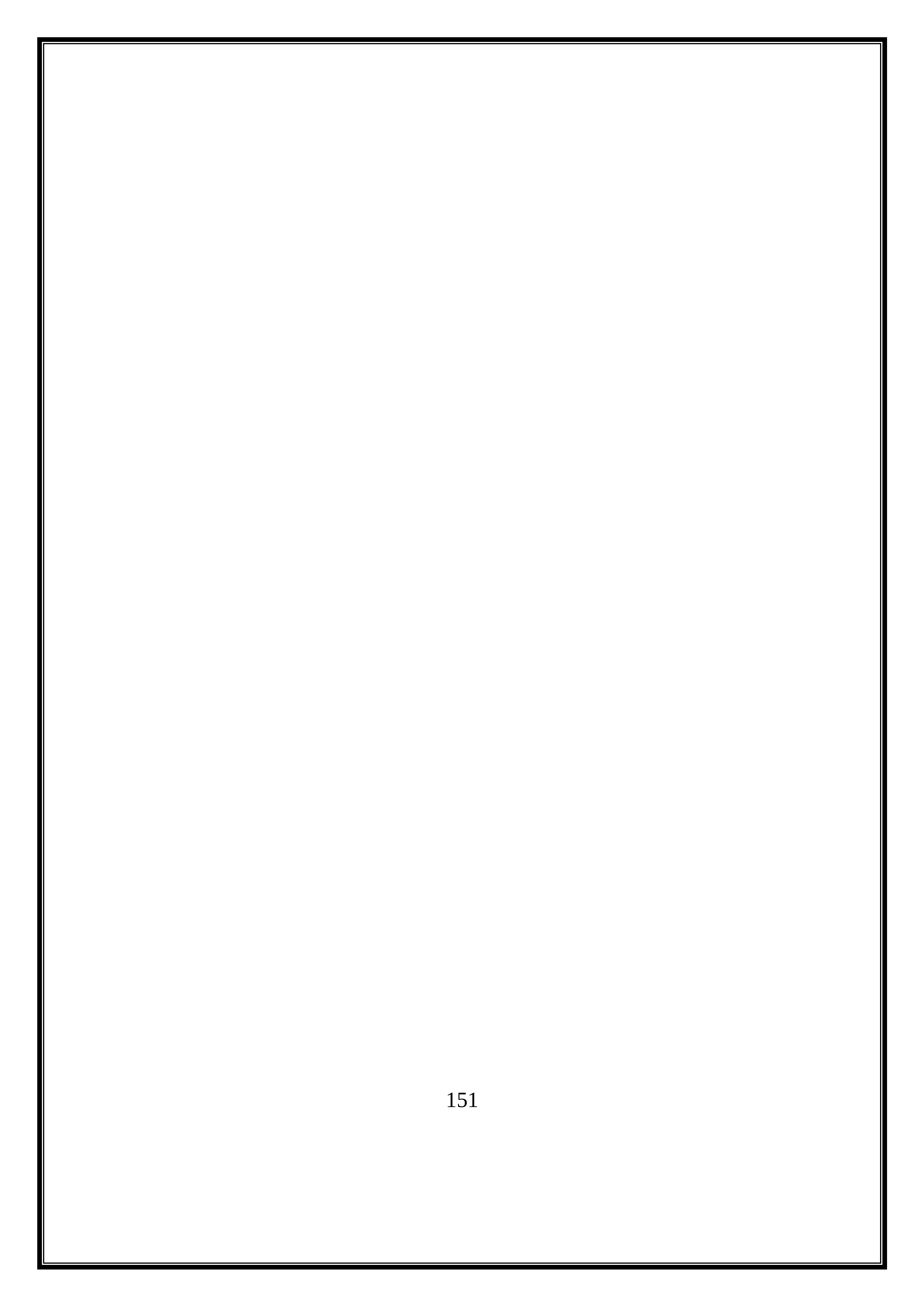
نقول: نعم يمكن، فقد قال الله تعالى عن الأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] أي تخبر بما عمل الناس عليها، وعمل الناس قد يكون فعلاً يرى وقد يكون قولاً يسمع، فالأرض تسمع بلا أذن، وترى بلا عين، والله على كل شيء قدير[1].

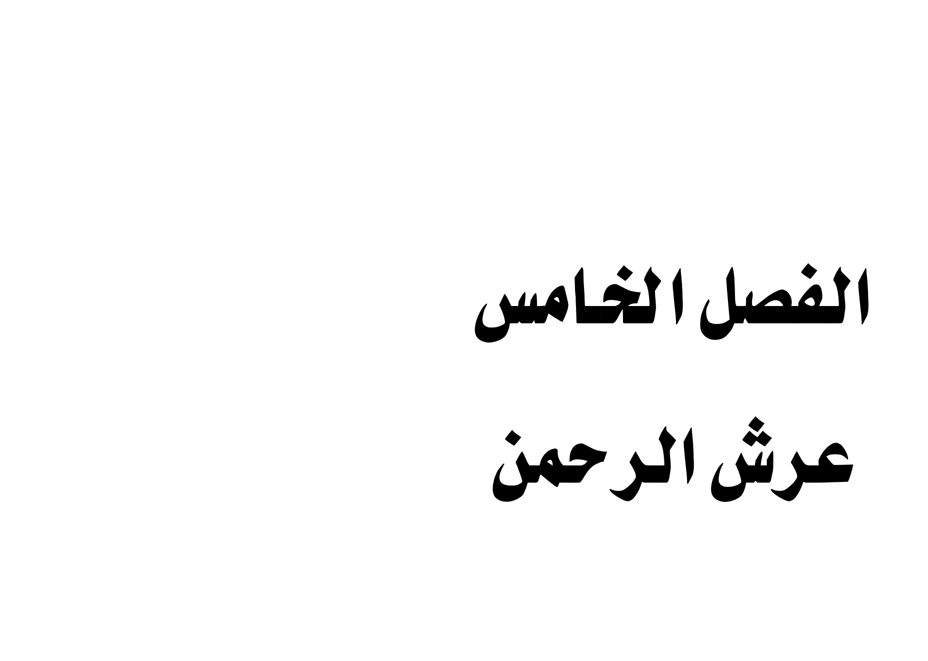
ثانياً: المعطلة:

أنكر المعطلة الصفات كاملة وقالوا: لو وصفنا الله بها لشبهناه بالبشر، ومن هذه الصفات صفتي السمع والبصر، والصواب أنهم إن كانوا يقرون لله ذاتاً حقيقية ثابتة مستوجبة لصفات الكمال، لا يماثلها شيء؛ فعليهم الإقرار بأن لهذه الذات صفات، لا يماثلها شيء من صفات الذوات المخلوقة، إذ أنه لا يوجد ذات بدون صفات، وموهب الصفة أحق بها من الموهوب، فقد وصف الله بعض الحوادث بالسمع والبصر، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] وقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المُلك: ٢٣] وقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ﴾ [مريم: ٣٨]، وقد عاتب ابراهيم عليه السلام أبيه على عبادته من دون الله من لا يسمع ولا يبصر، ليبين له أن هذه صفة نقص بالمعبود، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، وقال كذلك: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٥].

---

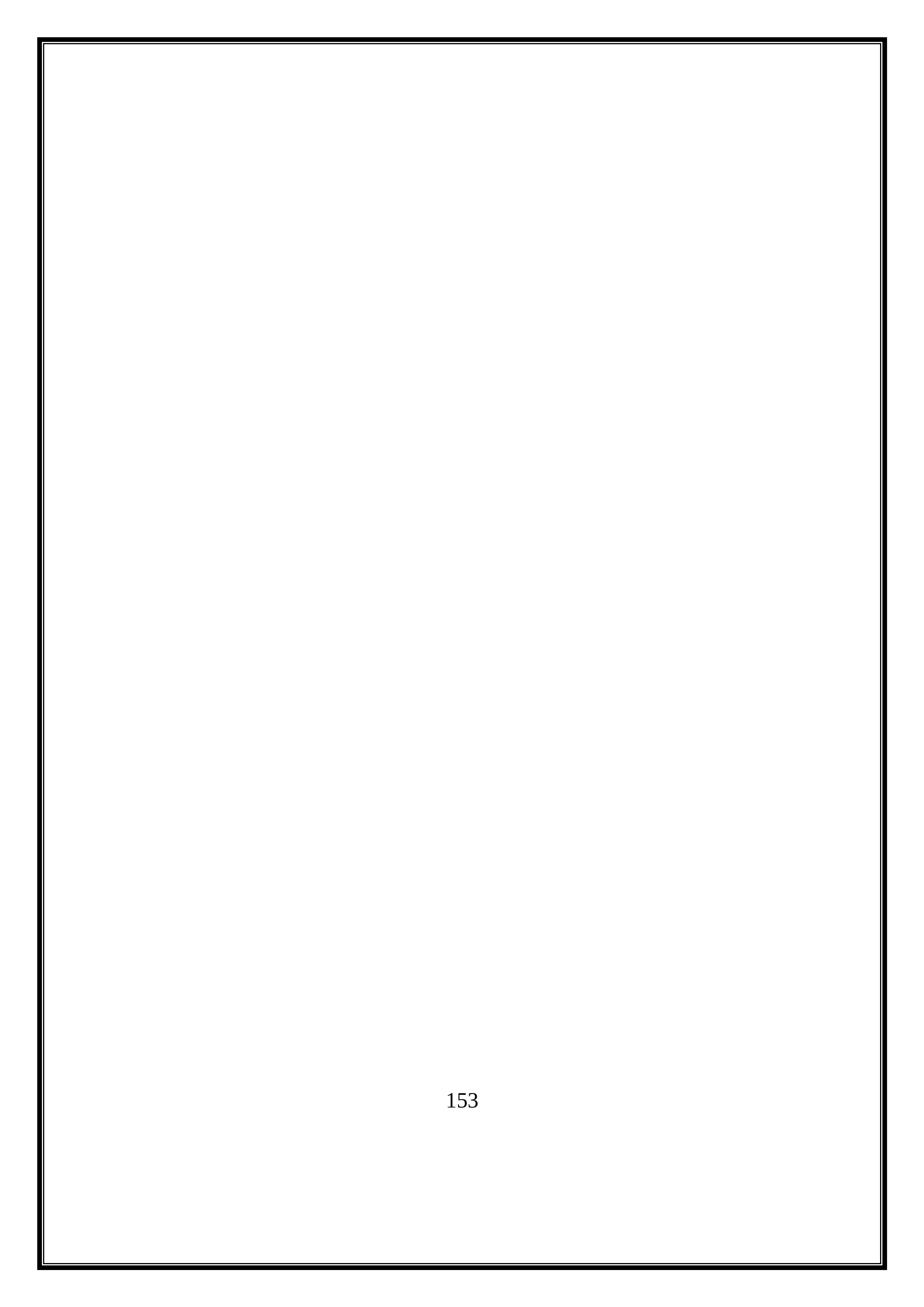
(١) جامع شروح السفارينية ص٢٤١-٢٤٠.





الفصل الخامس

عرش الرحمن



عرش الرحمن

قول المؤلف: (وقد دخل في ما ذكرنا من الإيمان بالله، الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله واجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليٌّ على خلقه).

ودخل مما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ، وأجمعت عليه الأمة من السلف أهل السنة والجماعة، بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه بذاته، استواءً يليق بجلاله، لا يعلم ماهيته غيره، مستندين بذلك إلى الكتاب والسنة.

فما هو العرش؟

العرش لغة: قال ابن فارس: (عرش) العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك)[١].

والجمع: (أعراش، وعروش، وعِرَشة)[٢].

والعرش في كلام العرب يطلق على عدة معانٍ منها:

أولاً: سرير الملك: قال الخليل: (العرش: السرير للملك)[٣].

وقال الأزهري: والعرش في كلام العرب: سرير الملك، يدلك على ذلك سرير ملكة سبأ، سماه الله عز وجل عرشاً فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ [النمل: ٢٣][٤].

ثانياً: سقف البيت: قال الخليل: (عرش البيت: سقفه)[٥]. **وقال الزبيدي:** (والعرش من البيت سقفه ومنه الحديث: (أو كالقنديل المعلق بالعرش)، يعني السقف، وفي الحديث الآخر: (كنت أسمع قراءة رسول الله ﷺ

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٤-٢٦٤.
(٢) لسان العرب ٤-٢٨٨٠.
(٣) كتاب العين ١-٢٩١.
(٤) تهذيب اللغة ١-٤١٣.
(٥) كتاب العين ١-٢٩١.

على عرشي)، أي: سقف بيتي، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي: صارت على سقوفها[١].

ثالثاً: ركن الشيء:

قال الزبيدي: (والعرش ركن الشيء، قاله الزجاج والكسائي، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾. أي: (وخرت على أركانها)[٢].

رابعاً: الملك:

قال الزهري: والعرش: الملك يقال: ثُلَّ عرشه، أي زال ملكه وعزه[٣].

تعريف العرش في مذهب أهل السنة والجماعة:

إن قول السلف في عرش الله هو ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة، ومن ذلك:

قول الإمام الطبري: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزُّمَر: ٧٥] يعني بالعرش السرير، ثم ذكر بسنده عن السدي في
تفسير هذه الآية قوله: (محدقين حول العرش؛ قال: العرش السرير)[٤].

وقال الطبري في موضع آخر: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]

يقول: (والسرير المحيط بما دونه)[٥].

---

(١) تاج العروس: ٤-٣٢١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) تهذيب اللغة ١-٤١٤.
(٤) تفسير الطبري ٢٤-٣٧ -٣٨.
(٥) تفسير الطبري ٢٤-٤٩.

وقال الذهبي: بعد أن ذكر سرر أهل الجنة: (فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته، وقوائمه وماهيته وحملته، والكروبيين الحافين من حوله، وحسنه ورونقه وقيمته: فقد ورد أنه من ياقوتةٍ حمراء)[١].

وقال البهيقي: (وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم خلقه الله، وأمر ملائكته بحمله، وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، واستقباله في الصلاة، وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة واضحة على ماذهبوا إليه)[٢].

وقال أيضاً: (العرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء)[٣].

وهذه الأقوال الثلاثة هو ما عليه أهل السنة والجماعة قاطبةً، وهو ما جاءت به الآيات والأحاديث والآثار.

قلت: وعلى هذا يكون كلام الأزهري في قوله: العرش في كلام العرب هو السرير، سرير الملك، هو القول الراجح عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) العلو للذهبي ص٥٧.
(٢) الأسماء والصفات (ص٤٩٧).
(٣) الاعتقاد ص (١١٢).

صفات العرش

إن ما علم بالفطرة والعقول السليمة أن ما من مخلوق خلقه الله تعالى إلا وله صفات، والعرش أحد هذه المخلوقات، بل وأعظمها، ومن صفاته:

أولاً: أنه مخلوق:

فالعرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى وأوجده، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، فكل شيء في هذا الكون مخلوق، والعرش من ضمن هذا الكون، فهو مخلوق - أيضاً-، والأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، فالعرش موصوف بأنه مربوب، كل مربوب مخلوق، فالعرش مخلوق من مخلوقات الله.

ومن السنة في (الصحيحين) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: (**لا إله إلا الله العليم، لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات، ورب الأرض ورب العرش الكريم**)(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (**خلق الله تبارك وتعالى أربعة أشياء بيده، العرش، وجنات عدن، وآدم والقلم**)(٢).

ثانياً: أن العرش هو أول المخلوقات:

وهذا القول هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وشارح (العقيدة الطحاوية) (ابن أبي العز الحنفي)، ونسبه ابن كثير وابن حجر- نقلاً عن أبي العلاء الهمداني إلى الجمهور، ومال إليه ابن حجر أيضاً -، واستدلوا

---

(١) البخاري ١٣-٤٠٥، ومسلم ٨-٨٥.

(٢) أخرجه الدرامي في الرد على المريسي ١٧٢، والحاكم في المستدرك ٢-٣١٩ واللالكائي ٣-٤٢٩.

على قولهم هذا بما رواه مسلم في (صحيحه) بسنده عن عبد الله بن عمر بن العاص مرفوعاً، قال: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السمَّوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**)[1]، ففي هذا الحديث تصريح بأن التقدير وقع بعد خلق العرش، وحديث عبادة التالي، صريح بأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، فدل ذلك على أن العرش سابق على القلم، فعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)[2].

ثالثاً: أن للعرش قوائم:

ولم يرد في الشرع تحديد عدد لها، ومن أقوى الأدلة على ذلك قوله ﷺ في حديث طويل والذي رواه أبو سعيد، قال رسول الله: (**لا تخَيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقه أولى...**)[3].

رابعاً: أنه عرشٌ عظيم ومجيد وكريم:

وقد ورد ذلك بالكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقوله: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وقوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

ومن السنة بالصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ

---

(١) رواه مسلم ٨-٥١.
(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥-٣١٧، وأبو داوود في سننه ٥-٧٦، واللفظ لأبي داوود.
(٣) حديث صحيح أخرجه البخاري ٨-٣٠٢، ١٣-٤٠٥، ومسلم ٢٣٧٤.

يقول عند الكرب: **(لاإله إلا الله العليم الحليم، لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض، ورب العرش الكريم)**(١) .

خامساً : هو أكبر المخلوقات، وأعظمها، وأثقلها :

إن عرش الرحمن تبارك وتعالى يعتبر أكبر مخلوقات الله، وأوسعها، وأعظمها على الإطلاق، فقد خص الله عز وجل العرش بهذه الميزة العظيمة، وشرفه بها مع غيرها من الميزات؛ لكي يتناسب مع ذلك الشرف العظيم ألا وهو استواء البارئ عز وجل عليه، وعظيم العرش وسعة خلقه قد دل عليهما القرآن والسنة، فالله سبحانه يقول في محكم التنزيل: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ، فالله سبحانه وصف العرش في هذه الآية وغيرها بكونه عظيماً في خلقه وسعة، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي هو مالك كل شيء، وخالقه؛ لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأراضين وما فيهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى)(٢).

أما ما يدل على ثقله فقد ورد ذلك في الحديث الذي روته جويرية رضي الله عنها، أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى، وهي جالسة، فقال: (مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟)، قالت: نعم، قال النبي ﷺ: **(لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته)**(٣).

فليس العرش بأكبر من السموات والأرض فقط، بل هو من الكبر وسعة الحجم بحيث لا تعدل السموات والأرض على سعة حجمها بجانبه شيئاً يذكر، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يا أبا ذر ما السّموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة)(٤).

---

(١) البخاري ١٣-٤٠٥، ومسلم ٨-٥٨.
(٢) تفسير ابن كثير، سورة التوبة ٢-٤٠٤.
(٣) أخرجه مسلم (٨-٨٣) وهو حديث صحيح.
(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة/والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١١) وضعفه الألباني.

سادساً: أن العرش مقبب:

قال ابن تيمية: (وأما العرش فإنه مقبب، لما روي في (السنن) لأبي داوود عن جُبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس، وجاع العيال، وذكر الحديث إلى أن قال رسول الله: (**إن الله على عرشه وإن عرشه على سماواته وأرضه هكذا وقال بإصبعه مثل القبة**)[١].

وقال: (**إذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنها وسط الجنة، وأعلاها، وفوقها عرش الرحمن**) فالحديث بين أن الفردوس أوسط الجنة، وأعلاها، والجنة كما جاء في حديث آخر مائة درجة، وما بين كل درجة ودرجة كما بين السموات والأرض، فكون العرش سقفاً للفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها- يدل على أنه مقبب لأن هذه الصفة لا تكون إلا في المستدير)[٢].

وقال إياس بن معاوية: (السماء على الأرض مثل القبة)[٣].

سابعا: إنّ من صفاته أنه على الماء:

البحث ثلاثة أقسام:

الأول: مكانته قبل خلق السموات والأرض.

والقسم الثاني: مكانته بعد خلق السموات والأرض.

والقسم الثالث: مكانة العرش بالنسبة لله تعالى.

القسم الأول: وليُعلم أولاً: أن أمور العرش وما يتعلق به هي من الأمور الغيبية التي يجب أن يتوقف علم الإنسان وإحاطته بها على ما جاء به الخبر من

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢٥٢/١.
(٢) مجموع الفتاوى ج٦ ص٣٥٢.
(٣) المرجع السابق.

الكتاب أوالسنة؛ لأن هذا هو السبيل الوحيد إلى ذلك ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ومما جاء ذكره في القرآن عن عرش الرَّحمن تبارك وتعالى: أنه كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

وبمثل ذلك جاء الخبر من السنة، ومن ذلك حديث عمران بن حصين قال: (سئل ابن عباس عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ على أي شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح)[١].

ففي هذا الحديث إخبار عن مكان العرش قبل أن يخلق الله السموات والأرض وما فيهما، فهذا ما أورد به الخبر عن مكان العرش قبل خلق السموات والأرض، ومكانه قبل أن يكون على الماء، فهذا لم يرد به خبر من الكتاب والسنة، ولذلك قال سليمان التميمي رحمه الله تعالى: (لو سئلت أين الله؟ لقلت في السماء، فإن قال: أين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل خلق الماء؟ لقلت لا أعلم)[٢].

وعن الأعمش بن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء قال: ثم رفع بخار الماء ففتقت منه السموات، ثم خلق النون فدحيت الأرض على ظهر النون فتحرك فمادت، فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لتفخر عليها)[٣].

والمراد بالنون هنا: هو الحوت الذي يزعم أن الأراضيين عليه، وأمر الحوت هذا لا أصل له في القرآن والسنة، وإنما هو من الإسرائيليات التي

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٥-٢٤٩، والبيهقي في الأسماء والصفات ص٤٨٠ وغيرهم.
(٢) خلق أفعال العباد ص١٢٧.
(٣) أخرجه الحاكم ٢-٤٩٨ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٩-١٤، والبيهقي في الأسماء والصفات ص ١٢٧ .

أخذها ابن عباس عن كعب الأحبار وغيره. ومن هذا الحديث يظهر أن الماء المذكور أنه تحت العرش ليس المراد به ماء البحر، لأن ماء البحر إنما وجد بعد خلق السموات والأرض، وإنما الماء المذكور هنا هو ماء آخر تحت العرش، والله أعلم بكيفيته، وهذا الماء الذي تحت العرش ورد ذكره في حديث الأوعال عند قول ﷺ: (ثم فوق ذلك بحر ما بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض)[1].

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ : (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)[2].

وعن أبي رُزين قال: قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (**كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء**)[3].

وعن العباس بن عبد المطلب قال: كنا بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فقال: (تدرون ماهذه؟) قالوا سحاب، قال: (والمزن؟) قالوا: والمزن، قال: (والعنان؟) ثم قال: (تدرون كم بعد ما بين السماء والأرضين؟ قالوا: لا، قال: إما واحدة أو اثنتين أو ثلاث وسبعين سنة، ثم السماء فوق ذلك، حتى عد سبع سموات، ثم فوق السابعة بحر بين أعلاها وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل مابين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش بين أعلاه وأسفله مثل مابين سماء إلى سماء، والله تعالى فوق ذلك)[4].

القسم الثاني: وهو مكان العرش بعد خلق السموات والأرض.

إن مذهب أهل السنة والجماعة على أن العرش مايزال على الماء المذكور

---

(١) وسيأتي تخريجه.
(٢) رواه مسلم (٨-٥١).
(٣) أخرجه الترمذي (٥-٢٨٨)، وابن ماجه (١-٦٤)، وأحمد (١١،١٢/٤)، وقال الترمذي حديث حسن، وقال الألباني في تصحيحه نظر.
(٤) أخرجه ابن ماجه في (سننه): (١-٦٩)، والإمام أحمد في (مسنده): (١-٢٠٧)، واللالكائي في (السنة): (٣-٣٩٠)، وقال الترمذي: (حديث حسن غريب) وقال الألباني في تخريج السنة: إسناده ضعيف، ولكن منهج السلف في إيراد مثل هذه الأحاديث التي في إسنادها مقال إنما هو من باب التأكيد لا من باب التأييد.

في الآية والأحاديث، بدليلي ما جاء في حديث الأوعال في قوله ﷺ: (**ثم فوق السماء السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك كله ثمانية أملاك أوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل مابين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش**)[1].

فالحديث يشير كما أسلفنا إلى وجود ذلك الماء الذي تحت العرش، وإلى أنه ما زال موجوداً إلى مابعد خلق السموات والأرض.

القسم الثالث: مكانة العرش بالنسبة إلى الله تعالى:

إن مذهب أهل السنة والجماعة أن مكان العرش بالنسبة إلى الله تعالى مع غيره من المخلوقات، فهو أقربها إليه وذلك لأنه سبحانه قد أخبر أنه مستو على عرشه في أكثر من موضع في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ففي إثبات الاستواء على العرش دليل على قربه إليه؛ لأنه سبحانه مستو على أعلى مخلوقاته وأقربها إليه، وهذه ميزة امتاز بها العرش على ما سواه، ومما يؤيد كون العرش أقرب المخلوقات إلى الله ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (**ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرهم ماذا قال**)[2].

فالحديث يدل على أن حملة العرش هم أول من يتلقى أمر الله، ثم يبلغونه للذين يلونهم من أهل السموات، فكونهم أقرب الخلق إلى الله دليل على أن العرش أقرب منهم إليه سبحانه لأنهم إنما يحملونه.

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم ١٤-٢٢٥، والترمذي في (سننه): ٥-٣٦٢، وأحمد في (مسنده): ١-٢١٨.

ثامناً: إن للعرش ملائكة تحمله:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٨]. إن كون عرش الرحمن له حملة يحملونه هوأمر ثابت في الكتاب والسنة، فقد جاء ذكر حملة العرش في الآيات السابقة وفي أحاديث كثيرة، فالآيات تدل على أن لعرش الله حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾، وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، ويوجب أن لله عرشاً يحمل، ويوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك كما تقوله طائفة من الجهمية، فإن الملك هو مجموع الخلق، فهنا دلت الآية على أن لله ملائكةً من جملة خلقه، يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية)[1].

وأما من السنة فهي مليئة بالأحاديث والآثار الدالة على أن للعرش حملة من الملائكة يحملونه: فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: (**أُذن لي أن أُحدث** عن ملك **من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**)[2].

وكذلك ماجاء في حديث الأوعال ومنه: (ثم فوق ذلك ثمانية أملاك أوعال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل مابين سماءٍ إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش).

وأقول ما يبق من صفات العرش: إن هذه الصفات ثابتة بالكتاب والسنة، ولا يعني هذا أن لا يكون هناك صفات لهذا العرش العظيم لم يطلعنا عليها رب العباد جلت قدرته.

---

(١) نقض التأسيس ١١-٥٧٥.

(٢) أخرجه أبو داوود في سننه: ٥-٩٦حديث٤٧٢٧، وأورده ابن كثير في تفسيره: ٤-٤١٤ ورجاله ثقات.

قول السلف في حملة العرش

القول بأن حملة العرش هم من الملائكة هو قول السلف؛ الذين يثبتون العرش على أنه جسم عظيم خلقه الله فوق العالم، وأن الله استوى عليه بعد أن خلق السموات والأرض، وأن الله أمر الملائكة بحمله بقدرته تعبداً له وتعظيماً.

واختلف الأئمة في حملة العرش: هل هم ثمانية أملاك، أم ثمانية صفوف، أم ثمانية أصناف؟ على عدة أقوال:

القول الأول: أن المراد بالثمانية: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدتهم إلا الله، وهذا القول مروي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، قال: **(ثمانية صفوف من الملائكة، لايعلم عدتهم إلا الله)**(١).

القول الثاني: أن المراد بالثمانية أنهم ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة، وهذا القول رواه الضّحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، قال: الثمانية، يقول: ثمانية أجزاء من تسعة قال: الجن والإنس والشياطين والملائكة كلهم إلاالكروبيين - وهم المقربون- حملة العرش جزء، والكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة هؤلاء الأربعة، قال: فهو قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(٢).

القول الثالث: أن حملة العرش هم اليوم أربع ويوم القيامة ثمانية:

ولكن المشهور عند الجمهور: أن حملة العرش اليوم أربعة من الملائكة، ويوم القيامة ثمانية، وهذا القول رجحه ابن كثير في (تفسيره)، وابن الجوزية

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسير سورة الحاقة ٢٩-٥٨ وهو مرويٌّ كذلك عن سعيد بن جبير، والشعبي، وعكرمة، والضحاك، وابن جريج، تفسير ابن كثير ٤-٤١٤. والقرطبي ج١٨ ص ٢٠٤.

(٢) وقال به مقاتل في: زاد المسير: ٨ -٣٥١، (والكلبي في فتح القدير، ٥-٢٨٢).

في: (زاد المسير)، وقال: هو قول الجمهور.

ويستدل لهذا القول بعدة أدلة منها: مارواه الطبري بسنده عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله - ﷺ-: (**يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية**)[1].

وروى الطبري - أيضاً- في تفسير سورة الحاقة بسند عن ابن اسحق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: (هم اليوم أربعة) يعني: حملة العرش (وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية)[2].

قلت: لو عدنا إلى تفسير قوله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ لعلمنا أن عددهم اليوم يختلف عن عددهم ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ والله تعالى أعلم.

اما أنهم اليوم ويوم القيامة ثمانية:

فيستدل لهذا القول بحديث العباس بن عبد المطلب الذي جاء فيه: (**ثم فوق ذلك ثمانية أملاكٍ أو عال، ما بين أظلافهم إلى ركبهم مثل مابين سماءٍ إلى سماء، ثم فوق ظهورهم العرش**)[3].

فالحديث يدل على أن حملة العرش هم اليوم ثمانية، وعن الأحنف بن قيس قال: سمعت العباس في قوله عز وجل: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، قال: (ثمانية أملاكٍ في صورة الأوعال، بين أظلافهم وركبهم مسيرة ثلاث وستين أو خمس وستين سنة)[4].

---

(١) رواه الطبري، وهو خبر مقطوع ٢٩-٥٩ وإسناده ضعيف.
(٢) تفسير سورة الحاقة ٢٩-٥٩.
(٣) الأسماء والصفات ص٥٠٦ برقم٨٤٧.
(٤) أخرجه الدرامي في: الرد على بشر المريسي ص٤٤٩، والحاكم في: المستدرك ٢-٣٧٨.

الأدلة من الكتاب والسنة على وجود العرش

لقد جاء ذكر العرش في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعاً ومنها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود: ٧].

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢].

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّمَر: ٧٥].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

الأدلة من السنة النبوية:

لقد ورد في العرش وصفته أحاديث كثيرة جداً تكاد لاتحصى في كتاب، وقد مر معنا شيء منها، إلا أننا سنذكر في هذا الباب بعض الأحاديث التي لم يتم ذكرها بعد، ومنها: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان؛ كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها)، قالوا يا رسول الله: أفلا ننبئ بذلك؟ قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه وسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**)[1].

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**المتحابون في الله يظلهم الله في ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله**)[2].

وعن سعيد بن جُبيرقال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (قال رسول الله ﷺ: (**إنكم محشورون حفاة عراة وأول من يكسى من الجنة يوم**

---

(١) رواه البخاري ١٣-٤٠٤.

(٢) أخرجه أحمد: (٥-٢٣٦/٢٩٢) وابن حبان: (٢٥١٠) وغيرهما.

القيامة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح له عن يمين العرش، ثم يؤتي بي فأكس حله من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم يؤتى بكرسي فيطرح لي عن ساق العرش)[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)**[2].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك على أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[3].

---

(١) رواه البخاري ٢٨٦/٨ ومسلم ٢٨٦٠ وغيرهما.
(٢) أخرجه البخاري باب (وكان عرشه على الماء)، ١٣-٤٠٤.
(٣) أخرجه البخاري باب صفة الشمس والقمر ٤٨٠٢. في فتح الباري.

فصل في كرسي العرش

إن عقيدة أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم، واقتدى بسنتهم، هو ما دل عليه القرآن والسنة، والإجماع أن الله عزوجل كرسي وسع السموات والأرض، وأن هذا الكرسي جسم عظيم، مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه، وهو موضع القدمين للبارئ سبحانه.

وقد ورد ذكر الكرسي في الكتاب العزيز في موضع واحد، وهو قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهذه الآية هي أعظم آية في القرآن الكريم وقد سميت بآية الكرسي نسبة إليه.

أما من السنة: فقد ورد ذكر الكرسي في أحاديث كثيرة، ومنها حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: دخلت المسجد الحرام، فرأيت رسول الله ﷺ وحده، فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله، أيما آية أنزلت عليك أفضل؟ قال: (آية الكرسي، وما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة).

قال الألباني رحمه الله(١)، الحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئاً معنوياً، وفيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان(٢).

معنى الكرسي لغة واصطلاحا:

وأما الكرسي باللغة: فقد قال: الزجاج: والذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم، دونه السموات

(١)في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم١٠٩.
(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة. وأخرجه كذلك البيهقي في (الأسماء والصفات) ص ٥١١.

والأرض[١].

وقال ثعلب: (الكرسي ماتعرفه العرب من كراسي الملوك)[٢].

وأما في اصطلاح أهل السنة والجماعة:

فقد جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، قال: (الكرسي موضع القدمين والعرش لايقدر قدره أحد)[٣].

وقال القرطبي: (والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه)[٤].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (الكرسي ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف)[٥].

وهذا القول في الكرسي نقل عن كثير من الصحابة والتابعين، منهم: ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، ومجاهد وغيرهم.

ومن السنة كذلك عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين الكرسي والسماء خمسمائة عام، والكرسي فوق الماء، والله عز وجل فوق الكرسي، ويعلم ما أنتم عليه[٦].

وعن السدي عن أبي مالك في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، قال: (إن الصخرة التي في الأرض السابعة ومنتهى الخلق على أرجائها عليها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه، وجه إنسان، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، فهم قيام عليها قد أحاطوا بالأرضين والسموات، ورؤوسهم تحت الكرسي، والكرسي تحت العرش، والله تعالى واضع كرسيه على العرش)[٧].

---

(١) تهذيب اللغة ١٠-٥٣.
(٢) تهذيب اللغة ١٠-٥٣.
(٣) أخرجه الدرامي في الرد على بشر المريسي ١٧-٧٣-٧٤ وعبد الله بن أحمد في السنة ص٧٠-١٤٢ وغيرهم.
(٤) تفسير القرطبي ٣-٢٧٦.
(٥) مجموع الفتاوى ٦-٥٨٤.
(٦) الأسماء والصفات رقم ٨٥ ص ٥٠٩.
(٧) المرجع السابق (رقم ٨٥٧ ص ٥١٢). وأخرجه أبو الشيخ في (العظمة) رقم ٥٨٩.

ما قيل في الكرسي

تعددت الأقوال واختلف في الكرسي ومن ذلك:

القول الأول: المراد بالكرسي: العلم.

وهذا القول هو قول الجهمية، فقد أولوا الكرسي بمعنى العلم، كما أولوا الكرسي بمعنى الملك[١]، وكل ذلك فراراً منهم من إثبات علو الله واستوائه على عرشه، وقد استدلوا بما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، قال: كرسيه علمه[٢].

القول الثاني: أن المراد بالكرسي هو: العرش نفسه، قد نسب هذا القول لحسن البصري وهو ما مال إليه ابن جرير، مستند في ذلك إلى حديث عبد الله بن خليفة قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فَعَظَّم الرب تعالى ذكره، ثم قال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإنه ليقعد عليه، فما يفضل منه مقدار أربع أصابع، ثم قال بأصابعه فجمعها: وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله)[٣].

إذا لم يثبت هذا القول عن الحسن البصري وذلك لضعف هذا الحديث.

وقال البيهقي عند الكلام على هذا القول: هذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش، والعرش أعظم منه)[٤].

القول الثالث: أن المراد بالكرسي: قدرته التي يمسك بها السموات والأرض[٥].وهذا القول مخالف لما دلت عليه الأحاديث والآثار، ومخالف لما

---

(١) التنبيه والرد ص ١٠٤.

(٢) أخرجه الطبري في (تفسيره): (٣-٩) والبيهقي في الأسماء والصفات. وغيرهم، وهو حديث غير صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣-١٠ والدرامي في (الرد على المريسي) ص٤٧ وقال ابن الجوزي في (العلل المتناهية): (١-٥-٦) هذا الحديث لايصح عن رسول الله ﷺ وإسناده مضطرب جداً.

(٤) الأسماء والصفات ص (٤٩٣).

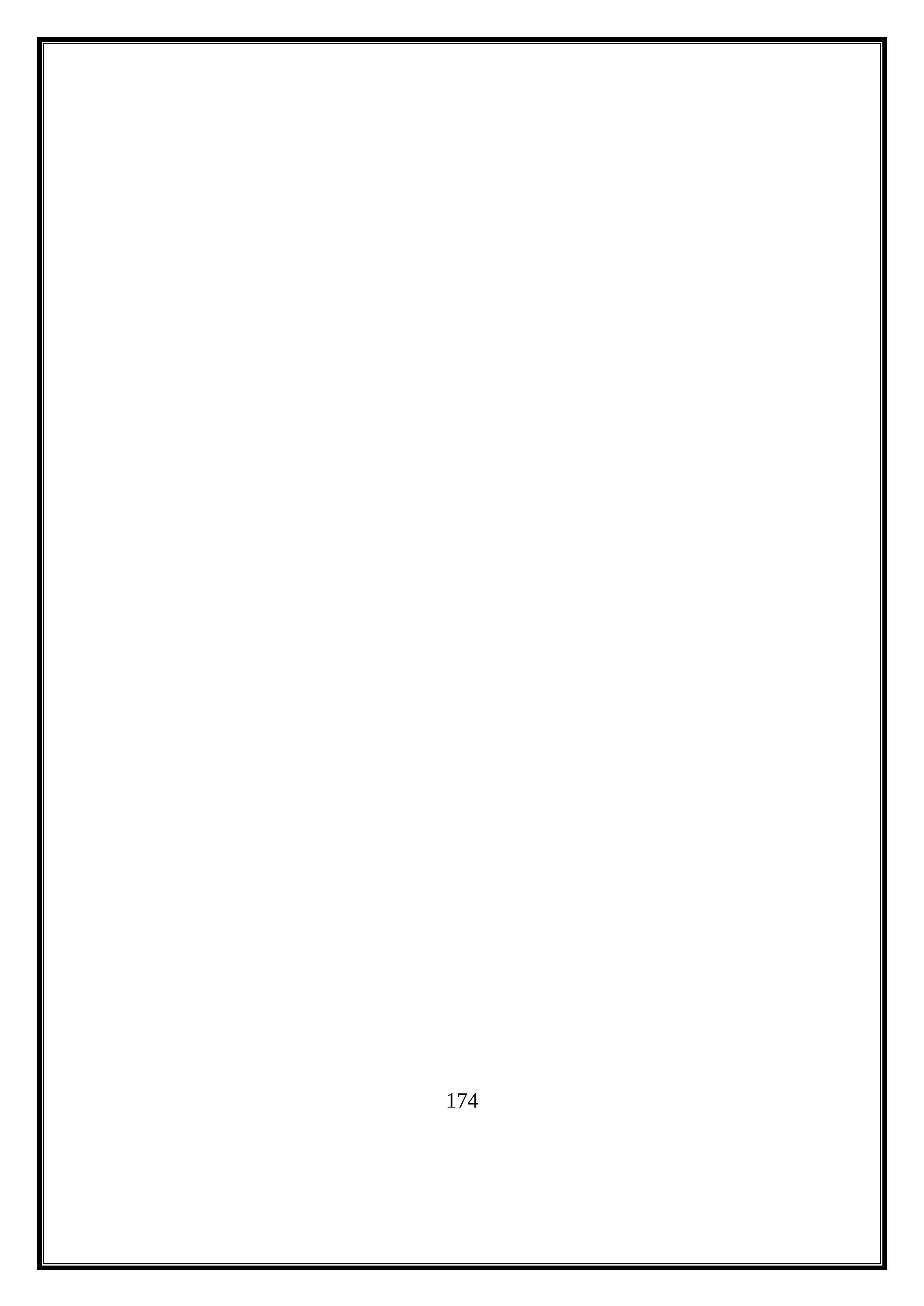
(٥) تفسير القرطبي ج٣ ص ٢٤٣.

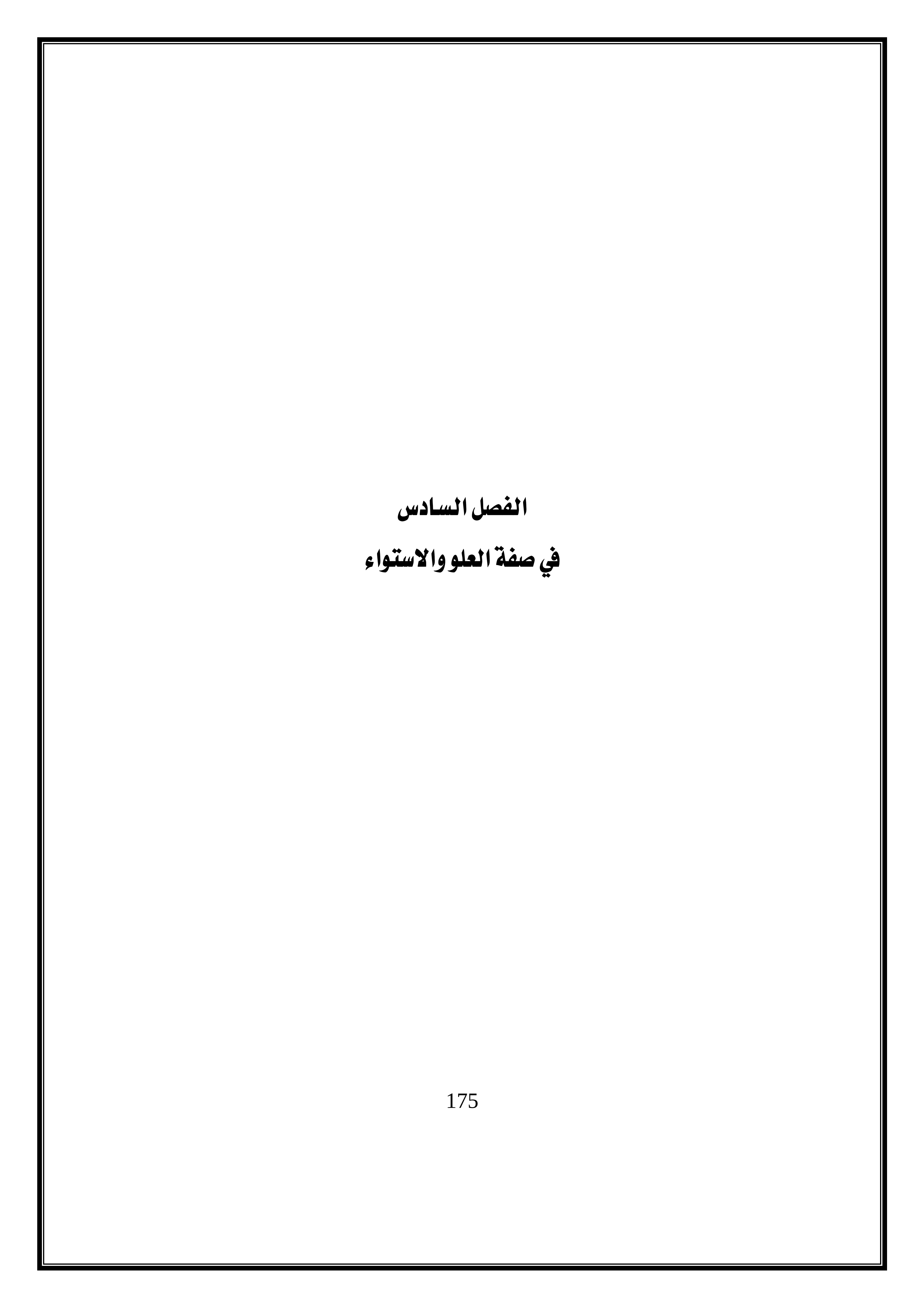
عليه الجمهور من أهل السنة والجماعة، ومخالف للغة العربية، ويقول الإمام القرطبي هذا القول يعود على أرباب الإلحاد، إذ بفعلهم هذا أنكروا وجود الكرسي، ومالوا عن الحق[١].

قلت: والصواب ما قاله الامام الألباني وهو أن الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه، وليس شيئاً معنوياً، وكذلك ما قاله الامام البيهقي في تعليقه على القول الثاني.

---

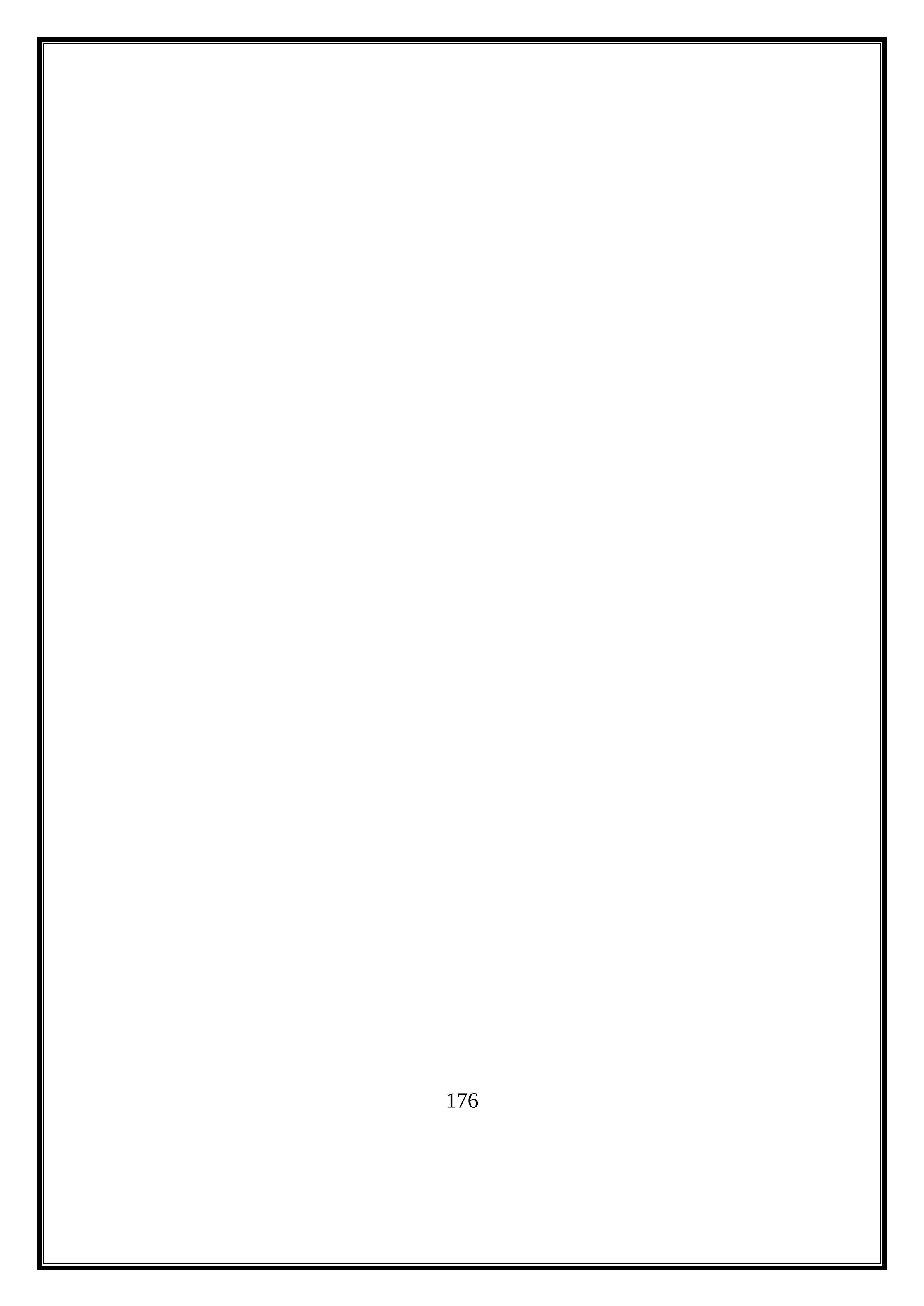
(١) المرجع السابق.





الفصل السادس

في صفة العلو والاستواء



صفة العلو والاستواء

وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ في سبعة مواضع في القرآن.

إن مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، الفرقة الناجية، المؤمنة بالله حقاً، الراضية بالله رباً، أن الله تعالى مستو على عرشه، علي على خلقه، استواءً يليق بجلاله، لا يعلم ماهيته غيره، إيماناً من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والاستواء معناه في اللغة العلو والارتفاع[1].

وقال البيهقي: ومعنى الاستواء: الاعتلاء، كما يقول استويت على ظهر الدابة: واستويت على السطح بمعنى علوته، واستوت الشمس على رأسي، واستوى الطير على قمة رأسي، بمعنى علا في الجو[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: إن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم، وأنزل به كلامه نوعان: مطلق، ومقيد.

فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤]، وهذا معناه: كمل وتم، يقال استوى النبات، واستوى الطعام.

أما المقيد فثلاث أضرب:

أحدهما: مقيد بـ (إلى) كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، واستوى فلان إلى السطح، وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بـ (إلى) في موضعين من كتابه:

الموضع الأول في سورة البقرة في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى

---

(١) الصواعق المرسلة ص ٣٢٠.
(٢) (الأسماء والصفات:ص ٥١٨).

﴿ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

الموضع الثاني في سورة فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فُصِّلَت: ١١]، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد بعلى كقوله تعالى: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزُّخرُف: ١٣].

وقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود: ٤٤].

وقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[الفتح: ٢٩]، وهذا- أيضاً- معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع): التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم(١).

ومما يؤكد - أيضاً- أن السلف يعلمون معنى الاستواء قول ابن عبد البر: (والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو: العلو والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه).

قلت: الاستواء في الاصطلاح وهو مذهب السلف: هو استواء الله تعالى على عرشه بذاته، استواء يليق بجلاله، لا يعلم ماهيته غيره.

ومذهب السلف في هذه المسألة أن الله لم يزل ولا يزال عالياً على مخلوقاته، والاستواء صفة فعليه لله تعالى بمشيئته وقدرته لهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ﴾، ومن أجل ذلك كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر، وقال محمد بن أبي شيبة في كتاب (العرش):

(بل هو فوق العرش كما قال، محيط بالعرش، متخلص من خلقه، بائن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٢٦-١٢٧).

منه، علمه في خلقه لايخرجون من علمه)[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: (إن السلف ومن وافقهم في إثبات استواء الله على العرش، يقولون بأن الله غنيٌ عن العرش وعن كل ماسواه، وأنه سبحانه لايفتقر إلى شيء من المخلوقات، بل هو سبحانه مع استوائه على العرش فهو يحمل العرش وحملة العرش بقدرته، ولا يمثل استواء الله باستواء المخلوقين، ومن قال: إنه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فإنه كافر؛ لأن الله غني عن العالمين حي قيوم، وهو الغني المطلق وما سواه فقير إليه)[2].

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية: ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لايحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والاستواء صفة من صفات الكمال الثابتة لذي العظمة والجمال سبحانه وقد دل النقل على هذه الصفة حيث أثبتها الرب سبحانه لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته، وأجمع على ثبوتها المسلمون، وكما أن العرش هو أعظم المخلوقات، كذلك استوائه سبحانه عليه هو من أعظم الصفات.

أما العلو: فهو ثابت لله تعالى بالعقل والسمع، وهو صفة ذاتية لله تعالى وهو عام على جميع المخلوقات.

والعلو نوعان: علو نسبي، وعلو مطلق.

فالعلو النسبي يكون في حق المخلوقات، فبعضها فوق بعض، فوصف المخلوق بالعلو؛ هو بالنسبة لما دونه.

أما العلو المطلق على كل شيء؛ فهو في حق الباري سبحانه فله العلو المطلق: ذاتاً، وقدراً، وقهراً[3].

---

(١) كتاب العرش.

(٢) مجموع الفتاوى: (٢-١٨٨)، (٥/٢٦٢-٢٦٣).

(٣) (شرح التدمرية للبراك ص ٢٩٤).

الأدلة من الكتاب والسنة على صفة الاستواء

أما من الكتاب: فقد ورد ذكر الاستواء في سبعة مواضع في القرآن الكريم، أظهرت أن هذه الصفة صفة كمال وجلال تمدّح بها رب السموات والأرض، والقرينة على أنها صفة كمال وجلال، أن الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها، وأول هذه السورة التي ذكر فيها صفة الاستواء حسب ترتيب المصحف سورة الأعراف فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهل لأحد أن ينفي شيئاً من هذه الصفات الدالة على الجلال والكمال.

الموضع الثاني: في سورة يونس حيث قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣ - ٦].

الموضع الثالث: في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ

عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٢ - ٤].

الموضع الخامس: في سورة الفرقان حيث قال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ [الفرقان: ٥٨ - ٦٠].

الموضع السادس: في سورة السجدة حيث قال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٤ - ٩].

الموضع السابع: في سورة الحديد في قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٤ - ٦].

أما أدلة العلو من الكتاب فهي كثيرة، فإن القرآن من أوله إلى آخره مملوء بما هو نص ظاهر في أن الله فوق كل شيء، وأنه عالٍ على خلقه ومستوٍ على عرشه.

وقد تنوعت تلك الدلالات، فوردت بأصناف من العبارات، وما ذلك إلا لتدل دلالة واضحة على علوه سبحانه وبينونيته من خلقه، وارتفاعه على عرشه، ثم لاتدع بعد ذلك مجالاً للمتأول أن يؤولها أو يحرف معانيها.

فتارة يخبر تعالى بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وقد تم ذكره وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه، كقوله تعالى:﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقوله لعيسى:﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله:﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾ [فاطر: ١٠].

وتارة يخبر بنزولها من عنده كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقوله: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وتارة يخبر أنه العلي الأعلى كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وتارة يخبر أنه في السماء كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [المُلك: ١٦ - ١٨].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ .

وتارة يخبر بأنهم فوق أي: فوق خلقه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠].

الأدلة من السنة على صفتي العلو والاستواء

إن أحاديث المصطفى ﷺ الدالة على علو الله سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه تكاد لاتحصى، فقد تكلم على إثبات ذلك في خلال الكثير من الأحاديث، كأحاديث المعراج، وأحاديث صعود الملائكة ونزولها من عند الله ، وعروج الروح إليه، واستواء الخالق على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، ومن ذلك:

أولاً: حديث المعراج، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يُحدث أن رسول الله ﷺ قال: (**فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري**) **- والنزول لايكون إلا من الأعلى إلى الأسفل- إلى أن قال: (ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا)- والعروج لا يكون إلا من الأسفل إلى الأعلى – (فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: إفتح. قال: من هذا؟ قال هذا جبريل. قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ فقال: أُرسِلَ إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا)- أي تعدى من السماء الأولى إلى الثانية)**[1].

وقال **بذلك** الإمام ابن أبي العز الحنفي في الطحاوية: (والمعراج حق وقد أسري بالنبي ﷺ وعُرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله من العلا وأكرمه الله بما شاء).

ثانياً: صعود الملائكة ونزولها من عنده سبحانه وذلك في الحديث الذي رواه أبي هريرة في قوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: (**فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم**)[2].

وعن أبي موسى الأشعري رحمه الله قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع

---

(١) رواه البخاري ج١ رقم ٤٣٩ في الفتح ومسلم في باب الإيمان.
(٢) صحيح أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢)، وأحمد (٢/٢٥٧-٣٤٤).

كلمات، فقال: (**إن الله لاينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[١].

ثالثاً: أخبار رسول الله - ﷺ- عن ربه بأن في السماء في عدّة أحاديث، ففي الصحيح في حديث الخوارج الذي رواه أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (**ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء**)[٢].

وعن سعيد بن أبي وقاص، أن النبي ﷺ قال لسعد بن معاذ: (**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات**)[٣].

وكذلك قوله في الحديث الصحيح للجارية: (أين الله؟) قالت: في السماء. قال: (من أنا؟) قالت: أنت رسول الله. قال: (اعتقها فإنها مؤمنة)[٤].

وعن عبد الله بن عمر بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: (**الراحمون يرحمهم الله ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء**)[٥].

رابعاً: حديث النزول والذي جاء به عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ينزل ربنا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟)[٦].

خامساً: أخبر الله عن عيسى عليه السلام- روح الله وكلمته- أنه رفعه الله

---

(١) رواه مسلم وسبق تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)ومسلم (١٠٦٤).
(٣) كتاب العلو للذهبي حديث رقم (٤٧).
(٤) صحيح أخرجه مسلم (٥٣٧) وأبو داوود (٩٣٠) وغيرهم من حديث معاوية بن حكم السلمي.
(٥) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.
(٦) صحيح أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (١٦٨/٧٥٨) وابن ماجه (١٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

إليه لما أراد اليهود قتله فقال تعالى:﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم من السماء فيكم، وإمامكم منكم**) والمراد بهذا: نزوله من السماء بعد رفعه إلى الله - عز وجل-.

سادساً: وكذلك ثبت أن روح المؤمن حين تفارق جسده عند الموت، تصعد بها ملائكة الرحمة حتى تقف بين يدي الله عز وجل وأنها تنعم هناك بقربه في الجنة حتى تعود إلى جسدها يوم القيامة[1]، فعن أبي هريرة قال: عن النبي ﷺ قال: (**إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل صالح قالوا: أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راضي غير غضبان قال: فلا تزال يقال لها ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، إلى أن قال: (حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل**)[2].

سابعاً: وكذلك تصعد إليه الصدقة إذا كانت من كسب طيب، فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله تعالى إلا طيب، فإن الله عز وجل يقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فَلوه حتى تكون مثل أحد**)[3].

ثامناً: ذكر بعض النصوص الدالة على تخصيص بعض الأشياء بكونها عنده؛ فقد جاء ذلك في عدّة مواضع نذكر منها:

---

(١) القصيدة النونية ج١ ص١٩٧.
(٢) أخرجه أحمد والطبراني.
(٣) المرجع السابق ص ١٩٥.

أولاً: قوله تعالى في سورة الأعراف:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ثانياً: في سورة الأنبياء فقد قال تعالى: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩]، فتخصيص الملائكة الذين هم سكان السموات بكونهم عنده دليل على أن المراد بها عندية المكان.

ثالثاً: في سورة التحريم، قال تعالى:﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١][(١)].

أدلة أن الله تعالى فوق السبع سموات

إن السموات السبع، والمخلوقات العلوية والسفلية يمسكها الله بقدرته -سبحانه- وهو فوقها بل وسع كرسيه السموات والأرض ومن فيهن: فقال في ذلك: ﴿يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر: ٤١].

وعن عبيدة عن عبد الله قال: جاء حبر من أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال: **إنه كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأراضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وذكر كلمة كلها على إصبع، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك.**

قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً مما قال

(١) النونية ٢٥٢ ج١.

تصديقاً له ثم قال رسول الله ﷺ : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧] [١].

وقال تعالى في ذلك: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤]. ومن المعلوم أن العرش فوق السموات السبع وأوسع من السموات والأرض.

وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩﴾ [النحل: ٥٠].

وقال ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾.

ومن السنة: قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لعائشة رضي الله عنها: (**كنتِ أحبَّ نساء رسول الله ﷺ ولم يكن يحب إلا طيباً وأنزل الله براءتكِ من فوق سبع سموات**).

وقول عمر بن الخطاب: (حين قال لخولة بنت ثعلبة: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**)[٢] .

وعن عامر بن سعد بن معاذ رضي الله عنه حكم على بني قريظة أن يقتل منهم كل من جرت عليه الموسى، وأن يقسم أموالهم وذاريهم فذكر ذلك لرسول الله فقال: (**لقد حكم اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات**)[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وتقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٣٨٤/١٣) ومسلم (٢٧٥١)
(٣) أخرجه النسائي في الكبرى كما في التحفة (٣-٢٩٣) ومسلم (١٧٦٨).

الآثار المروية عن السلف الصالح في الاستواء

وكما أن الله تعالى أثبت لنفسه صفة الاستواء في كتابه، وأثبتها له رسول الله - ﷺ-، فكذلك هو الحال في السلف الصالح، ومن الآثار المروية في ذلك، ذلك الأثر العظيم المروي عن الإمام مالك بن أنس - رحمه الله- في رده على من سأله عن كيفية الاستواء وما يلي نصه: عن جعفر بن عبد الله قال: كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، كيف استوى؟ فتأثر مالك رحمه الله من هذه المسألة الشنيعة وعلاه الرحضاء[1]، وقال في إجابته لهذا السائل: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)، وأمر بالسائل أن يخرج من مجلسه[2].

وهو أثر عظيم النفع جليل الفائدة، فقد تلقاه الناس بالقبول، فليس في أهل السنة والجماعة من ينكره، كما يذكر ذلك شيخ الإسلام - رحمه الله- (بل إن أهل العلم قد ائتمّوا به واستجودوه واستحسنوه)[3] .

وأنه كذلك هو من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشده استيعاباً؛ لأن فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعلوم في اللغة على وجه يليق بالله عز وجل[4] .

ولم يكن هذا الجواب خاص بصفة الاستواء فسحب، بل هو بمثابة القاعدة التي يمكن أن تقال في جميع الصفات.

ولننظر الآن للدروس والقواعد العلمية المستفادة من هذا الأثر، والرد على تحريفات المناوئين، وتشكيكات المحرفين.

أولاً: قوله: الاستواء غير مجهول: فالمراد به أن الاستواء معلوم المعنى؛ لأن الله قد خاطبنا في القرآن الكريم بكلام عربي مبين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ

---

(١) (أي العرق).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٢٦-٦/٣٢٥) ورواه الذهبي في السيرة (١٠٠/٨).
(٣) مجموع الفتاوى (٥٢٠- ٥).
(٤) المرجع السابق (٥٢٠- ٥).

﴿ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥].

وقال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[يوسف: ٢] .

وقال:﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الزُّمَر: ٢٨].

فهو سبحانه أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين؛ (لأنه لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات)(١) .

وليفهم المخاطبون به كلام الله وليعقلوا خطابه ويحيطوا بمعانيه كما قال -سبحانه-:﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ﴾ [فُصِّلَت: ٤٤].

فمن لطف الله بخلقه أنه يرسل إليهم الرسل منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم مايريدون وما أرسلوا به إليهم، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ [إبراهيم: ٤].

وفي المسند من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**لم يبعث الله عزوجل نبياً إلا بلغة قومه**)(٢). ومن المعلوم أن الصحابة سمعوا القرآن والسنة من النبي ﷺ وقرأوه وأقرأوه من بعدهم، وتكلم العلماء في معانيه وتفسيره، وأمره ونهيه، وكما أن رسول الله ﷺ بين مقادير الصلوات ومواقيتها وصفاتها والزكوات ونصبها ومقاديرها، وكذلك سائر العبادات، وهذه الأمور تلقتها الأمة بالقبول والتسليم مقرين أن السنة النبوية مكملة للقرآن الكريم ومبينة لمعانيه وما يتعلق بأحكامه، وكما أخبر رسول الله ﷺ بكل ذلك وقبلته الأمة، فقد أخبر كذلك بأن القرآن العربي كلام الله الذي تكلم به لا كلامه ولا كلام مخلوق، وأنه ليس قول البشر، وأنه أعلمهم أن ربه فوق سمواته على عرشه، وأن الملك نزل من عنده إليه، ثم يعرج إلى ربه، وأن ربه يسمع ويرى ويتكلم وينادي ويحب ويرضى ويغضب، وأنه له يدين ووجهاً، وأنه يعلم السر

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٩٤-٤).
(٢) المسند (١٥٨-٥).

وأخفى)[1].

ثم إن الله سبحانه قد حث عباده على تدبر القرآن وتعقل آياته وفهم معانيه في مواطن عديدة في القرآن الكريم، فقال سبحانه:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

وقال شيخ الإسلام: فحضَّ على تدبره وفهمه وعقله والتذكر به والتفكر فيه، ولم يستثن من ذلك شيئاً.

وكذلك السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأمة قد تكلموا في جميع نصوص القرآن آيات الصفات وغيرها، وفسروها بما يوافق دلالاتها وبيانها، ورووا عن النبيﷺ أحاديث كثيرة توافق القرآن، وأئمة الصحابة في هذا أعظم من غيرهم فقد شهدوا التنزيل وعرفوا التأويل.

وقال ابن تيمية: أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب عنايتهم بالقرآن المنزل عليهم لفظاً ومعنى؛ بل أن يكون عنايتهم بالمعنى أوكد، فإنه قد علم أنه من قرأ كتاباً في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك، فإنه لابد أن يكون راغباً في فهمه، وتصوُّر معانيه، فكيف بمن قرؤوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم، الذي به هداهم الله، وبه عرَّفهم الحق والباطل، والخير والشر، والهدى والضلال، والرشاد والغي؟!

ومن المعلوم كذلك أن رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبتة في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف دون المعاني لاتحصل المقصود؛ إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

وقال كذلك: إن الله ذم من لا يفهم كتابه فقال تعالى:﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٦٥٣-٢).

[الإسراء: ٤٥- ٤٦].

وقال: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[النساء: ٧٨]، فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضاً لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به[١].

ثانياً: قوله: والكيف غير معقول: فإن العقول لايمكن لها أن تدرك كيفية صفات الباري سبحانه، وقد نص الله على ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

فمعنى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾: أي لا إحاطة للعلم البشري برب السَّموات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين، فلا يشكل عليكم بعد هذا صفة نزول ولا مجيء ولا صفة يدٍ ولا أصابع، ولا عجب ولاضحك؛ لأن هذه الصفات كلها من باب واحد، فما وصف الله به نفسه منها فهو حق، وهو لائق بكماله وجلاله ولا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين، وما وُصف به المخلوقون منها فهو حق مناسب لعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وهذا الكلام الكثير أوضحه الله في كلمتين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٢].

وروى أحمد وأبو داوود وغيرهما عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطات)[٣].

قال عيسى بن يونس: والأغلوطات مالا يحتاج إليه من كيف وكيف[٤].

وقال الخطابي: فيه كراهية التعمق فيما لا حاجة للإنسان إليه من مسائل

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥٩/٥/١٥٧).
(٢) منهج ودراسات لآيات الصفات للشنقطني ص: ٢٤ ــ ٢٥.
(٣) المسند (٥-٤٣٥) وأبو داوود (٣٦٥٦) وقال الألباني سنده ضعيف.
(٤) رواه ابن بطة في الإبانة (١-٤٠١).

ووجوب التوقف عما لاعلم للمسؤول به)[1] .

والله تبارك وتعالى لم يكلف عباده ولم يأمرهم بالبحث عن كيفية صفاته ولا أراد منهم ذلك، بل لم يجعل لهم سبيلاً إليه، ولهذا قال ربيعة شيخ مالك من قبله: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ وعلينا الإيمان)، فبين أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهول، ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام السلف والأئمة، ينفون علم العباد بكيفية صفات الله، وأنه لايعلم كيف الله إلا الله، فلا يُعلم كيف هو إلا هو، وقد قال النبي ﷺ : (لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[2] .

وقال في حديث آخر: **(اللهم أني أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)**[3].

وقال أبو يحيى زكريا الساجي: حدثنا المزني: قال: قلت: إن كان أحدٌ يخرج مافي ضميري، وما يتعلق به خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرتُ إليه وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لايعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون، أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر بالسؤال عن ذلك؟، قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟، قلت: لا، قال: تدري كم نجم في السماء؟، قلت لا، قال: فكوكب منها تعرف جنسه، طلوعه، أفولَه، مم خُلق؟، قلت لا، قال: فشيء تراه بعينك من الخلق لستَ تعرفه، تتكلم في علم خالقه؟!، ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرّعها على أربعة أوجه، فلم أُصحب في شيء منه، فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدعُ علمه، وتتكلف علمَ الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله وإلى قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٣ -

(١) معالم السنن (٥-٢٥٠).
(٢) رواه مسلم وسبق تخريجه.
(٣) رواه احمد (١-٣٩٥) والحاكم (١-٥٠٩) مجموع الفتاوى (٣-٥٨) وغيرهم.

. [١٦٤]

فاستدِلَّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلف علم ما لم يبلغه عقلك، قال: فتبت)[(١)] .

ثالثاً: وأما قوله: والإيمان به واجب: أي: الاستواء الذي وصف الرب به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ في سنته، وهكذا الشأن في جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة، يجب الإيمان بها ومرورها كما جاءت دون التعرض لها برد أو تحريف أو تكييف أو تمثيل أو غير ذلك، لهذا ندب الله عباده وحثهم ورغبهم في مواطن كثيرة من القرآن الكريم على تعلم أسماء الرب وصفاته والإيمان بها ومعرفتها معرفة صحيحة سليمة. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢- ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٢-١٠/٣١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

فهذه الآيات ومافي معناها تدل أوضح الدلالة على أهمية الإيمان بأسماء الرب تبارك وتعالى الحسنى، وصفاته العظيمة، وأن ذلك من أصول الإيمان الراسخة، وأسسه العظيمة التي لا إيمان إلا بها، فمن جحدها أو جحد شيئاً منها فليس بمؤمن، كما قال الله تعالى﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾. قال ذلك سبحانه في شأن من ينكر اسمه الرحمن، فكيف بمن ينكر أسمائه جميعها أو صفاته كلّها؟!

وقال تعالى في شأن من شك في صفة واحدة من صفاته: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٢٢ - ٢٤].

فؤلاء حصل منهم شك في صفة العلم فظنوا أن الله لايعلم كثيراً من أعمالهم، فترتب على هذا الظن الفاسد والاعتقاد الباطل ترديهم في مهاوي الباطل وأودية الضلال، وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فُصِّلَت: ٢٢].

(كان رجلان من قريش وَخَتَنٌ لها من ثقيف أو رجلان من ثقيف وَخَتَنٌ لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم أترون أن الله يسمع حديثنا، قال بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد كان يسمع كله، فأنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾[1] .

وقد نهى الله تعالى في كتابه العزيز عن السؤال عن الأمور الغيبية، وعن الأمور التي عفا الله عنها، فلم يوجبها ولم يحرّمها، وكذلك عن سؤال التعنُّت والأغلوطات، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

---

(١) صحيح البخاري (٨/٥٦١) ومسلم (٢١٤١-٤).

رابعاً: وقوله: والسؤال عنه بدعة: فلأن السؤال عنه والبحث فيه أمرٌ لم يشرع للعباد، بل دلت النصوص على عدم إمكان ذلك، وأنه لاسبيل إلى العلم به. ولهذا فإنه من خاض فيه وبحث عن علمه يكون قد قال على الله بلا علم، وقد قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

ومن قال على الله بلا علم يكون قد افترى على الله ورسوله ﷺ لهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]. وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن السنة فقد ثبت في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم)[1].

(١) رواه البخاري (٢٥١-١٣) ومسلم (٩٧٥-٢).

الفرق بين العلو والاستواء

قال شيخ الإسلام: النصوص كلها دلت على وصف الإله بالعلو والفوقية على المخلوقات، واستوائه على العرش، فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل الموافق للسمع؛ وأما الإستواء على العرش، فطريق العلم به هو السمع، وليس في الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله(١).

وبهذا ويتضح الفرق بين العلو والإستواء كالتالي:

	العلو	الاستواء
١-	صفة ذاتية لله سبحانه	فهو صفة إختيارية فعلية.
٢-	علو مطلق.	فإنه مختص بالعرش لا ينسب إلا إليه.
٣-	ثبت بالعقل و النقل و الفطرة.	فطريق العلم به هو السمع فقط (الكتاب والسنة)(٢).

أقوال نفاة الاستواء والرد عليهم

لقد بينا في بداية الكتاب أن المعطلة من الفلاسفة والجهمية ومتأخري الأشاعرة على الرغم من أن لكل واحد منهم منهجاً مستقلاً في مسألة الصفات إلا أنهم يتفقون جميعاً على إنكار الصفات الخبرية، بما فيها صفتا العلو والاستواء، ويذهبون إلى تأويل الآيات القرآنية الواردة في إثباتها إلى ما أدت إليه عقولهم من المعاني الفاسدة، التي يزعمون أن فيها تنزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين.

ونبدأ أولاً بقول المعطلة: إن من المعطلة من يؤول معنى الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ على الاستيلاء، والقهر، والغلبة، وكذلك هو قول المعتزلة والحرورية(٣).

---

(١) الرسالة التدمرية ص(٥٦).
(٢) (تفسير الطبري ٢٢٢/١).
(٣) مجموع الفتاوى (٥-٩٦).

وكذلك كثير من متأخري الأشاعرة كسيف الدين الآمدي، وأبي حامد الغزالي، والبغدادي وغيرهم[١].

وقد استدل هؤلاء المعطلة على صحة زعمهم هذا بأن التأويل الذي هو تأويل الاستواء بالاستيلاء هو أمر مشهور في لغة العرب، ومن ذلك: قول الشاعر:

وقد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولادم مهراق

وقال الآخر:

هما استويا بفضلهما جميعاً   على عرش الملوك بغير زور

فانظر كيف تركوا ماثبت من كلام (الرحمن) ورسوله الأمين، واعتمدوا في استدلالهم على أبيات من الشعر ألفها من أراد أن يبدل دين الله بشعره؛ فإن هذان البيتان لم يثبت نقل صحيح على إنهما شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة قد أنكرهما.

قال ابن فارس: (هذان البيتان لايعرف قائلهما)[٢].

قال عمر بن عبد البر: وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء، وقولهم في تأويل استوى: استولى، فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة.

ومعنى الاستيلاء في اللغة: المغالبة، والله لايغالبه ولا يعلوه أحد[٣].

الرد عليهم في ما سبق: ويرد عليهم أهل السنة والجماعة بأن هذا القول فاسد من وجوه عدّة ومن ذلك:

أولاً: إنه من المعلوم أن لفظ الاستواء قد ورد في القرآن الكريم في سبعة مواضع، وهذه المواضع جميعها قد اطرد فيها لفظ الاستواء دون الاستيلاء، وكذلك الأمر بالنسبة لما ورد في السنة، فلو كان معناه استولى - كما يزعم هؤلاء- لكان استعماله في أكثر موارده، كذلك، فإذا جاء في موضع أو موضعين بلفظ استوى حمل على معنى استولى لأنه المألوف المعهود.

أما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيدعي صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه، فهذا أمر في غاية الفساد، ولم يقصده ويفعله من قصد البيان، هذا لو لم يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه، فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك[٤].

فقد جاء رجل إلى ابن الأعرابي أحد علماء اللغة فقال له: مامعنى قول الله

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٢٦٦.
(٢) زاد المسير لابن الجوزي: (٣-٢١٢).
(٣) التمهيد: (٧-١٣١).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة (٢/١٢٨-١٢٩).

عز وجل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ؟ فقال: هو كما اخبر عز وجل فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال :اسكت ما أنت وهذا، لايقال استولى على الشيء إلا أن يكون لـه مضاداً فإذا غلب أحدهما قيل استولى أما سمعت النابغة:

إلا لمثلك أن من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمدُ[1]

ثانياً: ومما يرد هذا التأويل الباطل أن كلمة استوى قد جاءت بعد (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهملة، فلو كان المعنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى مابعد خلق السموات والأرض، فإن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام كما ثبت في (صحيح مسلم) عنه ﷺ أنه قال: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء)[2].

وقال تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾.

ثالثاً: إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض، ثم غلب على العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه: أفلا يستحي من الله مَنْ في قلبه أدنى وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه وأنه أراد بقوله:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾: أي: اعلموا ياعبادي أني بعد فراغي من خلق السموات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه[3].

رابعاً: يقول ابن تيمية - رحمه الله- أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا: لايجوز استوى بمعنى استولى، إلا في حق من كان عاجزاً ثم ظهر والله سبحانه لايعجزه شيء، والعرش لايغالبه في حال، فامتنع أن يكون بمعنى: استولى.

خامساً: ويقول كذلك: إن معنى هذه الكلمة مشهور، - أي استوى- ولهذا لما سئل ربيعة أبي عبد الرحمن ومالك بن أنس عن قوله:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة اللالكائي: (٢- ٣٩٩).
(٢) أخرجه مسلم في القدر (٨-٥٠).
(٣) مختصر الصواعق: (١٤٠/٢-١٤١).

ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قالا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ولا يريد أن: الاستواء معلوم في اللغة دون الآية- لأن السؤال عن الاستواء في الآية كما يستوي الناس[١].

القول الثاني أن معنى استوى: أقبل على خلق العرش، وعمد إلى خلقه، كقوله تعالى:﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فُصِّلَت: ١١]. أي عمد إلى خلق السماء. وهذا قول بعض الجهمية وإليه ذهب الفرّاء [٢].

الرد عليهم: قال ابن القيم- رحمه الله- إن قولهم هذا يتضمن أن يكون خلقه بعد خلق السموات والأرض، وهذا بخلاف إجماع الأمة، وخلاف مادل عليه القرآن والسنة، وإن ادعى بعض الجهمية المتأخرين أنه خلق بعد خلق السموات والأرض وادعى الإجماع على ذلك، وليس العجب من جهله، بل من إقدامه على حكاية الإجماع على مل لم يقله مسلم[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا الوجه من أضعف الوجوه أي: - أقبل على العرش وعمد إلى خلقه- فإنه قد أخبر أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض . وكذلك ثبت في (صحيح البخاري) عن عمران عن النبي ﷺ أنه قال: (كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء.....) فإذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض، فكيف يكون استواؤه عمده إلى خلقه له؟! لو كان يُعرف في اللغة أن استوى على كذا بمعنى أنه عمد إلى فعله، وهذا لا يعرف قط في اللغة لاحقيقة ولا مجازاً، ولا في نظم ولا في نثر[٤].

القول الثالث: أن استوى بمعنى: علا في هذه الآية، ولكن ليس المراد علو المسافة والمكان، وإنما المراد علو المكانة والقهر. وقد ذهب إلى هذا القول جماعة من الأشاعرة فهم أبو بكر بن فورك[٥].

وهم بهذا القول جعلوا الاستواء صفة ذات وليست صفة فعل.

والرد عليهم: إن الآيات والأحاديث قد أثبتت استواء الله على العرش حقيقة، ولو كان معنى الاستواء هنها والمراد به علو المكانة فإن الله لم يزل

---

(١) مجموع الفتاوى ص٩٧ ج٥.

(٢) وهو: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الدليمي- وابن الضرير واختاره الثعلبي. مختصر الصواعق (٢-١٢٦).

(٣) مختصر الصواعق (٢-١٤٣).

(٤) مجموع الفتاوى: (٥-٥٢١،٥٢٠).

(٥) الأسماء والصفات ص٥١٨.

متعالياً على الأشياء قبل خلق العرش، فلما أضاف الاستواء على العرش فيجب على ذلك أن يكون لهذا التخصيص فائدة[1].

أقوال نفاة العلو والرد عليهم

تحت دعوة التوحيد، والتنزيه، ونفي التشبيه، نفى: المعطلة من الفلاسفة، والجهمية، والمعتزلة، ومتأخري الأشاعرة، والقرامطة، علو الله تعالى وارتفاعه فوق خلقه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله - سبحانه- فيه إثبات للجهة والمحايثة والحد،والحركة، والانتقال، وهذه الأمور - على زعمهم- ستلزم الجسمية، والأجسام حادثة والله منزه عن الحوادث؛ فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصوص الثابتة فيه بان المراد بها علو القهر والغلبة.

أولاً: شبهة الجهمية المعطلة النافون لعلو الله تعالى: وقد انقسموا في هذه المسألة إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم الذين يقولون: إن الله لاداخل العالم ولا خارجه، ولافوقه ولاتحته، ولا هو مباين له ولا محايث له.

وهذا القول هو ما يذهب إليه النظار والمتكلمون من هؤلاء المعطلة[2].

وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لايخلو موجود منهما، وبالغوا في نفي التشبيه؛ حتى أدى بهم ذلك إلى نفي وجوده بالكلية، وذلك خشية منهم أن يشبهوا، فهم قالوا بهذه المقالة هرباً منهم - على حد زعمهم- من إثبات الجهة، والمكان، والحيز؛ لأن فيها كما يدعون تجسيماً، وهو تشبيه، فقالوا يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات، فنحن نسد الباب بالكلية.

وقد استند أصحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج، زعموا أنها عقلية، أسسوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة على كل نص، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن والسنة على صحة قولهم هذا، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام - رحمه الله: (وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص، كالخوارج، والشيعة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم، إلا الجهمية، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة

---

(١) المعتمد في أصول الدين للقاضي أبي يعلى (ص٥٤).

(٢) مختصر الصواعق (١-٢٣٧) ومجموع الفتاوى (٢-٢٩٧).

توافق مايقولونه في النفي)[1].

الفريق الثاني: (وهم النجارية، وكثير من الجهمية وبخاصة عبادهم، وصوفيتهم، وعوامهم، وأهل المعرفة والتحقيق منهم)[2].

يقولون: بأن الله تعالى بذاته في كل مكان، ويحتج هؤلاء ببعض الحجج العقلية المزعومة بالإضافة إلى بعض الآيات القرآنية الدالة على المعية والقرب.

وقد أفرطوا المعطلة من الفريقين في هذا الجانب - أي جانب نفي التشبيه- فجعلوا من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، جنة يتترسون بها لنفي علو الله سبحانه فوق عرشه، وتكليمه لرسله، وإثبات صفات كماله، وغير ذلك مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله ﷺ عنه[3].

والشبهة الثانية: شبهة الفلاسفة:

وهم فلاسفة المسلمين كابن سينا، والفارابي. وهؤلاء ينفون صفة العلو، وباقي صفات البارئ عزوجل تحت دعوى التوحيد، والتنزيه عن مشابهة المخلوقين، ومن أقوالهم: (إن واجب الوجود بذاته واحد بسيط لاتكثر فيه بوجه من الوجوه، فهو ليس بجسم، ولا صورة جسم، ولا مادة معقولة لصورة معقولة، ولا صورة معقولة في مادة معقولة، ولا له قسمة الكلام، ولا في المبادئ المقومة له، ولا في قول الشارح، ولاغير ذلك مما ينافي وحدة واجب الوجود وبساطته المطلقة)[4].

وما هي إلا فلسفة تأثروا بها من الفلسفة اليونانية فجعلوا من تلك العبارات المبتدعة ما أسموه بالتوحيد، وادعوا أن ما تضمنته هو التنزيه، مع أنها في الحقيقة متضمنة لنفي جميع الصفات.

والشبهة الثالثة: شبهة المعتزلة:

وهي ما تسمى بطريقة الأعراض، وهي التي اعتمدوا عليها في نفي صفات البارئ عز وجل بما فيها صفة العلو، وذلك أنهم يزعمون أن الصفات إنما هي أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث، ومن أجل ذلك كان قول المعتزلة في الله: أنه قديم، واحد، ليس

---

(١) مجموع الفتاوى (٥-١٢٢).
(٢) نقض التأسيس (١-٧).
(٣) مختصر الصواعق (١-٢٨٥).
(٤) القصيدة النونية ج١. والنجاة لابن سينا: ص٣٧.

معه في القدم غيره، فلو قامت به الصفات لكان معه غيره، ولكان جسماً، وإذ أن ثبوت الصفات تقتضي كثرة، وتعدداً في ذاته، وتقتضي أنه جسم، وذلك خلاف التوحيد[١].

الرد عليهم: إن المتدبر لهذه الحجج يرى فيها الأمور التالية:

أولاً: أنهم يستدلون لأقوالهم بعبارات مبتدعة، وفيها الكثير من الاشتباه والإجمال، وذلك كلفظ العرض، والجسم، والحيز، والمركب، وغير ذلك، فهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ليخدعوا به جهال الناس بما يشبّهون عليهم، وهذه الألفاظ المجملة تتضمن معاني باطلة، ومعاني أخرى صحيحة، فهم بهذا ينفون كلا المعنيين الحق والباطل.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى-ج ٥ ص٤١٨ - مافي هذه الألفاظ من معانٍ وما تدل عليه من عبارات، وكيف استعملها هؤلاء المعطلة في نفي صفات البارئ عزوجل، حيث ادعوا أن هذه الأمور من مستلزمات الجسمية، والله منزه عن ذلك، وقد بين شيخ الإسلام أن استعمال هذه الألفاظ نفياً وإثباتاً لم يرد عن السلف، ولا جاء به أثر صحيح، ولم يستعملها الأقدمون بالمعنى الاصطلاحي الذي اتفق عليه هؤلاء بل جميعهم معترفون بأن العلو صفة كمال، كما أن السفل صفة نقص، وما ثبت لله من العلو فهو العلو المناسب لكمال ذاته، المنزهة عن اعتبارات المحدثين ومماثلتهم، وقال كذلك: ومعلوم أن القول بأن العلو يستلزم هذه المعاني المبهمة إنما هو مأخوذ من قياس الغائب على الشاهد، ومحاولة تطبيق الاعتبارات الإنسانية على الصفات الإلهية، وهذا قياس خاطئ إذ ليس معنى كونه في السماء أن السماء تحويه، وتحيط به، وتحصره، أو هي محل وظرف له، بل هو سبحانه محيط بكل شيء، وسع كرسيه السموات والأرض، وهو فوق كل شيء، وعلا كل شيء[٢].

ثانياً: كذلك يظهر لنا سخافة عقول المعطلة في قولهم: إن الله ليس داخل العالم ولا خارجه. مع أن الدخول والخروج نقيضان، والنقيضان يستحيل في العقل ارتفاعهما معاً، كما يستحيل اجتماعهما معاً.

ثالثاً: إن ما استدلوا به لا أصل له من الكتاب أوالسنة بل مأخوذ من كلام الفلاسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً ليس بعالم ولا قادر ولا حي[٣].

كما أن مذهب المعتزلة في الذات قريب من مذهب اليونان القائلين: بأن ذات الله واحدة، لا كثرة فيها بوجه من الوجوه[٤].

---

(١) الصواعق المرسلة ١-٢٥٤.
(٢) موقف ابن تيمية من قضية التأويل: ص ٣٨١ – ٣٨٥.
(٣) مقالات الإسلاميين ٢ - ١٧٧.
(٤) موقف المعتزلة من السنة النبوية:ص٥٣.

الشبهة الرابعة: شبهة متأخري الأشاعرة:

وهم - أيضاً- ينفون صفة العلو؛لأنها من الصفات الخبرية - وقد تقدم تعريفها- ومعلوم أن مذهب متأخري الأشاعرة في الصفات أنهم يثبتون سبع صفات فقط وهي مايسمونها بصفات المعاني، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام،- وقد تقدم كذلك الحديث عنها- أما باقي الصفات التي يسمونها الصفات الخبرية فهم ينفونها جميعاً، بدعوى تنزيه ذات الله عن الحوادث. ويقولون في دليهم العقلي على نفي العلو: إن إثبات العلو يقتضي إثبات الجهة، وإثبات الجهة يقتضي كونه جسماً، وكونه جسماً يقتضي كونه مركباً، والمركب مفتقر إلى جزئية والمفتقر إلى جزئيه لايكون إلا حادثاً، والله سبحانه وتعالى منزه عن الحوادث(١).

الرد عليهم: أولاً: ما هو أصل هذه الأكذوبة التي راجت وانتشرت حتى عمت الأرجاء والأقطار وأفسدت بسمها المهلك كثيراً من العقائد والأفكار، يقول شارح النونية في مجمل رده على من نفى علو الله واستوائه على عرشه: من أين لهؤلاء ذلك النفي والصرف والتجريد المحض، وهو لا أصل له في دينهم، ولا دليل عليه من كتاب ربهم، ولامن أقوال نبيهم، ولا هومما نقل عن أحد من سلف هذه الأمة الذين هم أكمل علماً وإيماناً، وهل يعقل أن هؤلاء المعطلة قد علموا من حقائق التنزيه مالم يعلمه الله ولا رسوله ولا أحد من سلف هذه الأمة، إلى أن قال: فسأحدثك عن الأسباب التي أوقعت هؤلاء في تلك الفتنة، وأوردتهم موارد الهلكة، حتى يبطل بذلك عجبك وتزول دهشتك: لقد نظر قدماء هؤلاء المعطلة في كتب فلاسفة اليونان وغيرهم، فوجدوا أنهم يثبتون إلى جانب هذا الوجود المادي، المتمثل في الجواهر والأعراض، وجوداً آخر مجرداً عن المادة وعلائقها، فهو ليس بجسم، ولاعرض، ولا بذي صورة، ولا مقدار، ولا كيفية، ولا يجوز عليه قرب، ولا بعد، ولا اتصال، ولا انفصال، ولا صعود، ولا نزول...الخ مانعتوه به من السلوب التي تحيل وجوده، وتجعله من قبيل المعدومات والممتنعات، وقال: فلما رأى المعطلة ما قاله الفلاسفة؛ فرحوا به فرحاً شديداً؛ وظنوا أنَّهم وقعوا على كنز ثمين، وأنهم عثروا على مفتاح السر الذي يتيح لهم حل الألغاز والمعميات؛ فقالوا: ومالنا لا نثبت هذا النوع من الوجود وإن كنا لا نحسه ولا نراه، وليس عندنا عنه أثر ولا خبر.

هذا هو أصل تلك الأكذوبة التي راجت وانتشرت حتى عمت الأرجاء والأقطار وأفسدت بسمها المهلك كثيراً من العقائد والأفكار(٢).

---

(١) نقض التأسيس: (١-٥٠٣).

(٢) شرح القصيدة النونية ج١: ص: ١٧٦.

روى أبو القاسم اللالكائي الحافظ، الطبري، صاحب أبي حامد الإسفرائيني، في كتابه المشهور في (أصول السنة) بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قال: اتفق الفقهاء كلهم - من المشرق إلى المغرب- على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب - عزوجل- من غير تفسير، ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئا منها فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا، ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا، فمن قال: بقول (جهم) فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لاشيء[١].

وروى ابن أبي حاتم في كتاب: (الرد على الجهمية)، عن سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة علماً وديناً، من شيوخ الإمام أحمد- إنه ذكر عنده الجهمية، فقال: أشر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وهم قالوا: ليس على شيء.

وقال محمد ابن إسحاق بن خزيمة إمام الأئمة: من لم يقل: إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة، لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة وأهل الذمة[٢].

وعن عبد الرحمن بن حاتم قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين مما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان في صفة الاستواء فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه، بأن من خلقه، كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وهذا تصريح من أبي حنيفة في زمن التابعين بتكفير من أنكر أن يكون الله في السماء، واحتج على ذلك بأن الله في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل هاتين الحجتين فطرية عقلية، فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن الله في العلو وعلى أنه يدعى من أعلى لامن أسفل، وقد جاء اللفظ الآخر صريحاً عنه بذلك.

(١) مجموع الفتاوى ج٥: ص٣٦.
(٢) ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

فقال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر[١].

وقال ابن مبارك، ويوسف بن أسباط: الجهمية خارجون عن الثلاث وسبعين فرقة[٢].

أقوال أهل السنة في إذا ما نزل إلى السماء الدنيا هل يخلو منه العرش أو لا يخلو منه؟:

القول الأول: من قال: إن العرش يخلو منه:

فأصحاب هذا القول قولهم باطل، لأن الله أثبت أنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض، ولم يُنف هذا الاستواء في الحديث حين قال رسول الله ﷺ : (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)، فوجب إبقاء ما كان على ما كان، وليس الله عز وجل كالمخلوقات إذا شغل حيزاً فرغ منه الحيز الآخر، نعم فنحن إذا نزلنا مكاناً خلا منا المكان الآخر، أما الله عز وجل فلا يقاس بخلقه، فهو قول باطل لا شك فيه.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: الجزم بخلو العرش لم يبلغنا إلا عن طائفة قليلة منهم[٣].

القول الثاني: وهم من توقفوا عن الخوض في هذا الأمر:

من أن يقول: يخلو أو لايخلو؛ لشكهم في ذلك، وإنهم لم يتبن لهم جواب أحد الأمرين، وإما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يمسك في ذلك، لكونه ليس في الحديث،- أي حديث النزول الذي ورد عن رسول الله ﷺ ولما يخاف من الإنكار عليه[٤].

ويقول ابن عُثيمين - رحمه الله-: وعندي أن هذه الطريقة أسلم طريقة؛ أن لا نسأل عن شيء لم يسأل عنه الصحابة رضي الله عنهم وأن يسعنا ما وسع الصحابة، وترك هذا الكلام الذي لم يقله الصحابة للرسول الله ﷺ ، وهم أشد الناس حرصاً على العلم بالله، وأعلم الناس بالله[٥].

القول الثالث: وهم من قالوا: لايخلو العرش منه:

يقول ابن تيمية رحمه الله: وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ص٣٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) مجموع الفتاوى ج٥ ص٢٦٠.
(٤) المرجع السابق.
(٥) جامع شروح السفارينية ٣٣٧.

وأئمتها: أنه لايزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم، بل الله منزه عن ذلك[١] وهذا هو الأقرب إلى نفسي.

ومن الذين قالوا بهذا القول: ابن تيمية والإمام أحمد بن حنبل في رسالة إلى مُسَدّد، وإسحاق بن راهوية، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدرامي، والفضيل بن عياض وغيرهم[٢].

أقوال الملل الأخرى في حديث النزول:

إن من أهل القبلة من خالف النزول على ما تواترت به الأحاديث وأقوال الصحابة وسلف الأمة: فمنهم من قال: (ينزل ربنا)، أي: تنزل رحمة ربنا، ومنهم من قال: (ينزل ربنا) أي: ملك من ملائكته، ومنهم من قال: (ينزل ربنا) أي: ينزل أمره.

ويقول ابن تيمية: والصواب**:** أن جميع هذه التأويلات مبتدعة، ولم يقل أحد من الصحابة شيئاً منها، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة.

ويكمل قوله: ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبث بألفاظ تنقل عن الأئمة، - وتكون إما غلطاً كما قال الإمام مالك بن أنس: كلّ يخطئ إلا صاحب هذا القبر يعني رسول الله ﷺ وإما محرفه، كقول الأوزاعي وغيره من أئمة السلف في النزول: **(يفعل الله ما يشاء)** فسره بعضهم أن النزول مفعول مخلوق، منفصل عن الله، وأنهم أرادوا بقولهم: **(يفعل الله ما يشاء)** أن يحدث شيئاً منفصلاً عنه من أن يقوم به هو فعلاً أصلاً، فجعلوا قول الأوزاعي وغيره: أن النزول ليس بفعل يشاؤه الله؛ لأنه عندهم من صفات الذات لامن صفات الفعل؛ بناء على أصلهم، وأن الأفعال الاختيارية لا تقوم بذات الله؛ فلوكان صفة فعل لزم ألا يقوم بذاته، بل يكون منفصلاً عنه[٣].

وقائل هذه الأقوال هم أهل التأويل مثل الأشاعرة وأساتذتهم وقدوتهم من

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ ص ٢٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٦.

(٣) مجموع الفتاوى ج٥ ص٢٥٦\٢٥٧.

المعتزلة ممن يقبل الحديث - أي حديث النزول-، وإلا فكثير منهم لايقبله أصلاً.

وقد اختلف في معنى النزول على أقوال: فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة تعالى الله عن قولهم. ومنهم من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة وهم الخوارج والمعتزلة وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا مافي القرآن من نحو ذلك وأنكروا مافي الحديث إما جهلاً وإما عناداً، والصواب ما قاله السلف الصالح من الإيمان بالنزول وإمرار النصوص كما وردت من إثبات النزول لله سبحانه على الوجه الذي يليق به من غير تكييف ولا تمثيل كسائر صفاته(١).

وفي ما يلي بيان هذه الأقوال ثم الرد عليهم:

إن المؤولة يقولون: ينزل أمره، أو تنزل رحمته، أو ينزل ملك، وما أشبه ذلك، وهذا باطل، والحديث يبطله من وجوه عدّة:

أولاً: قول من قال تنزل رحمته: إن قولهم هذا مخالف لظاهر النص؛ لأن ظاهره أن الذي ينزل هو ربنا عز وجل فقولهم هذا يعني تحريف لأحاديث الرسول ﷺ ومخالف لما أجمع عليه صحابته رضي الله عنهم.

ويقول ابن عثيمين: ولو قلنا ما قالوا: إن الرحمة هي التي تنزل إلى السماء الدنيا، فإن هذا من الغلط؛ لأن رحمة الله ليس غايتها السماء الدنيا، بل إن الرحمة تنزل إلى الأرض حتى تبلغ الخلق، وأي فائدة لنا إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا(٢)؟!

وكذلك إن النزول هنا مضيّاً بغاية، وهو آخر الليل ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أن رحمة الله تنزل دائماً ليس في آخر الليل فقط، بل تنزل في الليل والنهار وفي أوله وآخره ووسطه، وفي كل وقت أراد الله جل وعلا أن يرحم بها أحد من خلقه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

فإذا خصصنا الرحمة بثلث الليل الآخر فمعنى ذلك أن يبقى الخلق أكثر بدون رحمة، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف: ٥٦].

---

(١) أنظر فتح الباري ج٣ص٣٩.

(٢) جامع شرح السفارينية. ٣٣٩.

وقوله: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ثانياً: قول من قال ينزل أمره:

أولاً: نقول كما قلنا في القول الأول: إن هذا مخالف للنص، ومخالف لما أجمع عليه السلف.

ثانياً: أقول: إن الله تعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، أي إذا أراد أمراً قال له كن فيكون، وقولهم يستدعي أن لايكون أمر الله إلا في الثلث الآخر من الليل، أي ساعات قليلة، وهذا القول تكذيب محض لله تعالى في قوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: ٥].

ومن السنة قوله ﷺ في رقية المريض: (ربنا الذي في السماء؛ تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض... إلى نهاية الحديث)[١].

ثالثاً: نقول أنه لا يعقل أن الأمر يقول من يدعوني فأستجب له: ولا الرحمة تقول ذلك إلى آخره، فتعين أن يكون النازل والقائل هوا لله تعالى جل وعلا لا غيره.

ثالثا: قول من قال تنزل ملائكته:

أولاً: نقول ما قلنا في قولهم تنزل رحمته أو ينزل أمره:

نقول إن هذا مخالف لنص الحديث الشريف، ومخالف لما أجمع عليه سلف الأمة.

ثانيا: إن الملائكة دائمة النزول بأمر الله ولا يختص نزولها في الثلث الآخر من الليل وإن في قولهم هذا تكذيب للكتاب والسنة وإجماع الأمة فقد قال

---

(١) حديث حسن أخرجه أحمد ج٦ ص٢٠، وأبو داوود (٣٨٩٢).

الله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠].

وقوله: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدْر: ٤].

وقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٢].

ومن السنة: عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر. ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**) [(١)].

وكذلك قوله ﷺ: (**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة. فضلاً. يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر، قعدوا معهم**) [(٢)].

ثالثا: يقول ابن تيميه رحمه الله أنه إذا قدر أن النازل بعض الملائكة، وأنه ينادي عن الله؛ لكان الواجب أن يقول: من يدعوا الله فيستجيب له؟ من يسأله فيعطيه ؟من يستغفره فيغفر له؟

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (**إذا أحب الله العبد نادى في السماء: يا جبريل، إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري ٥٥٥ ومسلم٦٣٢.
(٢) صحيح أخرجه مسلم ٢٦٨٩.

في الأرض).

فقد بين النبي ﷺ الفرق بين نداء الله ونداء جبريل، فقال في نداء الله: (**يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه**)، وقال في نداء جبريل: (**إن الله يحب فلاناً فأحبوه**)، وهذا موجب اللغة التي خوطبنا[1].

فالملائكة رسل الله إلى الأنبياء تقول كما كان جبريل - عليه السلام- يقول لمحمد ﷺ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [مريم: ٦٤] [2].

ويقول ابن القيم- رحمه الله- إن كقوله ﷺ: (**ينزل ربنا كل ليله إلى السماء الدنيا فيقول وعزتي وجلالي لا أسأل عن عبادي غيري**) [3].

وقوله تعالى: (من ذا الذي يسألني فأعطيه إلى نهاية الحديث).

وقوله تعالى: (فيكون كذلك حتى يطلع الفجر ثم يعلو على كرسيه)[4].

فهذا كله بيان الإرادة الحقيقية، ومانع من حمله على المجاز، وإن الخبر وقع
عن نفس ذات الله تعالى لا عن غيره فإنه قال: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا)، فهذا خبر عن معنى لا عن لفظ، والمعبر عنه هو مسمّى هذا الأسم العظيم- سبحانه- [5].

رابعا: إن مذهبهم يبطل تأويلهم، وهو أنهم أنكروا علو الله جلا وعلا، يقول ابن تيميه -رحمه الله- وقد سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول، فقال: ينزل أمره. فقال له السائل: فممن ينزل؟ ما عندك فوق العالم شيء فممن ينزل الأمر؟ من العدم المحض!!فبهت.

وأما إن كان المعترض على حديث النزول من مثبتة العلو، ويقول: إن الله فوق العرش، لكن لا يقر بنزوله، بل يقول بنزول ملك أو يقول بنزول أمره الذي هو مأمور به، وهو مخلوق من مخلوقاته، فيجعل النزول مفعولاً محدثاً

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ص٢٦١.
(٢) المرجع السابق ص٢٣٣.
(٣) أخرجه ابن ماجه١٣٦٧\وأحمد١٦/٤.
(٤) إسناده جيد أخرجه ابن أبي شيبة في العرش وقال الألباني: إسناده جيد.
(٥) الصواعق المرسلة ص٤٢٠ ٤١٩.

يحدثه الله في السماء،كما يقال مثل ذلك في استوائه على العرش، فقد جمع في تأويله هذا بين شيئين: بين أنه ما أثبته لا يمكن أن يعقل من خطاب رسول الله ﷺ وبين أنه حرف كلام الرسول عن مواضعه[١].

حكم التلفظ بـ (لفظه بذاته) و(لفظة بائن)، عند أهل السنة والجماعة :

إن كل ما أضافه الله لنفسه، فهو يعني به نفسه، ولا يحتاج أن يقول: **(بذاته)** إلا إذا ألجئنا إلى ذلك، ولفظة **(بذاته)** لم تكن معروفة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولكن لما ابتدع **(الجهم)** وأتباعه القول بأن الله في كل مكان، - ذكرها بعض المتأخرين من السلف للتوضيح والتفرقة- بين كونه تعالى معنا، وبين كونه تعالى فوق العرش، ولهذا أنكر بعض العلماء (الذين يتحفظون تحفظاً كاملاً) على بعض العلماء الآخرين من أهل السنة أن يقولوا أنه ينزل بذاته، أو أن يلفظ به في حقه- سبحانه-، ومن الذين أنكروا ذلك،الأمام الذهبي، وابن القيم، **وقال ابن القيم**: إن أكثر من صرح باستعمال كلمة **(بذاته)** أئمة المالكين، ومنهم أبو محمد بن أبي زيد القيرواني، والقاضي عبد الوهاب، وأبو بكر الباقلاني، وأبو عبد الله القرطبي وغيرهم.

وللكلمة معنى سليم، وليس فيها إثبات ما لم يرد، واستعمال بعض السلف لها إنما هو من باب تأكيد على أن الاستواء حقيقة وليس مجازاً كما يزعم الجهمية وأتباعهم[٢].

وكذلك هو الحال بالنسبة للفظة (بائن): فأنها لم تكن كذلك معروفة في عهد الصحابة- رضوان الله عليهم- وقد كان السبب في استعمال السلف لها، هو الرد على الجهمية المبتدعة الذين يزعمون أن الله بذاته في كل مكان، فاقتضت ضرورة البيان والإيضاح أن يتلفظ أئمة السلف بهذه اللفظة، ومع دوام استعمالها إلى الآن؛ إلا أنه لم يرد إنكار أحد من السلف على ذلك.

أرد على من قال : كيف يكون النزول في الليل والليل دائم في الأرض من بلد إلى أخرى؟

الجواب على هذا: إن هذا القول مبني على القياس، أي قياس أفعال المخلوق المحصورة المحدودة على أفعال الله - جل وعلا- وهذا أصل التشبيه واصل البلاء، وأصل التعطيل أيضاً، فيحصل التشبيه أولاً، ثم ينفي ما وصف الله جل وعلا به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ويعطل عن ذلك.

---

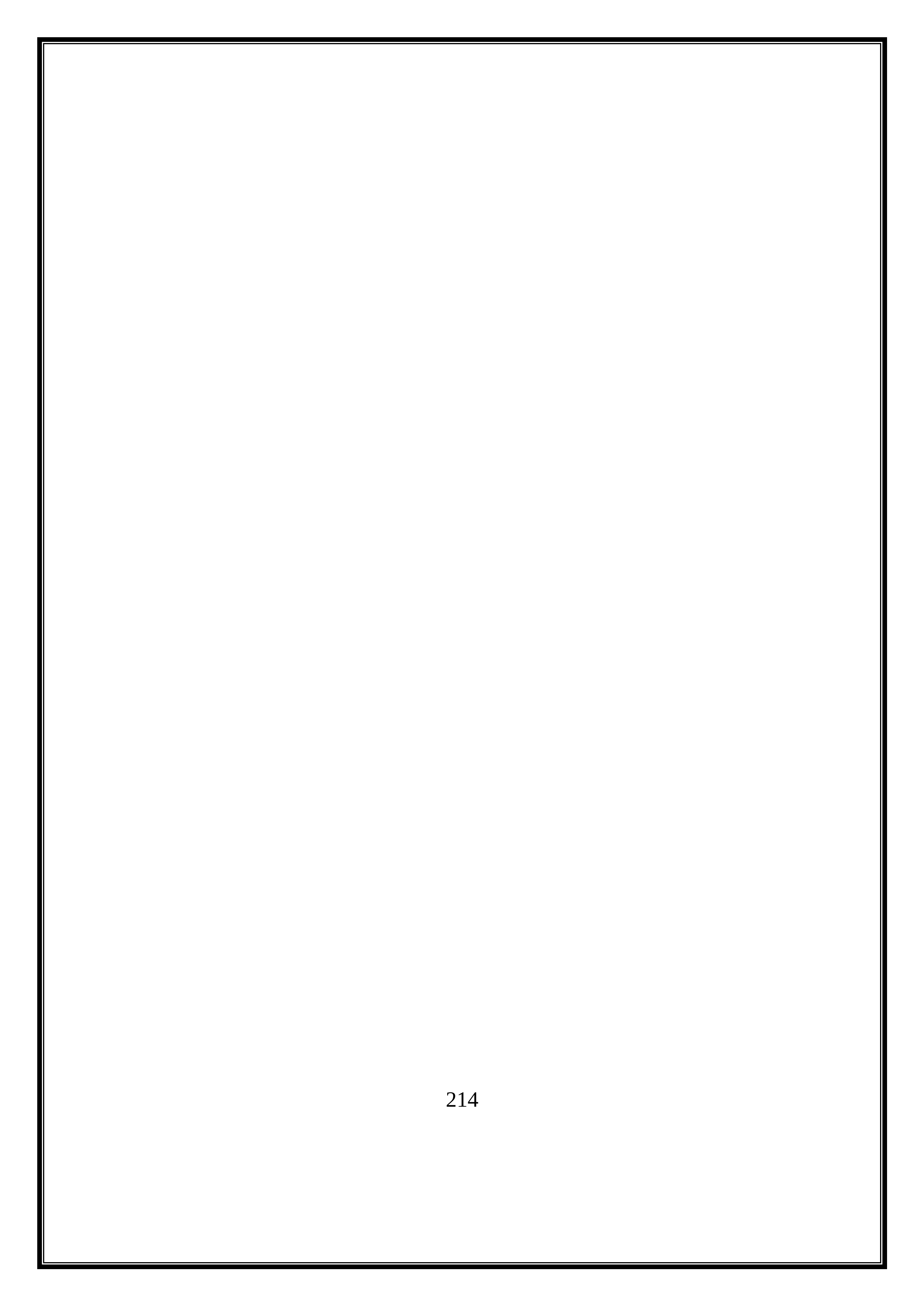
(١) المرجع السابق ص٢٣٢.

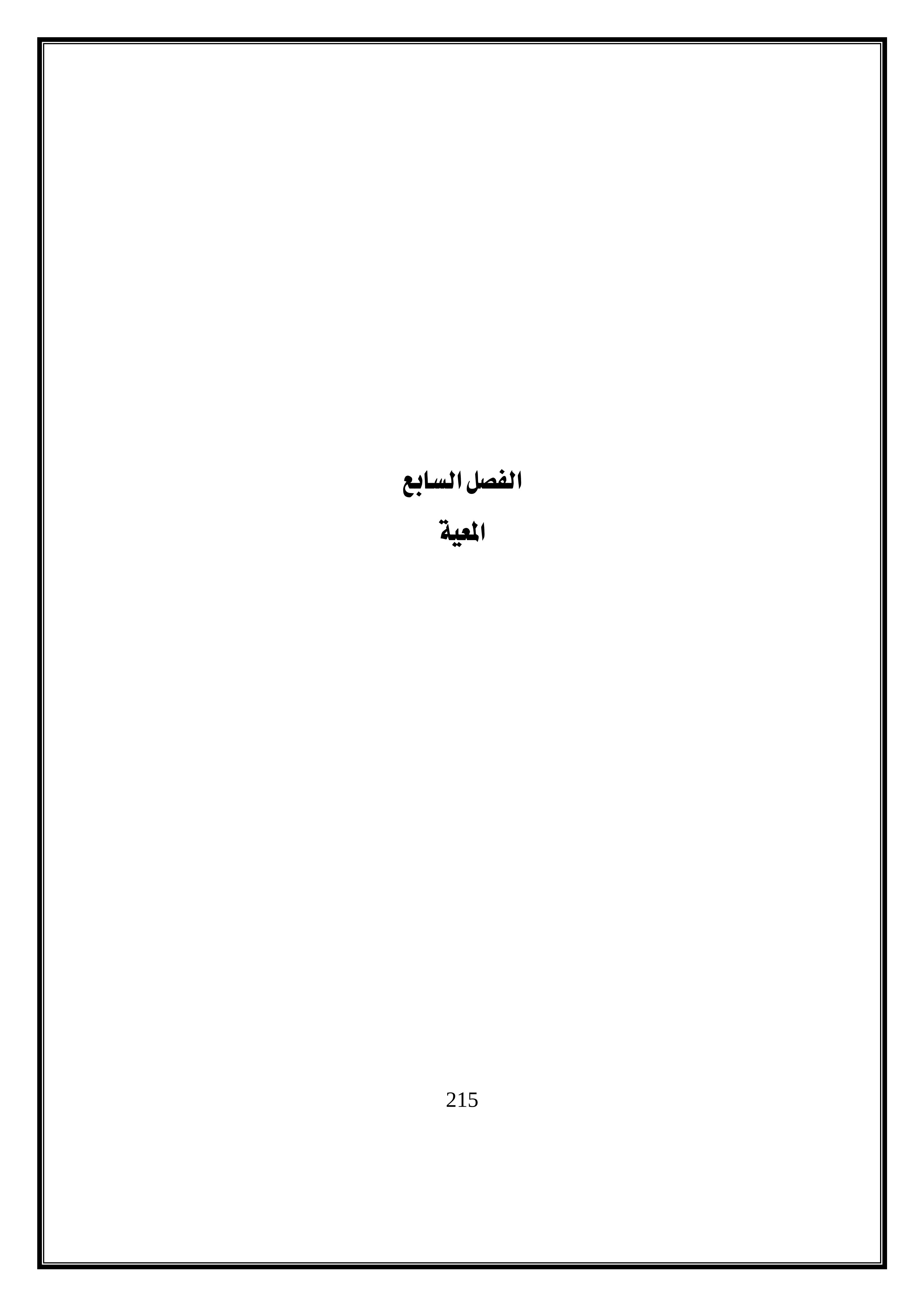
(٢) انظر الصواعق المرسلة (١٣٤١\٢) ومختصر العلو الذهبي ص٢٥٥\٢٥٧.

إذاً يصح هذا القول لو كان النازل مخلوقاً محصوراً محدوداً، وإلا فأفعال الله جل وعلا لا يجوز قياسها بمثل هذه الأقيسة التي تكون للمخلوق، فهو على كل شيء قدير يكلم ويحاسب ويرى المخلوق أنه وحده يُكلم وهو جل وعلا يكلم الجميع كلهم في آنٍ واحد، ونزوله في هذا النوع في آنٍ واحد وإن اختلفت الأوقات والأماكن، فلا يجوز قياسه سبحانه على ما يكون من فعل المخلوق الضعيف[1].

ويقول ابن تيميه رحمه الله وهذا الذي ذكروه إنما يصح إذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض، وهو يشبه قول من قال: يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته[2]!

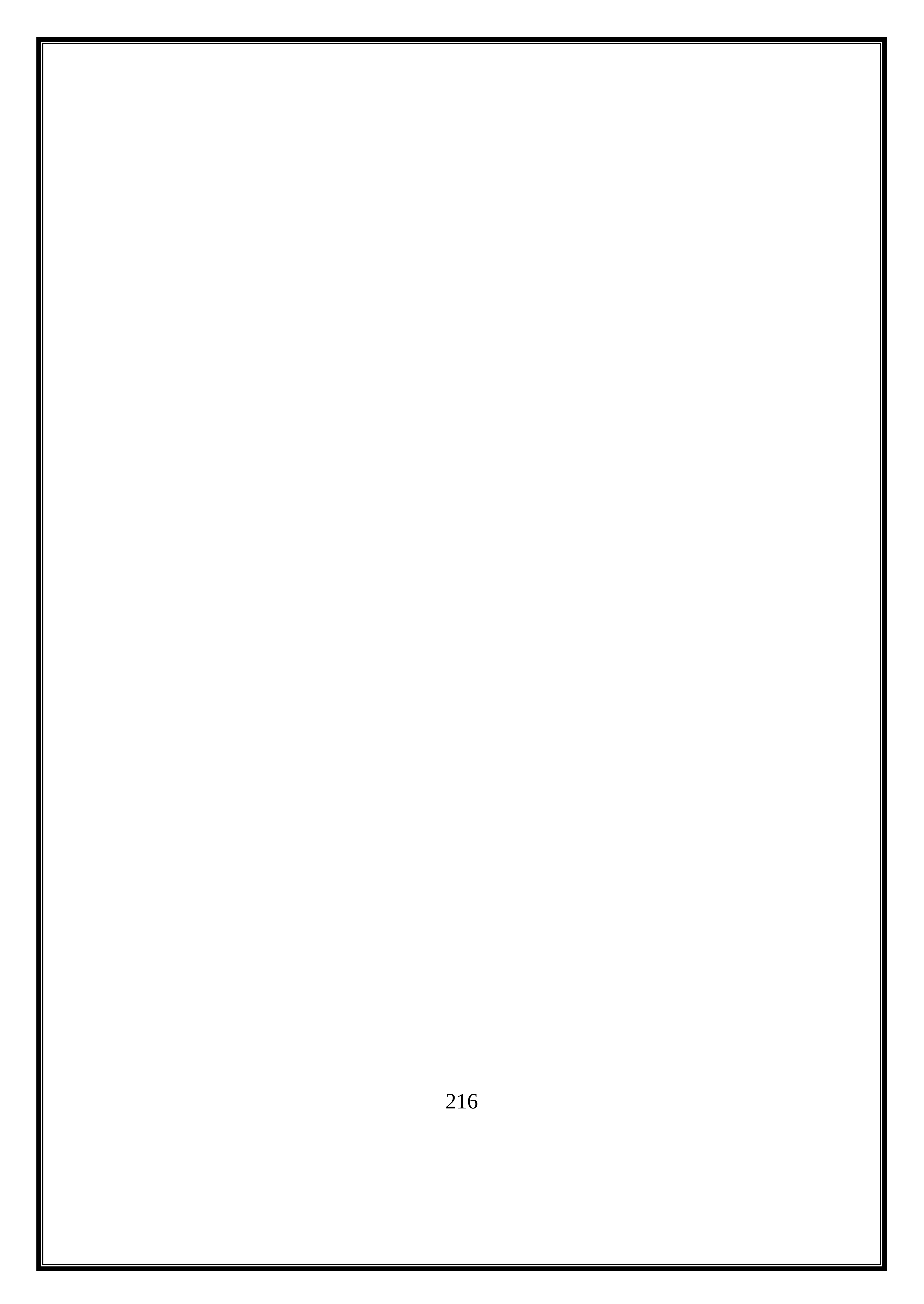
(١) شرح العقيدة الواسطيه لعبد الله بن محمد الغنيمان.
(٢) مجموع الفتاوى ج٥ص٢٩٢.





الفصل السابع

المعية



المعـية

وقول المؤلف: وهو معهم أينما كانوا؛ يعلم ماهم عاملون.

لا ريب أن علو الله سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع، وأن الذي هو على عرشه، وعليٌّ على خلقه، هو كذلك معهم أينما كانوا، معية تليق بجلاله لايعلم حقيقتها غيره.

والمعية باللغة: تدل على مطلق المصاحبة، ولا تقتضي الاختلاط، ولا الامتزاج، ولا المماساة، ولا المحاذاة عن اليمين ولا عن الشمال، هذا أصلها في اللغة العربية(١).

واصطلاحاً: هي: أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي الإحاطة بهم بعلمه وقدرته وسمعه وبصره وتدبيره وسلطانه سبحانه.

ويجب أن لانقول أن العلم هو المعية؛ بل العلم من معاني المعية التي ذكرناها، والسلف لم يفسروا المعية بالعلم إلا رداً على الذين يقولون إن الله مع خلقه بذاته داخل فيهم، ففسروها بالعلم، لأجل الرد على هذا القول الباطل.

أنواع المعية: وهي نوعان: معية عامة ومعية خاصة: وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها مع الصحبة اللائقة(٢).

أولاً: المعية العامة: وهي أن الله تعالى معنا بعلمه وسمعه وبصره وتدبيره إلى غير ذلك من معاني الربوبية ولوازمها، وهذا النوع من المعية من الصفات الذاتية لله تعالى.

ومن الأدلة على لوازم هذه المعية من الكتاب والسنة ما يلي:

أولاً: أدلة الكتاب بأن الله تعالى معنا بعلمه ومنها:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

---

(١) كتاب أحمد في الرد على الزنادقة: باب تأويل الجهمية لمعية الله.
(٢) الصواعق المرسلة ٤٥٢.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فُصِّلَت: ٤٧].

ثانياً: أدلة أن الله معنا بسمعه وبصره:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

ثالثاً: أدلة إحاطة الله تعالى بخلقه:

قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فُصِّلَت: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

رابعاً: أدلة تدبيره شؤون ملكه وخلقه:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

وقوله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة: ٥].

خامساً: أدلة أن الله قادرٌ على كل شيء:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

إلى غير ذلك من لوازم معيته سبحانه وتعالى.

وأدلة هذه المعية من السنة:

قال رسول الله ﷺ: (**أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**)(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقول في سفر: (**اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل**)(٢).

وقوله ﷺ في حديث الأوعال: (**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**)(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ماذكرني وتحركت بي شفتاه**)(٤).

---

(١) حسنه شيخ الإسلام في الواسطية وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.
(٢) رواه مسلم: (١٣٤٢) والترمذي (٣٤٥٨) وغيرهم.
(٣) رواه أحمد وسبق تخريجه.
(٤) صحيح علقه البخاري (٥٤٠/١٢فتح) وصححه الألباني (١٩٠٦).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ في سفر، فكانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير، فقال: (**أيها الناس؛ أربعوا على أنفسكم، فإنكم لاتدعون أصمّ ولا غائباً؛ إنما تدعون سميعاً قريباً، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**)[(١)].

ثانياً: المعية الخاصة: وهي أن الله تعالى مع الذين آمنوا واتقوا معية خاصة، من لوازمها: الحفظ والكلاءة والنصر والتأييد والعزة والرفع في الدنيا والآخرة، وهي من الصفات الفعلية لله تعالى لأنها تابعة لمشيئته، وكل صفة مقرونة بسبب، هي من الصفات الفعلية[(٢)].

ومن الأدلة عليها على سبيل الإجمال:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [المجادلة: ١١].

أقسام المعية الخاصة: والمعية الخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف[(٣)].

فأمّا المقيدة بوصف، فمثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

وأمَّا المقيدة بشخص معين: وهي أخص من الأولى: قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ

(١) صحيح وسبق تخريجه.
(٢) شرح الواسطية للعثيمين ص ٣٤٣.
(٣) المرجع السابق ص ٣٤٠.

لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقوله لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

أقوال الملل الأخرى بالمعية:

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل عليه السلام وجبريل سمعه من الله تعالى، وأن صفات الله على مراد سبحانه، وأن الله تعالى وصف نفسه في كتابه بأنه على عرشه، عليٌّ على خلقه، وأنه معهم أين ما كانوا بعلمه وسمعه وبصره وسلطانه وقدرته عليهم، معية تليق بجلاله وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة، إلا أن هناك فرق ممن ينسبون أنفسهم للإسلام افترقوا في ذلك إلى ثلاث فرق، وفي مايلي بيان لهذه الفرق وأقوالهم.

الفرقة الأولى: وهم الذين قالوا: هو ليس داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق ولاتحت، لايقولون بعلوه ولا بفوقيته، وهم الجهمية النفاة، وهؤلاء خارجون عن الثلاث والسبعين فرقة، وسبق الحديث عنهم في حكم التعطيل(١).

الفرقة الثانية: وهم الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان، مختلط في خلقه، إن كانوا ثلاثة فهو رابعهم يعني معهم(٢).

الفرقة الثالثة: وهم الذين يقرون بأنه فوق العرش وهو كذلك في كل مكان، فمقتضى المعية عندهم أن يكون الله معهم في الأرض مع ثبوت علوه فوق عرشه، وقد زعم هؤلاء أنهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو، وكذبوا في ذلك فضلوا، فإن نصوص المعية لاتقتضي ما ادّعوه من الحلول لأنه باطل ولايمكن أن يكون ظاهرُ كلام الله ورسوله باطلاً(٣).

وهذا قول طائفة من أهل الكلام والتصوف، كأبي معاذ التومني، وزهير الأثري، وأصحابها(٤).

وهو موجود في كلام السالمية كأبي طالب المكي وأتباعه، كأبي الحكم بن

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ج٢ص١٤٧ والصواعق المرسلة ص٤٥٠.
(٢) انظر كتاب أحمد في الرد على الزنادقة، والمرجع السابق من مجموع الفتاوى.
(٣) المرجع السابق من الفتاوى والقواعد المثلى ص٦١.
(٤) نقض التأسيس ٦١١.

برجان[1].

والفرق بين هذا القول وقول الجهمية: بأن الله في كل مكان، هو أن هؤلاء يثبتون العلو، ونوعاً من الحلول، أما الجهمية فلا يثبتون العلو بل ينفونه بالكلية.

ومن أقوال السالمية: يقولون: إنه فوق العرش.

ويقولون: نصيب العرش منه كنصيب قلب العارف، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك، فإن قالوا: إن العرش كذلك نقضوا قولهم: إنه نفسه فوق العرش.

وإن قالوا بحلوله بذاته في قلوب العارفين كان هذا قولاً بالحلول الخالص[2].

حجة الذين يقولون بأن الله تعالى بذاته في كل مكان:

أما الفريق الأول: الذين يقولون بأن الله لا داخل العالم ولا خارج العالم إلى آخر قولهم، فهؤلاء ليس لهم دليل واحد من الكتاب والسنة، وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص: كالخوارج، والشيعة، والقدرية، والرافضة، والمرجئة، وغيرهم، إلا هؤلاء الجهمية النفاة، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه من النفي[3].

أما الفريقين الآخرين: وهم الذين يقولون هو بذاته في كل مكان، تعالى الله عن ذلك فقد احتجوا لقولهم هذا بنصوص (المعية) و(القرب) الواردة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) مجموع الفتاوى ص١٤٩.
(٢) مجموع الفتاوى ج٥ص١٤٩.
(٣) مجموع الفتاوى ج٥ص١٤٨.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠].

ومن الآيات التي احتجوا بها كذلك قوله تعالى:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾. فمعنى الآية: أي هو إله من في السموات، وإله من في الأرض، قال **ابن عبد البر**: فوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير[1].

ويقول الإمام أحمد في كتابه الرد على الزنادقة: قال: إله من في السموات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط بعلمه دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان، فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[2].

الرد على من تأول في المعية: قال تعالى:﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: ٤].

قال أهل التأويل: إن ظاهر هذه الآية أن الله معنا بذاته، وأنتم يا أهل السنة والجماعة تقولون إن الله معنا بعلمه، فأخرجتم الآية عن ظاهرها وأولتموها، وهذه حجة عليكم في تأويلنا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة: ٧] .

قال أهل التأويل - أيضاً-: ظاهره أنه معهم في أمكنتهم وأنتم يا أهل السنة تقولون: إنه معهم بعلمه، وليس بذاته، فأخرجتم الآية عن ظاهرها، فأنتم تخرجون النصوص عن ظاهرها، ثم تنكرون علينا ما أخرجناه من النصوص عن ظاهره.

يقول ابن عثيمين رحمه الله: إن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته

---

(١) التمهيد: (١٣٤/٧).
(٢) كتاب الرد على الزنادقة.

وظاهره، ولكن ما حقيقته وما ظاهره؟

هل يقال: أن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم؟

أو يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وتدبيراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟[1].

ولكن أي القولين يقال في الآية ؟

الجواب: إنه الثاني قطعاً، لأن الله سبحانه وتعالى في نفس الآية من سورة الحديد قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤].

والعرش في العلو فوق كل المخلوقات، ثم قال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

فلو قلنا: معنا في مكاننا؛ لكانت الآية يناقض أخرها أولها؛ لأن أولها يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وآخرها يقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فلو قلنا: إنه معنا بذاته في الأرض تناقضت الآية، وصار آخرها مناقضاً لأولها!

إذاً نحن لم نخرج الآيتين عن ظاهرهما، ولا عن حقيقتهما، ونقول: إن الله - سبحانه - معنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ، ولكننا نختلف معكم في ظاهر اللفظ.

قال الأمام أحمد -رحمه الله- في بيان ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قالوا: إن الله معنا وفينا، فقلت لم قطعتم الخبر من أوله، إن الله يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فأخبر أنه يعلم ما في السماوات والأرض[2].

---

(١) القواعد المثلى ص ٥٤.

(٢) الرد على الزنادقة.

يعني الجهمية تأولوا قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. أن المعية معنا الاختلاط، وأن الله مختلط بالخلق ممتزج بهم.

وعن ابن المديني لما سئل: ما قول أهل الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية والكلام، وأن الله فوق السموات على العرش استوى، فسئل عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

فقال: اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١).

إذا هؤلاء ما تمشوا مع اللغة العربية، في اللغة العربية هل معنى المعية الاختلاط؟ بل معناها المصاحبة وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها تقول: فلان أنا معك، يعني ما لي معك هذا نوع من متعلقات المعية، فلان زوجته معه وهو في المشرق وهي في المغرب، معه يعني في عصمته.

وتقول العرب ما زلنا نسير والقمر معنا، القمر فوق ما زلنا نسير والنجم معنا، إذن المعية لا تقتضي الاختلاط ولا الامتزاج(٢).

وقال حنبل: قلت لأبي عبد الله: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] قال: بعلمه محيط بالكل وربنا على العرش بلا حد ولا صفة، أراد أحمد بنفي الصفة نفي الكيفيه والتشبيه، وبنفي الحد نفي حد يدركه العباد ويحدونه(٣).

ويقول ابن عثيمين: اعلم أن تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علو الله تعالى بذاته على عرشه وذلك من وجوهٍ ثلاثة:

الوجه الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزَّهِ عن التناقض وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما.

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ ص ٣٥.
(٢) شرح كتاب أحمد في الرد على الزنادقة لعبد العزيز الراجحي ص ١٤٧.
(٣) الصواعق المرسلة ص ٤١٤.

الوجه الثاني: أن حقيقة معنى المعية لا يناقض العلو فالاجتماع بينهما ممكن في حق المخلوق كما أسلفنا في كتاب أحمد.

الوجه الثالث: أنه لو فُرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق الذي جمع لنفسه بينهما؛ لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١][(١)].

ويقول ابن القيم - رحمه الله-: إنه - سبحانه - لو لم يتصف بفوقية الذات مع إنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضدها، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، وهو مذموم على الإطلاق، وهو إبليس وجنوده[(٢)].

وقال أبو نعيم الحافظ صاحب الحلية في الاعتقاد الذي ذكر أنه اعتقاد السلف وإجماع الأمة، قال فيه: وإن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله تعالى عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه، وخلقه بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو ٍعلى عرشه في سمائه من دون أرضه[(٣)].

وقيل لعبد الله بن مبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه. فأتى عبد الله بأصل المعرفة التي لا يصح لأحد معرفة ولا إقرار بالله سبحانه إلا به[(٤)] وهو المباينة والعلو على العرش.

أقوال السلف بالمعية

يقول ابن عثيمين رحمه الله: أكثر عبارات السلف رحمهم الله يقولون: إنها كناية عن العلم وعن السمع والبصر والقدرة وما أشبه ذلك، فيجعلون معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾؛ أي: وهو عالم بكم، سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم، قادر عليكم، حاكم بينكم ... وهكذا، فيفسرونها بلازمها.

---

(١) القواعد المثلى ص ٥٩\٦٠.
(٢) الصواعق المرسلة ص ٤١٥.
(٣) المرجع السابق ٤١٤.
(٤) مدارج السالكين ج ٣ ص ٢٦٨.

وأختار شيخ الإسلام - رحمه الله- في الواسطية وغيرها أنها على حقيقتها، وأن كونه معنا حق على حقيقته، لكن ليست معية كمعية الإنسان للإنسان التي يمكن أن يكون الإنسان مع الإنسان في مكانه؛ لأن معية الله عز وجل ثابتة له وهو في علوه؛ فهو معنا وهو عال على عرشه فوق كل شيء، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون معنا في الأمكنة التي نحن فيها. وما قاله - رحمه الله- فيه دفع حجة بعض أهل التعطيل حيث احتجوا على أهل السنة، فقالوا: أنتم تمنعون التأويل، وأنتم تؤولون في المعية تقولون: المعية بمعنى العلم والسمع والبصر وما أشبه ذلك.

رأي أهل السنة والجماعة في من زعم بأن الله بذاته في كل مكان:

قال ابن تيمية - رحمه الله- مَن قال: إن الله بذاته في كل مكان، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة(١).

ويقول كذلك: والمعية لا تدل الممازجة والمخالطة، وكذلك لفظ (القرب)، فإن عند الحلولية أنه في حبل الوريد، كما هو عندهم في سائر الأعيان، وكل هذا كفر وجهل بالقرآن(٢).

ويقول ابن عثيمين كذلك في القواعد المثلى: (ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضال إن اعتقده وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها)(٣).

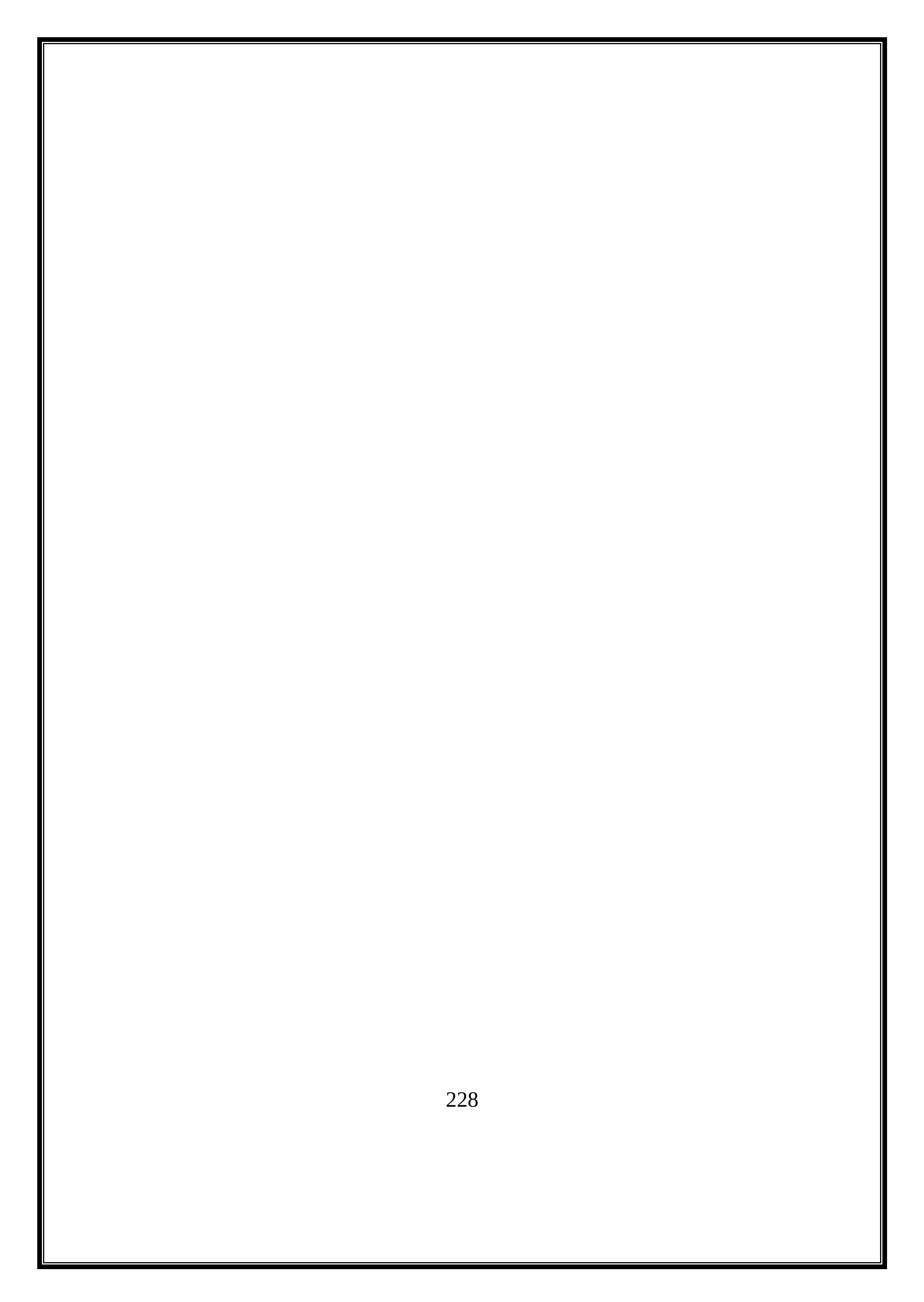
وقال أبو حنيفة عندما سئل عمن قال: لا أعرف ربي في السماء، أم في الأرض قال: قد كفر؛ قال: لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سموات.

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه: أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض! فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في السماء ولا في الأرض؟ واحتج على كفره بقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، قال: وعرشه فوق سبع سموات(٤).

وقال: الإمام أبي حنيفة النعمان - رحمه الله- في كتابه المشهور المسمى بـ (الفقه الأكبر)، وقال صاحبه أبو يوسف القاضي صاحب كتاب (الخراج): إن من لم يقر بأن الله - عزّ وجل - فوق عرشه، وأنه مع ذلك لا يخفى عليه شيء من خلقه حتى ما تهجس به ضمائرهم ، فهو كافر، لا شك في كفره)(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى ج٥ ص١٤٩.
(٢) المرجع السابق ج٥ ص ٨٦.
(٣) القواعد المثلى ص ٦٤.
(٤) مجموع الفتاوى ج٥ ص٣٤ \٣٥.
(٥) شرح القصيدة النونية ج١ ص ٢٢١.



خاتمة الكتاب

وأخيراً نقول: إن ما سبق من البيان والرد استندنا فيه على الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، بينما هؤلاء خالفوا ظاهر الكتاب والسنة والإجماع، ويتوقف على ذلك ما يلي:

أولاً: قدح في حكمة الله كأنه يكلمنا بما لا نعلم.

ثانياً: قدح في رسالة النبي ﷺ، وقدح في تبيين النبي ﷺ، وقدح في التبليغ؛ لأن الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثالثاً: مخالفة الكتاب والسنة واتباع الهوى، ومن يتبع هواه**!** (فإنه أضل من حمار أهله) كما قال ابن تيمية في ذلك.

وأما نحن، فكما قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني- صاحب (حلية الأولياء) وغير ذلك من المصنفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه: طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة. قال: ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم، بصيراً ببصر، سميعاً بسمع، متكلماً بكلام، إلى أن قال: وإن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في (العرش واستواء الله عليه) يقولون بها ويثبتونها، من غير تكييف، ولا تمثيل، وإنَّ الله بائن من خلقه، والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه. وذكر سائر اعتقاد السلف وإجماعهم على ذلك.

مجموع الفتاوى ج٥ ص ١٢٥

وقال ابن القيم: (إن العقل قد يئس من تعرف كنه صفات الله وكيفياتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف (بلا كيف) أي بلا كيف يعقله البشر، فإنه من لا تعلم حقيقة ذاته وما هيته، كيف تعرف كيفية نعوته وصفاته؟

فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف؛ إذ لم ينقل عنهم غير ذلك.

وأخيراً: نسأل الله العفو والعافية وأن لا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا وأن لا يسلط علينا من لا يخافه فينا ولا يرحمنا.

ودعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (**اللهم اجعل عملي كله صالحاً، وجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً**[1]). **آمين**

(١) رواه أحمد في الزهد.

فهرس المراجع

١- العقيدة الواسطية لابن تيمية.
٢- مجموعة الفتاوى لابن تيمية.
٣- شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين.
٤- الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية.
٥- شرح العقيدة الواسطية لابن فوزان.
٦- شرح العقيدة الواسطية للهراس.
٧- شرح العقيدة التدمرية للبراك.
٨- إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية.
٩- الصواعق المرسلة لابن قيم الجوزية.
١٠- اجتماع الجيوش الاسلامية لابن قيم الجوزية.
١١- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية.
١٢- شرح القصيدة النونية للهراس.
١٣- شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي.
١٤- الأسماء والصفات للبيهقي.
١٥- جامع شروح السفارنية.
١٦- شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين.
١٧- شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين.
١٨- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية.
١٩- الموسوعة الميسرة في الأديان لمانع الجهيني.
٢٠- القواعد السديدة في حماية العقيدة للدليمي.
٢١- الملل والنحل للشهرستاني.
٢٢- الرد على الزنادقة للإمام أحمد.
٢٣- تفسيرابن كثير.
٢٤- تفسير القرطبي.
٢٥- تفسير السعدي.
٢٦- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٧- شرح صحيح مسلم للنووي.
٢٨- صحيح الترمذي.

٢٩- صحيح ابن ماجة.
٣٠- معجم مقايس اللغة لابن فارس.
٣١- مختار الصحاح زين الدين الرازي.
٣٢- لسان العرب لابن منظور.
٣٣- القاموس المحيط للفيروز آبادي.
٣٤- زائد مجموعة كتب ومراجع من الموسوعة الشاملة الاصدار الثاني والثالث.

فهرس الموضوعات

التقديم ٩
مقدمة ١٠
التمهيد ١٢
أقسام التوحيد: ١٥
الأول: توحيد الربوبية: ١٥
الثاني: توحيد الألوهية: ١٦
الثالث: توحيد الأسماء والصفات: ١٧
اهمية التوحيد: ١٨
جزاء من حقق التوحيد: ٢٣
فضائل التوحيد: ٢٥
الفصل الأول ٢٩
الإيمان بالأسماء والصفات ٢٩
الإيمان بالأسماء والصفات ٣١
قول المؤلف رحمه الله: ٣١
وقوله بما وصف به رسوله: ٣٤
وقول ابن تيمية من غير تحريف: ٣٧
الفرق بين التحريف و التأويل: ٣٩
حكم التأويل وهو ثلاثة أحكام: ٣٩
المعنى الشرعي للتأويل: ٣٩
والتّأويل ينقسم إلى نوعين محمود ومذموم: ٤٠
مخاطر التأويل والتحريف: ٤٠
وقولــه ولا تعـطيل: ٤١
أقسام أهل التعطيل وهي ثلاثة أقسام: انقسم أهل التعطيل في تعطيلهم لأسماء الله وصفاته إلى ثلاثة أقسام: ٤٤
القسم الأول: ٤٤
القسم الثاني: ٤٥
القسم الثالث: ٤٥
من هو أبو الحسن الأشعري وما هو مذهبه: ٤٦
رد أهل السنة والجماعة على المعطلة: ٤٧
ومن الأمثلة على الأسماء: ٤٧
ومن الأمثلة على الصفات: ٤٨
مذهب غلاة المعطلة ٥١
مذهب أهل السنة والجماعة في تقديم النقل على العقل: ٥٢
حكم هذا المذهب وإبطاله: ٥٤
المعطل شرٌ من المشرك: ٥٥
وقول المؤلف من غير تكييف: ٥٧
نفي تكييف لا كيفية: ٥٧
وقوله لا تمثيل: ٦٠
على ماذا يعتمد الممثلة وغيرهم: ٦١

الصفات التي دل عليها النقل: ٦١
الصفات التي نفاها الله عن نفسه: ٦٢
الدليل العقلي على امتناع التمثيل: ٦٣
مذهب السلف: إثبات الصفة، ونفي المماثلة: ٦٤
ما يجوز من ضرب الأمثال وما لا يجوز: ٦٥
عقيدة أهل السنة والجماعة في الإثبات والنفي في صفات ٦٧
(وهو منهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام-): ٦٧
الفرق بين التشبيه والتمثيل: ٦٨
وقول المؤلف: ولايلحدون في اسماء الله وآياته: ٦٩
والإلحاد في آيات الله الكونية؛ فإنه يكون: ٧٣
وأما الإلحاد في آيات الله تعالى الشرعية فيكون: ٧٣
الفصل الثاني ٧٥
قواعد في أسماء الله وصفاته ٧٥
وقول المؤلف: ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ٧٧
القاعدة الأولى ٧٧
القاعدة الثانية ٧٨
القاعدة الثالثة ٨٠
القاعدة الرابعة ٨١
القاعدة الخامسة ٨٢
قواعد في صفات الله تعالى ٨٤
القاعدة الاولى ٨٤
القاعدة الثانية ٨٦
القاعدة الثالثة ٨٧
القاعدة الرابعة ٨٩
جدول في أقسام الصفات كما بينها أهل العلم ٩١
مواقف الطّوائف من الصفات الذّاتية والفعلية ٩٢
الفصل الثالث ٩٤
الصفات الذاتية ٩٤
الصفات الذاتية ٩٦
صفة النفس ٩٧
صفة الوجه ٩٨
صفة اليدان ١٠٠
ما قيل باليدان ١٠٢
صفة العينين ١٠٤
ما قيل بالعينين ١٠٥
صفة الأصابع ١٠٦
الفصل الرابع ١٠٨
الصفات الاختيارية ١٠٨
الصفات الاختيارية ١١٠
صفة الكلام ١١١
مذهب الجهمية في كلام الله ١١٣

دليل الكلام والقول من السنة ١١٤
الفرق بين التلاوة والمتلو ١١٧
عقيدة أهل السنة والجماعة بالقرآن الكريم ١١٩
قول إبن كلاب بالقرآن وبأنه قديم ١٢١
وقول المؤلف: وهو كلام الله،حروفه ومعانيه ١٢٥
صفة الرضى ١٢٦
صفة السخط والغضب والإنتقام ١٢٨
هذه صفات الغضب والسخط والإنتقام. ١٢٩
صفة السخط ١٢٩
صفة الإنتقام ١٣٠
صفة الرحمة ١٣٢
صفة الإرادة ١٣٩
ميزة الكلمات الكونية ١٤٢
ميزة الكلمات الشرعية ١٤٣
أقوال الملل الاخرى بالإرادة ١٤٤
صفة السمع والبصر ١٤٥
الفصل الخامس ١٥٢
عرش الرحمن ١٥٢
عرش الرحمن ١٥٤
فما هو العرش؟ ١٥٤
صفات العرش ١٥٧
قول السلف في حملة العرش ١٦٥
الأدلة من الكتاب والسنة على وجود العرش ١٦٧
الأدلة من السنة النبوية: ١٦٨
فصل في كرسي العرش ١٧٠
ما قيل في الكرسي ١٧٢
الفصل السادس ١٧٥
في صفة العلو والاستواء ١٧٥
صفة العلو والاستواء ١٧٧
الأدلة من الكتاب والسنة على صفة الاستواء ١٨٠
الأدلة من السنة على صفتي العلو والاستواء ١٨٤
أدلة أن الله تعالى فوق السبع سموات ١٨٧
الآثار المروية عن السلف الصالح في الاستواء ١٨٩
الفرق بين العلو والاستواء ١٩٧
أقوال نفاة الاستواء والرد عليهم ١٩٧
أقوال نفاة العلو والرد عليهم ٢٠١
أقوال السلف أهل السنة والجماعة في من أنكر استواء الله وعلوه ٢٠٥
أقوال الملل الأخرى في حديث النزول: ٢٠٧
حكم التلفظ بـ (لفظه بذاته) و(لفظة بائن)، عند أهل السنة والجماعة: ٢١٢
الفصل السابع ٢١٥
المعية ٢١٥

المعـــيـة ٢١٧
وأدلة هذه المعية من السنة: ٢١٩
أقوال الملل الأخرى بالمعية: ٢٢١
أقوال السلف بالمعية.. ٢٢٦
خاتمة الكتاب ٢٢٩
فهرس المراجع ٢٣١
فهرس الموضوعات ٢٣٣